



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان الجزائر



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

السياسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية

1845-1954م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ

إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د. مبخوت بودوايت

إعداد الطالبة:

زهرة مسعودي

لجنة المناقشة

رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
مشرفا	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي بالنعامة
عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس
عضوا	أستاذ محاضر.	جامعة سعيدة
عضوا	أستاذ محاضر.	جامعة تلمسان
أ.د. بوجلت عبد المجيد		
أ.د. مبخوت بودوايت		
أ.د. ثابتي حياة		
أ.د. كريم ولد النبييت		
د. موساوي مجدوب		
د. أحمد بن داود		

السنة الجامعية: 2020-2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ
وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً غَدِيرًا يَخْرُجُ
مِنْهُ الْحَيَاةُ كُلُّهَا
وَالَّذِي يُجْعَلُ اللَّيْلَ
لِلنَّاسِ نَوْمًا وَالنَّهَارَ
نُورًا إِنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْعَلِيمُ

قال تعالى: " وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرْتَدُّوْنَكُمْ مِّنْ
بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كِفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."

سورة البقرة الآية 109.

قال تعالى: " وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّى
تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ، قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ، وَلَئِنَّ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ"

سورة البقرة الآية 120.

كلمات شكر وتقدير

الشكر لله تبارك وتعالى على توفيقه لإتمام هذا البحث والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، ولما كان شكر المنعم من أوجب الواجبات فإنه يتضاعف وتعظم ثمرته بشكر الناس، وامثالاً لهذا أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور مبخوت بودواية لتفضله بقبوله الإشراف على هذه الأطروحة وعلى كل ما قام به من توجيهات أدت إلى ظهور البحث في شكله الحالي، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر للأستاذ تواتي دحمان الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته، كما لا يفوتني أن أشكر أخي الدكتور مسعودي عبد الكريم الذي قدم لي مساعدات جمة طيلة فترة البحث.

والشكر موصول لكل من أعانني بكلمة على إتمام هذا العمل أو بدعوة صادقة فجزاهم الله خير الجزاء.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع/

إلى الذين لو قدمت لهم حياتي...لكنت مقصرة....ما
أوفيتهم حقهم...

والداي الكريمين....أطال الله في عمرهما.

إلى من هم أقرب إلى نفسي مني.....

إخوتي وأخواتي.

إلى من كان سر استمراري....من أعطى طعاما ولونا

لحياتي ... زوجي الغالي.

إلى فلذات كبدي بناتي:

روميساء-تسنيم- آلاء نور اليقين- أروى إسراء.

المقدمة

تعتبر السياسة الفرنسية التصيرية ظاهرة خطيرة تهدد المسلمين في الجزائر ومختلف مناطق العالم منذ زمن بعيد، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالاستعمار، وكانت أحد أخطر أسلحته، خاصة بعد تغيير الكنيسة الكاثوليكية لأساليبها القديمة، فبعد احتلال فرنسا للجزائر، أصبحت الكنيسة لا تدعو مباشرة إلى اعتناق المسيحية بل استعملت وسائل وطرق غير مباشرة كالتركيز على الأعمال الخيرية، بناء المستشفيات والمدارس.

لهذا تحالف الاستعمار الفرنسي في الجزائر مع الكنيسة لتطبيق السياسة التصيرية بين الجزائريين، وإن كانوا قد أخفقوا في تنصير الشعب الجزائري، فقد نجحوا دون شك في توسيع مناطق الاحتلال وتمهيد الطريق له، وفي تفريق الجزائريين إلى عرب وبربر بعد أن وحدهم الإسلام.

ومن المناطق التي ابتليت بحركة التنصير وألقى فيها هذا الأخير بثقله، منطقة الصحراء الجزائرية التي عرف الإسلام إليها طريقه منذ العصور الوسطى وبداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عن طريق قوافل التجار، حيث كان للمنطقة دور كبير في ربط الصلات والعلاقات الودية بين شمال الجزائر والممالك الإسلامية جنوب الصحراء، كما كان للمرابطين والموحدين دوراً هاماً في نشر الإسلام بهذه المناطق الصحراوية، لذلك اهتم الفرنسيين باحتلال الصحراء الجزائرية، ولم يكن ذلك سوى تمهيداً لنشر السياسة التصيرية الفرنسية بها.

تكمن أهمية الموضوع في كونه يدرس السياسة الفرنسية التصيرية في الصحراء الجزائرية، والتي اعتُبرت أحد أهم عوامل الهدم لمقومات الشعب الجزائري، كما

أنها من الأسباب التي شككت السكان في دينهم وعرقلت نشاط الزوايا والمساجد والطرق الصوفية بالمنطقة، فقد حاول المنصرون إغراء الجزائريين بشتى أنواع المغريات والأكثر من ذلك محاولة تركهم في حيرة وضلال، لذلك يأتي هذا البحث كمحاولة لوضع لبنة في هذا المجال والمساهمة في التوعية بالأخطار التي تهدد الجزائريين من جراء توسع السياسة الفرنسية التنصيرية بالجزائر.

إضافة إلى ذلك يهدف البحث إلى تتبع السياسة الفرنسية التنصيرية في منطقة الصحراء الجزائرية، والكشف عن واقعه في المنطقة وخطته الرامية إلى تنصير المجتمع الجزائري في الصحراء، مع توضيح دور الاحتلال الفرنسي وعلاقته بعملية التنصير والنتائج المترتبة عن هذه السياسة، وطرق صدّه ومكافحته من طرف سكان المنطقة في الفترة الممتدة من سنة 1845م إلى سنة 1954م.

يعود سبب اختياري للموضوع لعدة اعتبارات ذاتية وموضوعية منها:

1-كوني من أبناء المنطقة، ورغبتي الملحة بالإلمام بتاريخها وأحداثها عبر مختلف العصور.

2-حاجة البحث العلمي لمثل هذه الدراسات في هذه الفترة.

وعن الدراسات السابقة، فحسب اطلاعي على الدراسات ذات الصلة بالموضوع وجدت دراسات شبيهة إلى حد ما بموضوع دراستي منها:

-كتاب النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر 1867م-1892م لمؤلفه سعيدي مزيان، تناول نشاط الكاردينال لافيغري في منطقة القبائل والشلف والصحراء.

-كتاب الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م - 1871م، لمؤلفته خديجة بقطاش.

-رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية بعنوان: جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي 1830م -1962م للطالب عبد الرؤوف قرنا ب، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2014م - 2015م.

أما المنهج، فقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي الذي يهتم بدراسة الأحداث وتحليلها من خلال معرفة الأسباب والنتائج المؤدية لها.

يهتم البحث بالكشف عن السياسة الفرنسية التنصيرية في الصحراء الجزائرية، لهذا دار تساؤل كبير حول حقيقة هذه السياسة ومدى تمكنها من المجتمع الجزائري في الصحراء ومواجهتهم لها، فجاءت الإشكالية كما يلي: هل نجح الاحتلال الفرنسي من خلال سياسته التنصيرية في تنصير المجتمع الجزائري في الصحراء الجزائرية؟

ومن هذه الإشكالية تُطرح مجموعة من الفرضيات منها:

-ما علاقة التنصير بالاحتلال الفرنسي؟

-ما هي الوسائل المستخدمة من طرف المنصرين؟ وإلى أي مدى بلغ نشاطها؟

-ما هي الجهود المبذولة من طرف المجتمع الجزائري في الصحراء لمقاومة السياسة الفرنسية التنصيرية؟

يدرس البحث موضوع السياسة الفرنسية التنصيرية في الصحراء الجزائرية في الفترة الممتدة من سنة 1845م إلى سنة 1954م، وهي الفترة التي عرفت نشاط كبير لسياسة التنصير بالمنطقة.

كما استعنت في هذا البحث بجملة من المراجع أهمها:

* كتب عن الكاردينال لافيغري منها:

- كتاب le Cardinal Lavigerie للمؤلف B. Baunard.

- كتاب: Le Cardinal Lavigerie et ses œuvres d'Afrique

للمؤلف L'abé Felix

- كتاب: Un Grand Missionnaire Le Cardinal Lavigerie

للمؤلف Georges Goyau

- كتاب (1863- 1892) Le Cardinal Lavigerie et son action politique

للمؤلف J. Tornier.

وهي مراجع هامة تتحدث عن حياة لافيغري ونشاطه التصيري في مختلف المناطق التي زارها، إضافة إلى نشاط فرقة إخوان الصحراء المسلحين في الصحراء الجزائرية.

إضافة إلى ذلك اعتمدت على كتب عن الأب شارل دوفوكو منها

كتاب Charles de Foucauld للمؤلف René Bazin

كتاب آخر بعنوان شارل دوفوكو الطريق إلى تمراسات للمؤلف أنطوان شاتلار،

الذي يتعرض بالتفصيل لحياة شارل دوفوكو وكل المناطق التي توجه إليها.

إضافة إلى كتاب شارل دوفوكو بعنوان التعرف على المغرب 1883- 1884

في جزئين، يصف فيه رحلته بالتفصيل إلى المغرب، وكيف أن هذه الرحلة

سهلت للاحتلال الفرنسي الدخول إلى المنطقة بفضل الخرائط المهمة التي

قدمها في هذا الكتاب، فضلا إلى كتب أخرى هامة مثل:

- كتاب: Charles de Foucauld للمؤلف Jean Jacques Antier وآخر بنفس العنوان للمؤلف Robert Fillsberg وكتاب آخر كذلك للمؤلف Annie of Jesus، وغيرها من المؤلفات التي أثرت البحث وأفادته في العديد من فصوله.
- زيادة على ذلك استفدت من كتب أخرى عن التنصير منها:
- التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية للمؤلف أحمد سعد الدين البسطامي
- التبشير والاستعمار للمؤلفين مصطفى خالدي وعمر فروخ
- التنصير في المراجع العربية للمؤلف علي بن إبراهيم الحمد النملة
- التنصير للمؤلف أكرم كساب
- مدخل إلى تاريخ حركة التنصير للمؤلف ممدوح حسين.
- إضافة إلى كتب أخرى عن الجزائر والصحراء الجزائرية منها:
- توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1851-1912 للمؤلف إبراهيم مياسي
- صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات للمؤلف حفناوي بعلي
- كتاب الجزائر للمؤلف أحمد توفيق المدني
- قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر لجمال قنان
- الصحراء الكبرى وشواطئها للمؤلف إسماعيل العربي وغيرها من المراجع والمصادر، إضافة إلى عدد من المقالات والقواميس والمعاجم التي ساهمت في إثراء البحث وإفادته.

وخلال إعداد البحث واجهت جملة من الصعوبات أهمها: تناقص المادة العلمية التي تتحدث عن التنصير في الصحراء الجزائرية يتكون البحث من مقدمة وفصل تمهيدي، وأربعة فصول وخاتمة إضافة إلى مجموعة من الملاحق والفهارس.

تضمن الفصل التمهيدي التعريف بالتنصير والتبشير والفرق بينهما، إضافة إلى تاريخ التنصير وتطوره لغاية فترة الدراسة، مع الإشارة إلى حقيقة الديانة المسيحية.

الفصل الأول عنونته ب: الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية، اشتمل على مبحثين: الأول بعنوان: التعريف بالصحراء الجزائرية من خلال موقعها الجغرافي، مساحتها، تضاريسها وتركيبها الجغرافي، مناخها وكل خصائصها الطبيعية، إضافة إلى تركيبها السكانية والقبائل التي سكنتها، زيادة على طرق ومراحل اكتشافها من طرف الرحالة العرب والمستكشفين الأوروبيين، والمبحث الثاني تحدث عن الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية على اعتبار أن الاحتلال و التنصير متلازمان وكل منهما يمهد للآخر، وذلك من خلال التعرف على دوافع الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية وأهم المعارك التي تم من خلالها إخضاع سكان الصحراء الجزائرية.

الفصل الثاني كان بعنوان: أساليب المنصرين في العمل التنصيري، احتوى على مبحثين: المبحث الأول بعنوان الأساليب المباشرة للتنصير، حاولت توضيح أهم الطرق والوسائل المباشرة المستعملة من طرف الكنيسة الكاثوليكية لإنجاح عملية التنصير في مختلف المناطق كعقد المؤتمرات وإصدار الكتب والزيارات البابوية،

وفي المبحث الثاني تحدثت عن أهم الطرق والوسائل الغير مباشرة التي استعملها المنصرون لتحقيق أغراضهم الخفية كالطب والتعليم والخياطة، مع الإشارة إلى أن هذه الوسائل تتغير حسب الظروف والأوضاع التي يعيشها السكان.

أما الفصل الثالث فقد عنونته بنشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية في الصحراء الجزائرية، تفرّع إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يدرس نشاط الكاردينال لافيغري في الصحراء الجزائرية، والدور البارز الذي قام به لتنصير سكان الصحراء الشرقية خاصة، والمبحث الثاني درس نشاط فرقة إخوان الصحراء المسلحين التي كان لها دوراً هاماً في محاولة التنصير بالمنطقة، واستعملت قوة السلاح لتحقيق أهدافها، وجاء المبحث الثالث ليبحث في أعمال شارل دوفوكو بالصحراء الجزائرية خاصة في بني عباس وتمنراست.

يتكون الفصل الرابع الذي جاء بعنوان: مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري، من مبحثين الأول يدور حول دور الزوايا والطرق الصوفية في مواجهة التنصير، نظراً لأن الصحراء الجزائرية كانت مرتعاً للزوايا وأرض خصبة لانتشار الطرق الصوفية كالسنوسية، التيجانية، القادرية وغيرها التي لعبت دورها في تصحيح العقيدة الإسلامية من الشوائب والبدع والخرافات كما كانت الزوايا منابر علمية هامة في مقاومة هذه الظاهرة الخطيرة، وتطرقت في المبحث الثاني عن موقف عامة سكان الصحراء من النشاط التنصيري وطرق

مواجهتهم له، خاصة سكان وادي ميزاب الذين كان لهم دور فعال في هذا المجال.

ثم ختمت البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها، فضلا عن تزويد البحث بمجموعة من الملاحق والفهارس للأعلام والأماكن وفهرس الموضوعات، إضافة إلى المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة.

فصل تمهيدى:

بين

التنصير والتبشير

1- مفهوم التنصير:

-التنصير لغة:

تُرجع الكثير من المعاجم اللغوية كلمة تنصير إلى الفعل نصّر واشتقاقه نصره ينصره تنصيراً أي جعله نصرانياً، وهو الدعوة إلى اعتناق النصرانية،¹ وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.... " والفطرة هنا هي الإسلام، وتنصر الشخص أي دخل النصرانية، فصار من النصارى²، قال تعالى: "...الذين قالوا إنا نصارى"³. ولما ورد مصطلح النصارى في القرآن، أصبح النصارى يطلقون على أنفسهم المسيحيين بدلاً عنه.

و "التنصر": الدخول في النصرانية.

وفي المحكم: الدخول في النصرى، ونصره جعله نصرانياً⁴

وفي القاموس المحيط: "النصرانية والنصرانة واحدة النصارى، والنصرانية أيضاً دينهم، ويقال نصراني وأنصار، وتنصر دخل في دينهم ونصره جعله نصرانياً...."⁵.

والنصرانية نسبة إلى نصرانة وهي قرية المسيح في أرض الجليل، ويطلق عليها كذلك ناصرة ونصورية⁶.

1- محمد بن ناصر الشثري، الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2003، ص11.

2- ابن منظور، لسان العرب، مج4، دار المعارف، القاهرة، ص 4441.

3- سورة المائدة، الآية 14.

4- ابن منظور، المرجع السابق، ص4441.

5- مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ص483.

6- أكرم كساب، التنصير مفهومه جذوره أهدافه أنواعه وسائله صولاته، مركز التنوير الإسلامي، ص27.

-التنصير اصطلاحاً:

يقصد به تحويل البشرية إلى المسيحية باستخدام جميع الوسائل والسبل المتعددة، مشروعة كانت أو غير مشروعة، وبتعبير آخر هو إعداد الخطط وتطويرها لتحويل المسلمين إلى النصرانية باستغلال الجهل والفقر والظروف والحاجات الإنسانية، بهدف إخراجهم عن دينهم¹.

وورد تعريفه في الموسوعة الميسرة بأنه: حركة دينية سياسية استعمارية بدأت الظهور إثر الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة والمسلمين خاصة بهدف إحكام السيطرة على تلك الشعوب².

والتنصير هو الدعوة إلى اعتناق الديانة النصرانية ونبذ غيرها من الديانات الأخرى، سواء كانت سماوية أو غير سماوية³.

وحسب الدكتور إبراهيم عكاشة فإن التنصير هو قيام مجموعة من المنصرين باحتلال منطقة معينة والعمل على تنصير سكانها، وإنشاء كنيسة وطنية تؤول مسؤولياتها الإدارية والمالية تدريجياً للأهالي الذين يقومون بنشر النصرانية في المناطق التي لم يصل إليها المُنصرون، وهنا نجد الدكتور إبراهيم عكاشة يربط مفهوم التنصير بعملية الاحتلال حيث أن الاحتلال له علاقة مباشرة بالتنصير بل هو مرافق له⁴، فكثيراً ما حاولت فرنسا نشر المسيحية بالمناطق التي احتلتها في الجزائر مثل: منطقة القبائل والصحراء الجزائرية.

1- علي بن إبراهيم الحمد النملة، التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص11.

2- مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان، ط1، الرياض، 1988، ص159.

3- سلمان سلامة عبد الملك، أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1994م/1415هـ، ص22.

4- ابراهيم عكاشة، التبشير النصراني في جنوب السودان ووادي النيل، دار العلوم، الرياض، ص24-25.

فصل تمهيدي بين التنصير و التبشير

وعلى هذا الأساس فإن التنصير هو نشاط ديني¹ سياسي يهدف إلى نشر النصرانية بين الأمم المختلفة عامة وبين المسلمين خاصة، أو هو الجهد الكنسي الهادف إلى إدخال الشعوب في النصرانية ونشر المسيحية في كل بقاع الأرض والاستمرار في ذلك النشاط حتى نهاية الخليقة²، باستعمال مختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

وفي ضوء هذا نجد المسيحيين يعرفون التنصير بأنه: العيش والعمل من أجل المسيح، بل يرونه مطلباً دينياً أساسياً فهو بالنسبة لهم يعني تحويل الناس عن الأمور الدنيوية إلى ملكوت السموات، وهذا التحويل ضرورة مطلقة، إذ لا يمكن أن يكون هناك أمل للفرد والمجتمع دون إحياء الجانب الروحي لهم³، وهو عندهم أيضاً هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد، وكيفية الدعوة للمسيحية، والعمل على تشويه صورة الديانات الأخرى خاصة الإسلام⁴. أما المسلمون فيطلقون مصطلح نصرانية ونصارى وتنصير، استناداً لما جاء في القرآن الكريم حيث قال تعالى: "وقالت اليهود والنصارى"⁵، وقال كذلك: "لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى"⁶، وقال كذلك: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً"⁷، وجاء في السنة النبوية العديد من الأحاديث التي ورد فيها

1- عبد العزيز بن ابراهيم العسكر، التنصير في الخليج العربي، ط3، الدار العربية للموسوعات، الرياض، 1427هـ- 2007م، ص21.

2- أبي عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري، في مواجهة التنصير، ط1، مكتبة الإمام مالك، الجزائر، 2008، ص4.

3- محمد عثمان صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، ط1، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، 1989، ص31.

4- أكرم كساب، المرجع السابق، ص21.

5- سورة المائدة، الآية 18

6- سورة البقرة، الآية 120.

7- سورة آل عمران، الآية 67.

مصطلح النصارى حيث قال صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم"¹.

فالنصرانية تطلق على الدين المنزل من الله تعالى على عيسى عليه السلام وكتابتها الإنجيل وأتباعها يقال لهم النصارى نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين وهي التي ولد فيها المسيح²، وقد اعترف بها الإسلام كديانة لها زمنها، كما احترم أهلها، ولم يجبرهم على تغيير ملتهم أو ترك عقيدتهم لكنه ترك لهم حرية الاختيار، وسماهم بـ "أهل الكتاب" وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح ويسمون ديانتهم المسيحية، وفيما يلي نورد أهم القواعد التي تركز عليها الديانة النصرانية:

2- مصادر النصرانية:

يعتمد النصارى في استمداد عقائدهم وتشريعاتهم من مصدرين أساسيين هما: الكتاب المقدس والمجامع النصرانية:

1- الكتاب المقدس:

هو ما يعرف بالعهد القديم والعهد الجديد، فالعهد القديم هو التوراة والكتب الملحقة بها، والعهد الجديد يحتوي على سبعة وعشرين سفرا أهمها:

-إنجيل متى.

- إنجيل مرقس.

-إنجيل لوقا.

- إنجيل يوحنا.

1- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم 3445 من حديث ابن عمر، ج6، ص395.

2- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم الممل والنحل، تح: كسرى صالح العلي، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، 2011، ص241.

وهذه الكتب لا تعدو أن تكون كتب سيرة تذكر حياة المسيح عليه السلام وتؤرخ لها، ويذكر المؤرخون أن كتابة هذه الأنجيل لم يكن إلا بعد ميلاد المسيح، ورفعته بفترة زمنية طويلة، فإنجيل المسيح الذي تنزل عليه لم يكتب له البقاء وأن ما في أيدي النصارى الآن عبارة عن أباطيل وأوهام، جمعت وكتبت بيد البشر يعترئها النقص والعيب¹، قال تعالى: " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله، ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون"².

2-المجامع النصرانية:

هي هيئات شورية في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنيسة، وهي نوعان:

-مجامع محلية تبحث في الشؤون المحلية للكنائس التي تتعقد فيها.
-مجامع مسكونية " عالمية " تبحث في العقيدة النصرانية ومواجهة بعض الأمور التي يرى غرابتها ومخالفتها للديانة المسيحية، ومن أشهر المجامع المسكونية نذكر:

أ-مجمع نيقية سنة 325م، انعقد بسبب الاختلاف بين الكنائس حول حقيقة المسيح هل هو بشر أم إله؟.

ب-مجمع القسطنطينية سنة 381م انعقد لمناقشة روح القدس مخلوق أم إله.

ج-مجمع أفسس سنة 431م انعقد بسبب الاختلاف حول طبيعة المسيح هل له طبيعة إلهية أو إنسانية بشرية؟ وهل مريم والدة الإله أم والدة الإنسان؟.

د-مجمع خلقيدونية سنة 451م انعقد لمناقشة طبيعة المسيح فتقرر فيه أن للمسيح طبيعتان إلهية وبشرية.

1- أكرم كساب، المرجع السابق، ص 30.

2- سورة البقرة، الآية 79.

هـ-المجمع الثامن 869م انعقد بسبب الاختلاف في الروح القدس هل انبثق من الأب أم من الإبن أم من الأب والإبن معا؟ .

و-المجمع الثاني عشر سنة 1215م تقرر فيه أن العشاء الرباني يتحول إلى جسد ودم المسيح.

ي-مجمع روما 1769م تقرر فيه عصمة البابا في روما¹.

3-إنحراف النصرانية:

إن النصرانية كديانة منزلة من السماء لا تعدو أن تكون شرعاً ربانياً غير أن ما لحق بها من انحرافات غير معالمها حتى أصبحت ديانة طغت عليها الأهواء والأوهام، وذلك لعدة أسباب منها:

-الديانات السابقة للإسلام وكل الله حفظها لأهلها قال تعالى: "....بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء"².

- كانت هذه الديانات لفترة محدودة ولأمة مخصوصة، حيث يقول المسيح عيسى عليه السلام: " إنما بعثت لخراف بني إسرائيل الضالة"³.

- الاضطهادات التي تزامنت مع نشأة النصرانية، والتي كانت وراء محاولة قتل المسيح، واستمرت تعذيباً وتكليلاً حتى جاء الملك قسطنطين فرفع عن النصارى تكيل الرومان واليهود، لكنه لم يلبث أن لحق بالنصارى تكيل جديد هو تكيل النصارى بالنصارى المخالفين لهم في الرأي كما في قضية التثليث.

- ضياع الإنجيل ويقصد بذلك ضياع النسخة الأصلية أي إنجيل عيسى السلام، أما ما عرف فيما بعد فهي أناجيل منسوبة إلى أصحابها وهي مليئة بالأخطاء.

1- أكرم كساب، المرجع السابق، ص 30.

2- سورة المائدة، الآية 44.

3- إنجيل يوحنا، الإصحاح 10 .

- المجامع النصرانية التي هي أشبه بلجنة شورى أو هيئة استشارية تفعل بالديانة المسيحية وبعقائدها ما تشاء.
- التأثر بالفلسفات الوثنية ويظهر ذلك في الكثير من عقائدها وعباداتها منها:
 - * التثليث هي عقيدة موروثه عن الهنود البوذيين.
 - * الصلب فداء البشر عقيدة وثنية موروثه عن الهنود.
 - * الاعتقاد أن إلهها تجسد وولد من عذراء هو اعتقاد وثني قديم عند الهنود وقدماء المصريين.
- دخول بعض الشخصيات في النصرانية بتأثيرات سابقة مثل: بولس شاول اليهودي، أثينا غورسالأثيني، وثيوفيلوس الأنطاكي، قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية¹.

4- الطوائف النصرانية:

بعد ضياع النسخة الأصلية من الإنجيل الحقيقي أخذ النصارى يتخبطون في عقائدهم حتى أصبحت النصرانية فرقا عديدة ومذاهب شتى، على أن المذاهب التي تعرف بها النصرانية الآن هي ثلاث مذاهب هي: الكاثوليك، الأرثوذكس، البروتستانت.

***الكاثوليك**: هم أتباع البابا في روما، وأكثر الأوروبيين، تسمى كنيستهم بالكنيسة الغربية، وأهم ما يتميزون به:

- 1-قولهم أن الروح القدس انبثق من الأب و الإبن معا.
- 2-يبيحون أكل الدم والمخنوق.
- 3-البابا في الفاتيكان هو الرئيس العام على جميع الكنائس الكاثوليكية.
- 4-تحريم الطلاق تماما حتى في حالة الزنا².

1- أكرم كساب، المرجع السابق، ص 31.

2- نفسه، ص 32.

*الأرثوذكس: هم النصارى الشرقيون الذين تبعوا الكنيسة الشرقية في القسطنطينية، ينتشر هذا المذهب في أوروبا الشرقية وروسيا، وأهم ما يتميز به:
1-الروح القدس انبثق من الأب فقط.

2-تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا فإنه يجوز عندهم.

3-لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد، فكل كنيسة مستقلة بنفسها.

*البروتستانت: يسمون الإنجيليين، هم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا، كان يناادي بإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها، ينتشر هذا المذهب في ألمانيا وبريطانيا وبعض المناطق من أمريكا الشمالية¹، وأهم ما يتميز به البروتستانت:
1- الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالندم والتوبة وأن صكوك الغفران² هي دجل وكذب.

2-لكل واحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته وليس حكرا على الكنيسة.

3-تحريم الصور والتماثيل في الكنائس باعتبارها من مظاهر الوثنية.

4-منع الرهبنة.

5-العشاء الرباني تذكار لما حل بالمسيح من الصلب، وأنكروا أن يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح.

6- ليس لكنائسهم رئيس عام يتبعونه³.

5-أهم العقائد النصرانية:

ترتكز النصرانية على عقائد خاصة بها أهمها:

1- أكرم كساب، المرجع السابق، ص 33.

2- هي صكوك اعتقد المسيحيون أنها تمحو الآثام وتغفر الذنوب والمعاصي ما تقدم منها وما تأخر، تغسل الذنوب حتى يصبح المذنب طاهرا، ثم لا يمكن أن تؤثر فيه الذنوب مهما ارتكب من خطايا. أنظر: محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص158.

3- أكرم كساب، المرجع السابق، ص33.

1-التثليث: تقوم فكرة التثليث على الإيمان بإله واحد مؤلفاته ثلاثة شخوص: الأب، الإبن، الروح القدس، وهذه الثلاثة ظواهر لحقيقية واحدة، واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد.

2-الصلب والفداء: يعتقد النصارى أن المسيح صلب للتكفير عن خطيئة البشر، وهذا هو الأساس الثاني من معتقدات النصارى، ويعبر النصارى عنه بظهور الله في الجسد، حيث جاء بالشكل المنسوب للمسيح، وأساس هذا العنصر الثاني عند المسيحيين: أن من صفات الله العدل والرحمة، فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم، وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك طريقة للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسيط ابن الله و وحيد، وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ليكفر خطيئة البشر¹

6-الشعائر النصرانية:

لكل ديانة من الديانات شعائر تعرف بها والنصرانية كغيرها من الأديان لها شعائر خاصة بها، وهذه الشعائر حسب اعتقادهم تقربهم من الرب، وأهم هذه الشعائر:

***التمعيد:**

التمعيد كان موجودا قبل المسيح عليه السلام، حيث كان يحي عليه السلام يعمد في نهر الأردن، لذلك سمي يحيي المعمدان، وتتم طريقة التعميد عن طريق رش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، ويشترط أن يكون ذلك بمعرفة كاهن يعمد الشخص باسم الأب، الإبن، الروح القدس، ولم تتفق النصرانية على وقت واحد للتمعيد، إذ يمكن أن يكون في الطفولة حتى

¹- محمد أبوزهرة، المرجع السابق، ص101.

ينشأ الطفل مبرأ من العيوب، وعلى فراش الموت، بحجة أن التعميد إزالة للسيئات، ويمكن أن يكون في أي وقت¹.

***العشاء الرباني:**

يرمز به إلى العشاء الأخير الذي تناوله المسيح عيسى عليه السلام مع تلاميذه وحوارييه، واقتسم معهم الخبز والنبيد، فالخبز يرمز لجسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض، ويطلق على هذا الطعام أسماء عديدة منها: القربان المقدس، والمشاركة المقدسة، والطعام المقدس².

***تقديس الصليب:**

فكرة تقديس الصليب سابقة لصلب المسيح عليه السلام كما يعتقد النصارى، فقد ورد في إنجيل لوقا: " إذا أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني"³، وبعد صلب المسيح عليه السلام، قويت فكرة تقديس الصليب فأصبح أداة تذكّر النصارى بصلب المسيح.

***الإعتراف بالخطيئة:**

يقصد بها أن يذهب المذنب إلى الكاهن فيبوح له بما اقترفه من ذنوب، فيحصل منه بذلك على المغفرة، وقد كان الاعتراف يتكرر عدة مرات في الحياة، ولكن منذ سنة 1215م، أصبح لازماً مرة واحدة على الأقل. ويضاف إلى هذه الشعائر شعائر أخرى كحضور القسيس عند الزواج وعند الموت⁴.

1- زينب عبد العزيز، تنصير العالم، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1415هـ-

1995م، ص55.

2- أكرم كساب، المرجع السابق، ص35.

3- إنجيل لوقا، الإصحاح 9.

4- أكرم كساب، المرجع السابق، ص 36.

7- أهم العبادات في النصرانية:

1- الصلاة: عبارة عن أدعية تختار من سفر المزامير الذي يقولون عنه أنه خزانة ذهبية لصلوات داوود النبي وغيره من الأنبياء، وليس للنصارى عدد معين من الصلوات كل يوم، وقد كان من المقرر عندهم صلاتان فقط ثم أضافوا لها حتى أصبحت سبع صلوات، كما أن الصلاة عندهم ليس لها ترتيب خاص، إنما هي أدعية تختلف من مكان إلى مكان وأهم صلواتهم:

- صلاة البكور.

- صلاة الساعة الثالثة.

- صلاة الساعة السادسة.

- صلاة الساعة التاسعة.

- صلاة الساعة الحادية عشرة.

- صلاة منتصف الليل¹.

2- الصوم: الصوم عند النصارى هو الامتناع عن الطعام من الصباح حتى منتصف النهار، ثم تناول طعام خال من الدسم، وأهم مواسم الصوم عندهم نذكر:

- يوم الأربعاء لأنه يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على المسيح.

- يوم الجمعة لأن المسيح صلب يوم الجمعة حسب اعتقادهم.

- صوم الميلاد، وعدد أيامه 43 يوماً تنتهي بعيد الميلاد.

- الصوم المقدس وعدد أيامه 55 يوماً.

- صوم الرسل.

- صوم العذراء، مدته 15 يوماً.

- صوم أهلنيوى مدته 3 أيام، ويبدأ يوم الاثنين¹.

¹- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص103.

من خلال ما سبق يتضح لنا مدى التحريف الذي لحق بالديانة النصرانية، ذلك أن النصرانية الحقيقية تدعو إلى التوحيد الكامل، وعبادة الله وحده، والقرآن الكريم يثبت أن عيسى عليه السلام ما دعى إلا إلى التوحيد، وهذا بقوله تعالى: "يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، إنك أنت علام الغيوب، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شئ شهيد."²، فهذا نص صريح لسيدنا عيسى عليه السلام يوضح فيه أنه ما دعى إلا لعبادة الله، كانت دعوته تقوم على أساس لا توسط بين الخالق والمخلوق، دعى إلى الزهد والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي لأن تقوم عليه الحياة³.

8-تطور حركة التنصير:

بدأ التنصير مع ظهور النصرانية حيث كان مطلباً جاء به الإنجيل لنشر الدين النصراني، وقد هاجرت طائفة من النصارى يقال لها "النساطرة"⁴ من "الرها"⁵ سنة 457م إلى "فارس" وأنشئوا فيها مدرسة انتشرت منها حملات التنصير على الطريقة النسطورية إلى آسيا وبلاد العرب، واستعانت هذه الحملات التنصيرية بالفلسفة اليونانية لنشر التعاليم الخاصة حول طبيعة المسيح، ثم توالى

1- أكرم كساب، المرجع السابق، ص37.

2- سورة المائدة، الآية 117.

3- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 13.

4- نسبة إلى نسطور(380-451م).

5- هي مدينة تقع بين الشام والموصل.

الاستعانة بالثقافات الأخرى كالفارسية والهندية وغيرها¹، جعلت هذه الديانة تخرج عن أصولها الأولى التي جاء بها عيسى عليه السلام، بعد ذلك ظهر دور بولس أو شاول الذي كان يهوديا يضطهد النصارى، ثم تنصر فسعى إلى نشر النصرانية لذلك يعتبر هو المنصر الأول وواضع أسس التنصير العالمي، ولا يزال المنصرون يأخذون عنه خططهم وترتيباتهم، ثم تعاقبت حملات التنصير التي تزعمها في الجهة الغربية من فلسطين اليعاقبة²الذين اختلفوا مع النساطرة حول طبيعة المسيح³.

وعلى هذا الأساس، شرع المسيحيون في نشر ديانتهم بالعالم الروماني الذي كان يدين بالوثنية، حيث أخذت هذه الديانة في الانتشار بعد صراع مرير مع الوثنية، ثم تراجع نشاطها منذ أواسط القرن الخامس للميلاد لعدة أسباب، أهمها الفوضى والاضطراب السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي عرفته غرب أوروبا آنذاك وما تلاه من اجتياح الجرمان للقسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية، وما أعقب ذلك من خلاف مذهبي بين المسيحيين أنفسهم، مما جعل القائمين على حركة التنصير يوجهون نشاطهم لجمع شمل المسيحية تحت زعامة البابوية⁴.

1- عبد الجليل ثلبي، الإرساليات التبشيرية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص46.

2- نسبة إلى يعقوب الرهاوي، الذي كان راهبا بالقسطنطينية.

3- عبد الجليل ريف، الكاروز...التنصير في بلاد المسلمين، دط، مركز البحوث والدراسات الافريقية، ص16.

4- ممدوح حسين، مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، ط1، دار عمان، الأردن، 1416هـ- 1995م، ص 12.

ولعل أول علاقة بين المسلمين والنصارى كانت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أرسل وفد من المهاجرين إلى النجاشي ملك الحبشة، وما صاحب ذلك من نقاش حول طبيعة المسيح ونظرة الإسلام له، وعهد الخلفاء الراشدين كان حافلاً بالعلاقات مع النصارى نتيجة لامتداد الفتح الإسلامي في الشام ومصر وما وراءهما، تخللت هذه الفتوحات وقفات علمية كانت فيها مناقشات وحوارات حول موقف الإسلام من النصرانية¹.

وتجدر الإشارة إلى أن انتشار الإسلام، وتمكن المسلمين من فتح عدة أقاليم هامة من الإمبراطورية البيزنطية، ووصول حركة الفتوحات الإسلامية إلى غرب أوروبا، كان له أثره المباشر على تجميد حركة التنصير، ذلك أنها وجهت معظم اهتمامها في هذه الفترة لمواجهة انتشار الإسلام بين المسيحيين، لمدة تزيد عن الأربعة قرون، من بداية حركة الفتوحات حتى أواسط القرن 5هـ-11م، ورغم ذلك استطاعت في هذه الفترة تنصير شعبين كان لهما دور لا يستهان به في تاريخ أوروبا هما: النورمان والمجريون، على أن اغلب اهتمامها كان موجهاً ضد الإسلام ومقاومته، وإيجاد الوسائل الكفيلة للقضاء عليه، ومنذ أن بدأت أوروبا تستجمع قواها وتتخفف لشن هجومها على المسلمين أواسط القرن 5هـ-11م، دخلت الحركة الصليبية² في مرحلتها النشطة، ودخلت معها حركة التنصير هي الأخرى في هذه المرحلة الجديدة، وإذا كان من المعروف

1- محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ط2، نهضة مصر، مصر، 2004، ص60.

2- بدأت الحروب الصليبية سنة (491هـ-1098م) وانتهت سنة (690هـ-1291م). أنظر: عماد شرف، حقائق عن التبشير، ط1، المختار الإسلامي، القاهرة، 1975، ص ص25-29.

تاريخيا أن مقر الحركة الصليبية هو غرب أوروبا، فإنه من الطبيعي أن تكون هذه المنطقة أيضا هي مركز حركة التنصير¹.

أما عن ظهور هذا النشاط الواضح لهذه الحركة وتوجيهه إلى بلاد المسلمين، فإن ذلك يقتضي منا الإشارة إلى ما كان يجري في ساحات القتال بين المسلمين و الأوروبيين في بلاد الشام شرقا، وفي المغرب العربي الكبير والأندلس غربا إبان الحملة التي عرفت بالحملة الصليبية الثالثة، التي واجهها صلاح الدين الأيوبي بوحدة مصر والشام، في نفس الوقت كانت وحدة المغرب الإسلامي تحت لواء الدولة الموحدية، ذلك أن هاتين الوحدتين وما جرى بينهما من تنسيق وإن كان محدودا لمواجهة هذا العدوان، وما نتج عن ذلك من فشل تلك الحملة، كل ذلك كان نقطة تحول في تاريخ الحركة الصليبية، فقد أصبح عليها منذ ذلك الحين مواجهة جبهتين متماسكتين، إحداهما في المشرق بقيادة صلاح الدين الأيوبي وخلفائه من بعده، والثانية في المغرب بقيادة المنصور الموحدي، فأدرك القائمون على تلك الحركة مدى الخطر الذي أخذ يهدد الوجود الأوروبي في المشرق والمغرب الإسلاميين، وازدادت حدة هذا الخطر، عندما لم تغلح المحاولات العسكرية التي بذلتها الحركة الصليبية لتدعيم ذلك الوجود، فقد تحولت الحملة الصليبية الرابعة إلى القسطنطينية بدلا من مصر كما كان مقررا لها، فعاد الصليبيون مهزومين، وتوالت الهزائم في الحملة الخامسة والسادسة، كما ضاعت جهود لويس التاسع ملك فرنسا الذي أخفقت حملته على مصر وتونس اللتان عُرفتا بالحمليتين الصليبيتين السابعة والثامنة، وبقيام دولة المماليك

¹- ممدوح حسين، المرجع السابق، ص13.

على أنقاض الدولة الأيوبية تكبد الصليبيون خسائر فادحة بفضل حنكة ودهاء سلاطين هذه الدولة وحسن تقديرهم للأمور¹.

وفي ظل هذا الوضع الذي لم يزد الصليبيين إلا ضعفا، ظهرت حركة التنصير من جديد في صورة نظرية أو فكرة نادى بها بعض المفكرين الصليبيين هي ضرورة إتباع أسلوب آخر في صراع الحركة الصليبية مع المسلمين، هو أسلوب الصليبية السلمية، ليس ليحل محل الصليبية المسلحة، إنما ليكون مساندا لها، مما يؤكد فعلا أنهما انبثقا عن حركة واحدة ولتحقيق هدف مشترك، فكانا أشبه بوجهين لعملة واحدة، وظهر هذا التوجه بوضوح في مشاريع ونظريات الدعاة الصليبيين الذين عاصروا تلك الفترة ومن جاء بعدهم².

ويعتبر القديسان " فرانسيس " و " دومينيك " من أوائل من تحمسوا لهذه الفكرة ووضعوها موضع التنفيذ، فأسس كل منهما منظمة رهبان نسبة إليه لهذا الغرض هما منظمة الفرنسيسكان والدومينيكان، وحرص كل منهما على وضع منهاج واضح لرهبان منظمته وخطط تفصيلية للعمل، وقد سلكت كل من هاتين المنظمتين طريقا مستقلا تختلفان في بعض نواحيه وتتفقان في نواح أخرى، ولكنهما يجتمعان في وحدة الهدف والحماس للتنصير، وتحمل الصعاب والمشقات في هذا السبيل³.

فالقديس فرانسيس باشر جهوده بمرافقته للحملة المعروفة بالحملة الصليبية الخامسة التي توجهت لمصر، ولم يثنه فشله عن مواصلة جهوده، إذ

1- ممدوح حسين، المرجع السابق، ص15.

2- ممدوح حسين، المرجع السابق، ص16.

3- نفسه، ص 18.

لم يلبث أن أخذ يعد العدة لرحلة جديدة لممارسة نشاطه التنصيري في منطقة المغرب العربي، إلا أن مرضه أضطره لتغيير خطته والعودة إلى إيطاليا حيث لم يلبث أن توفي، فواصل تلاميذه ورهبان منظمته العمل لتحقيق طموحاته التنصيرية وفاء له¹.

أما القديس دومينيك فقد واجه في البداية حركة الألبجنسيين² لإعادتهم إلى الكاثوليكية فتمكن من إخماد ثورتهم، بعد ذلك وجه جهوده لمشاطرة الرهبان الفرنسيسكان نشاطاتهم ولم يلبث أن ازداد عدد الرهبان الذين انضموا إلى منظمته وصاحب ذلك ازدياد نفوذهما في أوروبا الغربية إلى حد كبير بسبب اعتلاء بعض رهبانها كرسي البابوية والعلاقات القوية التي ربطت بعضا منهم بالملوك والأمراء إلى درجة أنهما أخذتا توجهان الحياة الدينية وحتى السياسية أحيانا، فأصبح رهبانها عبارة عن جيش من المنصرين، كانوا على استعداد للذهاب إلى أي مكان في العالم لممارسة نشاطهم التنصيري³.

ومنذ اعتلاء البابا انوسنت الرابع كرسي البابوية أواسط القرن الثالث عشر للميلاد، نشطت حركة التنصير إلى حد كبير، ذلك أن هذا البابا أخذ على عاتقه توجيهها باستمرار ليوفر لها القدرة على النمو والتطور محاولا الاستفادة من هذا الجيش من المنصرين، وتذكر المصادر أنه كتب ما يزيد عن أربعة

1- ممدوح حسين، المرجع السابق، ص 19.

2- هي حركة دينية انشقت عن الكاثوليك في أوائل القرن الثالث عشر للميلاد في جنوب فرنسا. أنظر:

ممدوح حسين، المرجع السابق، ص 19.

3- نفسه، ص 21.

آلاف رسالة تتعلق بأمر التنصير، كما أرسل العديد من البعثات التنصيرية شرقا وغربا¹.

أما بالنسبة لمنطقة المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، فقد استحوذت على اهتمام حركة التنصير بصفة مستمرة لعدة عوامل أهمها: حنين الغرب الأوربي الدائم لأمجاد المسيحية الكاثوليكية في المنطقة قبل الفتح الإسلامي، زيادة على ذلك أهميتها الاستراتيجية وقربها من الغرب الأوربي، كما أنها تمثل الممر والمنفذ للقارة الإفريقية ككل، لذلك فإن حركة التنصير بدأت نشاطها في المنطقة منذ وقت مبكر يعود إلى عهد ضعف الدولة الفاطمية (909-1171م) وتمزقها إلى دويلات عديدة، ويظهر هذا من خلال رسالتي البابا الأولى سنة 1073م والثانية سنة 1076م، حيث يوصي فيها المنصرين بتحريض المسلمين ومن حولهم على الدخول في المسيحية ويحثهم على أن يكونوا القدوة الحسنة للمسلمين بتعاونهم وتوادهم، فتلك هي الطريقة المثلى في نظره لاجتذابهم إلى هذه الديانة، وليس بالاستعلاء عليهم والابتعاد عنهم².

على أن نشاط حركة التنصير في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، عادت من جديد وبشكل قوي بعد ظهور بوادر ضعف الدولة الموحدية، حيث أخذ رهبان منظمتي الفرانسيسكان والدومينيكان يتوافدون على المنطقة منذ مطلع القرن السابع هجري- الثالث عشر ميلادي، لتنفيذ مخططاتهم التنصيرية مستفيدين من ضعف الدولة الموحدية، مما جعل الفوضى تدب في المنطقة حتى تكونت لدى المنصرين قناعة بأن تحقيق هدفهم أصبح قريب المنال إلى

1- أكرم كساب، المرجع السابق، ص 144.

2- ممدوح حسين، المرجع السابق، ص 32.

حد أنهم كانوا في سنة 1263م يزفون التهاني لبعضهم البعض على ما اعتقدوا أنهم توصلوا إليه من نتائج مع أنها كانت أوهاما أقنعوا أنفسهم بها، إلا أن هذه الفرحة لم تكتمل، ذلك أن حركة التنصير في المنطقة سيكون مصيرها الفشل بفشل الحملة الصليبية التي قادها لويس الثاني دي بوربون سنة 1390م¹، مما كان له الأثر السيئ على النشاط التنصيري في المنطقة، وظل هذا النشاط مستمرا في بلاد المسلمين بالرغم من الآثار السلبية التي تركها، والأحداث التي تعرض لها المسيحيون كالضعف الذي أصاب البابوية، وحرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا².

وفي ظل الاستعمار والكشوفات الجغرافية دخلت حركة التنصير في طور جديد من أطوار حياتها والمتمثلة في تلك العلاقة الوطيدة والحميمة بين النشاط التنصيري والاستعمار وتعاونهما الكبير في سبيل تحقيق الأهداف التنصيرية، وقد لقيت حركة التنصير كل الدعم والمساندة من الكنيسة والحكومات الاستعمارية لجهودها في تثبيت أركان الاستعمار ومساعدته في التوسع وتعميق جذوره فأقامت لها المراكز ومنحتها شتى أنواع الدعم والمساعدة، وهذا ما حدث في الجزائر التي منذ احتلالها سنة 1830م بدأ التفكير في تحقيق الحلم القديم المتمثل في إعادتها إلى حظيرة المسيحية، فكانت أول الأعمال التي أقيمت بها هي محاولة كتابة تاريخ الكنيسة الإفريقية والعودة إلى العهد الروماني والبيزنطي، لمنح قاعدة تاريخية تضرب جذورها في الأعماق للعمل التنصيري، ومن أبرز الذين كرسوا جهودهم لهذا العمل الراهب جان مسناج Jean

1- أكرم كساب، المرجع السابق، ص142.

2- ممدوح حسين، المرجع السابق، ص ص 52-57.

Me'snage، ألف كتابه المسمى " المسيحية في إفريقيا"، الذي أحدث ضجة كبيرة في الأوساط الثقافية والكنسية، فكان " فرانسوا بورغاد" FrancoiBourgade، أكثر المنصرين نشاطا في هذه الفترة، بل يعتبر المجدد لهذه الحركة في المنطقة حيث استهل جهوده في الجزائر التي أقام بها عدة سنوات ينظم فيها نشاطات حركة التنصير ويحشد الطاقات والإمكانات لها ويشرف على توجيهها، وبعد وفاته، خلفه في ميدان التنصير منصر آخر فاقه نشاطا وحماسا هو الكاردينال لافيغري¹ الذي سنتحدث عنه بالتفصيل في المباحث الموالية.

مما سبق يتضح لنا أن الحروب الصليبية، كانت فعلا شكلاً من أشكال التنصير استعملت فيها القوة والغزو العسكري، وأن حركة التنصير هي إحدى إفرازات الحروب الصليبية بل أحد وجهيها، تأسست لتحقيق أهدافها، فيها نبتت، وبين ظهرانيتها نمت وترعرعت، فكانت مثلها تخرج من مرحلة لتدخل في مرحلة جديدة²، و خلال الحملات الصليبية كان يدور نقاش وحوار بين المسلمين والنصارى نتج عنه ظهور مؤلفات عديدة تناقش حقيقة النصرانية وترد على النصارى في زعمهم حول طبيعة المسيح، نذكر منها كتاب " المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل " للمسعودي، وكتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " لابن تيمية³.

1- ممدوح حسين، المرجع السابق، ص ص63- 75.

2- نفسه، ص 5.

3- علي بن ابراهيم الحمد النملة، التنصير في المراجع العربية، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1424هـ- 2003م، ص ص26-38.

ولم تفلح الحروب الصليبية في تشكيك المسلمين برسالتهم، بل زادتهم تمسكاً بدينهم، ومن جهة أخرى لا يمكن إغفال تأثير الحروب الصليبية، فقد زاد عدد الكنائس وبالتالي زاد عدد المنصرين¹، الذين استغلوا التنصير بعد الحروب الصليبية كمحاولة للتنفيس عن الهزائم العسكرية التي مُنيو بها في هذه الحروب².

كما أن مرحلة الاحتلال خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين هي أيضاً تعتبر امتداداً للحروب الصليبية وشكلاً من أشكال التنصير ولا يمكن إغفال العلاقة بينهما فالتنصير كان ممهداً للاحتلال والاحتلال مسهلاً لحملة التنصير بعد ذلك، وأخذ التنصير يأخذ طابع التنظيم من خلال وجود مجموعة من المؤسسات والجمعيات والإرساليات التنصيرية تنظمها وتدعمها الهيئات الدينية على اختلاف طوائفها، وظهرت للتنصير مؤسسات كالمعاهد والجامعات والمنظمات والمراكز المنتشرة في كثير من الأماكن³.

وعموماً فإن التنصير الذي جاء به الغرب المسيحي ليس تعبيراً عن صحة إيمانية نصرانية في المجتمعات الغربية، بل كان الأمر عكس ذلك، فمع تصاعد إفلاس النصرانية وكنائسها في الغرب بعد أن عزلتها العلمانية عن كل معارف وتطبيقات العمران الحضاري، بل وحتى عن معايير الأخلاق الإنسانية يتزايد النشاط التنصيري وبين المسلمين على وجه التحديد، وهذا من المفارقات العجيبة

1- عماد شرف، المرجع السابق، ص25.

2- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الإستشراقي الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج1، ط1، دار الدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص56.

3- علي بن ابراهيم الحمد النملة، التنصير في المراجع العربية، ص41.

بل هو اللامنطق في المد التنصيري الذي جاء من الغرب منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي¹.

ويبقى مفهوم التنصير قابلاً للتطوير بحسب ما يقتضيه الحال وبحسب البيئة التي يعمل بها، وبحسب التوجهات العقدية والسياسية التي تسيّر المنصرين وتسعى بهم إلى تحقيق أهدافهم داخل المجتمعات المختلفة².

ومن خلال ما سبق يمكن استنتاج أهداف التنصير وإجمالها في عنصرين رئيسيين هما:

* هدم الإسلام في قلوب المسلمين وإضعاف تلك الصلة القوية التي تربط المسلم بدينه.

* إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار والتحكم في قدراته وإمكاناته³.

9- مفهوم التبشير:

التبشير لغة:

جاء في لسان العرب: "البشر: الطلاقة" يقال بشرته فأبشر واستبشر، وتبشّر، وبشّر: فرح⁴، والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وتكون بالشر إذا كانت مقيدة⁵ مثل قوله تعالى: "إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم"⁶

1- محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي (دراسة في أعمال مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين)، ج3، سلسلة بحوث الثقافة والحضارة، ص47.
2- عبد الرزاق عبد المجيد أارو، التنصير في إفريقيا، الإدارة العامة للثقافة والنشر، المدينة المنورة، 2008، ص18.
3- أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1981، ص162.
4- ابن منظور، المصدر السابق، ص287.
5- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص350.
6- سورة آل عمران، الآية 21.

فأصل التبشير في اللغة: الإخبار بما يفرح ويدخل السرور في القلب، وفي قاموس الكتاب المقدس: "بشر تبشيراً: أبلغ الخبر الطيب - البشارة - وكان مخلصنا يبشر ويعلم في الهيكل وخارجه، وكثيراً ما كان يعظ في الجموع من البحر أو على الجبل، وأوصى تلاميذه من بعده أن يذهبوا ويبشروا جميع الأمم في الأقطار المسكونة¹."

يبين لنا قاموس الكتاب المقدس أن كلمة مبشر تطلق على من يعظ ببشارة الخلاص، متنقلاً من مكان إلى آخر، لا يستقر في مكان معين، هدفه التجول يعظ بالإنجيل ويؤسس الكنائس باسم المسيح.

التبشير اصطلاحاً:

هو اسم مرادف للتنصير يفيد السرور، وهو خداع كبير من النصارى ويقصد به الدعوة إلى النصرانية ومحاولة دفع الناس إلى الدخول فيها بثتى الوسائل، وهو أيضاً هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في المناطق التي يتوجه إليها المبشرون المسيحيون للتبشير فيها خصوصاً على الإسلام².

ويزعم النصارى أن المسيح هو من أذن لهم بالتبشير حين قال: " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلى هذا الأساس شرع النصارى في نشر المسيحية في مختلف المناطق وهناك من يرى أن الأناجيل التي يتداولها النصارى ورد فيها تكليف المؤمنين بها للانطلاق إلى أنحاء العالم لنشر تعاليم الإنجيل وما جاء به، بمعنى دعوة الناس إلى اعتناق النصرانية وتعليمهم أصولها وشرائعها³، حيث جاء في إنجيل متى: "اذهبوا

1- مجمع الكنائس الشرقية، قاموس الكتاب المقدس، ط6، مكتبة المشعل، بيروت، 1981، ص 173.

2- سلمان سلامة عبد الملك، أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1994، ص19.

3- بلقاسم الحناشي، الحركات التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تقديم: عبد الجليل التميمي، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، ص37.

وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به.....¹

وجاء في إنجيل مرقس: " اذهبوا إلى العالم وكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها، فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن...."²

من هذا المنطلق أخذ النصارى أسس وأسباب نشرهم للمسيحية استناداً إلى ما جاء في الإنجيل، وأطلقوا على هذا مصطلح "التبشير" وهو مشتق من كلمة "إنجيل" في اللغة اليونانية التي تعني "البشرى"، ونشر ما جاء فيها من تعاليم يعد "بشارة" و "تبشيراً"³.

وقد ذهب المسيحيون إلى أبعد من ذلك حيث يقول القس زويمر " إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية-فإن هذا تكريماً لهم-.....إنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية....."⁴

والواقع أن المصطلح الأنسب لهذه الحركة هو التنصير وليس التبشير⁵ لعدة اعتبارات منها:

أ- التبشير يكون بما هو أقوى وأكمل وأشمل، وليس بما هو أضعف، والنصرانية لا تخلو من التحريف، لذلك فهي لا تتصف بالكمال، وهي ديانة مؤقتة خاصة

1- إنجيل متى، الإصحاح 28.

2- إنجيل مرقس، الإصحاح 16.

3- عبد الفتاح اسماعيل غراب، العمل التنصيري في العالم العربي، مكتبة البدر، ص15.

4- جابر قميحة، "آثار التبشير والإستشراق على الشباب المسلم"، مجلة دعوة الحق، ع/116، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1412هـ-1991م، ص36.

5- محمد عمارة، معركة المصطلحات، ص60.

بقوم و بجنس معين، عكس الإسلام الذي يتسم بالكمال والشمولية والدقة، قال تعالى: "إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً"¹.

ب- التبشير يكون بما هو حق بعيد عن التحريف.

ج- التبشير يكون بما هو إلهي خالص، ولا يكون بما هو مرفق بفلسفات مادية لا معنى لها.

د- ورد ذكرهم في القرآن الكريم باسم " نصارى " في عدة مواضع، كما جاء النص الصريح في السنة النبوية بتسمية تغيير الفطرة إلى النصرانية بالتنصير، لذلك ينبغي التركيز على كلمة التنصير والمنصرين بدل التبشير والمبشرين.

هـ- مصطلح التنصير معناه في اللغة الدخول في النصرانية، أما التبشير فهو مأخوذ من البشارة².

وعلى هذا الأساس ارتأينا أن نطلق لفظ "تنصير" على الحركة التنصيرية، لأن مصطلح التبشير لا يعبر إلا عن وجهة نظر المنصرين وهو يتنافى مع الواقع. ورغم اختلاف المصطلح بين التنصير والتبشير إلا أن الأهداف تبقى واحدة، فالمسيحين يسعون إلى صرف المسلمين عن دينهم، وإخضاعهم للحضارة والثقافة المسيحية، إضافة إلى إحداث التفرقة بين الدول والشعوب عن طريق بث الدسائس والفتن والمؤامرات³.

وخلاصة القول أن دراسة ظاهرة التنصير لها أهمية بالغة على اعتبار أن هذه الظاهرة لها علاقة مباشرة بالدين والحضارة والثقافة الإنسانية، وعليه فهو يهدد الأمن الروحي والحضاري والثقافي بشكل مباشر لهذا فإن مواجهته مسؤولية يشترك فيها الجميع.

1- سورة الفتح، الآية 8.

2- محمد بن ناصر الشثري، المرجع السابق، ص 14.

3- علي بن ابراهيم الحمد النملة، التنصير في المراجع العربية، ص 59.

الفصل الأول:

الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

* المبحث الأول: التعريف بالصحراء الجزائرية

* المبحث الثاني: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية

تمهيد:

كانت الصحراء الجزائرية ولا زالت جزء من المخطط التنصيري المسيحي باعتبارها باب مفتوح للوصول إلى إفريقيا وطريق مباشر أمام المنصرين للتوغل فيها، فمنذ اكتشافها اهتم بها المسيحيون اهتماماً كبيراً، حيث نجد أن الإنجليز والألمان كثفوا من إرسال البعثات الاستكشافية إلى الصحراء خلال القرن 18 م وبداية القرن 19م، كما اهتمت فرنسا بما كتبه الرحالة العرب المسلمون عن الصحراء كابن حوقل والإدريسي وابن بطوطة والحسن الوزان وغيرهم، ثم حاولت معرفة الطرق الصحراوية التي تخترقها من الشمال إلى الجنوب أو من الغرب إلى الشرق، وأرسلت الكثير من المغامرين إلى الصحراء الذين قدموا معلومات هامة ساعدت فرنسا فيما بعد على التوسع فيها، كل هذا سنتناوله في هذا الفصل، حيث سنتعرف على الصحراء الجزائرية في المبحث الأول من حيث الخصائص الطبيعية والبشرية، والبعثات والإرساليات الأوروبية لاكتشاف الصحراء، وفي المبحث الثاني نحاول التعرف على دوافع الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ومراحل ذلك على اعتبار أن عملية التنصير كانت مرافقة لاحتلال المنطقة .

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

المبحث الأول: التعريف بالصحراء الجزائرية.

1- معنى الصحراء:

الصحراء من الأرض: المستوية في لين وغلظٍ دون القُفّ، وقيل هي الفضاء الواسع، وزاد ابن سيده: لا نبات فيه، قال ابن شميل: الصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا آكام ولا جبال ملساء، وأصحر المكان أي اتسع وأصحر الرجل: نزل الصحراء، وأصحر القوم: برزوا في الصحراء، وجمع الصحراء فيما قال ابن سيده: صحراوات وصحاري، وفيما قال الجوهري: صحاري وصحراوات¹.

2- الخصائص الطبيعية للصحراء الجزائرية:

- الموقع:

تعتبر الصحراء الجزائرية جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً، ومن السلسلة الأطلسية شمالاً إلى بلدان الساحل جنوباً، تقدر مساحة الصحراء الكبرى بثمانية ملايين كيلو متر مربع تشترك فيها كل من جنوب المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا ومصر في الشمال، وموريطانيا والصحراء الغربية من الغرب².

أما الصحراء الجزائرية فتغطي أكثر من 80% من مساحة الجزائر أي 2مليون كم²، و 20% من مساحة الصحراء الكبرى، تقع الصحراء الجزائرية في وسط شمال إفريقيا يحدها من الشمال سلسلة الأطلس الصحراوي ومن الجنوب مالي والنيجر، من الشرق ليبيا ومن الغرب المغرب وموريطانيا³، يمكن

¹- ابن منظور، المرجع السابق، ص2403.

²- احميدة عميراي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916م، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص11.

³-G.Rolland,Hydrographie et orographie du Sahara Algérien, Société de Géographie, Paris, 1886, P 7.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

تقسيم الصحراء الجزائرية من حيث البنية التضاريسية إلى أربعة أقسام أساسية هي:

القسم الأول: يقع في الجهة الشمالية الشرقية، وهو منطقة منخفضة بحوالي أربع وعشرين متراً عن مستوى سطح البحر، تنتشر فيها الواحات مثل: واحة الزيبان، واحات وادي سوف، وادي ريغ، وهي منطقة غنية بالبتروول.

القسم الثاني: يتمثل في الجزء الشمالي الغربي وهو منطقة هضبية ذات تكوينات جيرية منها: هضبة الحمادة التي تمتد في الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية، وهضبة تادمايت الفسيحة الممتدة بين دائرتي عرض 27 و 30 درجة شمالاً، ترتفع إلى علو يصل إلى ستمائة متر تغطيها طبقة من اللون الأحمر القديم تعلوها طبقة غطاء صحراوي حديث اشتق منها بفعل الرياح على الخصوص بعدما شاركت تدفقات السيول في تكوينه.

القسم الثالث: وهو الذي يأخذ القسم الأكبر من الصحراء الجزائرية يتمثل في الجزء الجنوبي الغربي منها، وهو عبارة عن مساحة واسعة تعرف بالرق وهي صحراء حصوية خالية من مظاهر الحياة مثل رق تنزروفت، تغطيها الكثبان الرملية أهمها العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، عرق شاش، عرق ايقيدي، عرق الراوي وغيرها.

القسم الرابع: يشمل المنطقة الجنوبية الشرقية من الصحراء الجزائرية تمثلها منطقتين: الأولى هي منطقة التاسيلي التي هي عبارة عن صخور صلصال رملية شاهقة ومتقطعة عثر فيها على أقدم الرسومات التي تعبر عن حياة ومناخ المنطقة في القديم، أما الثانية فهي منطقة الهقار التي تبلغ مساحتها حوالي

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

500000 كلم² خمسمائة ألف كيلو متر مربع، وهي عبارة عن صخور بركانية قديمة بها أعلى قمة " طاهات" التي يبلغ ارتفاعها 2918م¹.

-المناخ:

يتميز المناخ في الصحراء الجزائرية بسقوط الأمطار على الأطراف الشمالية، أما الجنوب فأمطاره ترتبط بأمطار المنطقة المدارية التي تتميز بفصلين متباينين هما الصيف الممطر والشتاء الجاف، وبذلك فالمطر في الصحراء له فترتين إحداهما تبدأ من شهر نوفمبر إلى شهر جانفي عندما تهب الرياح الشمالية الغربية الممطرة على الأطراف الشمالية، والثانية تبدأ من شهر ماي إلى شهر سبتمبر عندما تهب الرياح الموسمية على الأطراف الجنوبية، فظاهرة الجفاف التي تعرفها الصحراء تعود إلى الارتفاع الكبير في درجات الحرارة مقابل قلة تساقط الأمطار².

-الأودية الصحراوية:

تتميز الأودية الصحراوية بأنها فجائية وعديمة الانتظام، تتبع من الأطلس الصحراوي وتصب في الشطوط، وأحيانا تختفي وسط الرمال ليس لها جوانب مضبوطة ولا حدود معينة، تنقسم حسب منابعها إلى أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي وأودية الهقار، فالأولى تسير على طول السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي وتغوص مياهها في الرمال لتظهر مرة أخرى في شكل عيون فيضية أو آبار ارتوازية قامت عليها واحات النخيل في إقليم ميزاب بالأطراف الشمالية، ومن أهم هذه الأودية: وادي جدي، وادي الطويل وادي الأبيض كلهم يصبون في شط ملغيغ³.

¹ -G.Rolland,Op.Cit,p 4.

² - عميرواياحميدة وآخرون، المرجع السابق، ص13.

³ -Daumas,LeSaharaAlgerien,Langlois et leclerco, Paris, 1845,p144.

- شط ملغيغ هو منخفض واسع الأرجاء تحيط به الكثبان الرملية وعلى حوافه النباتات الصحراوية المتنوعة، تغمره المياه في فصل الشتاء

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

وفي الجهة الجنوبية الغربية نجد أودية عديدة مثل: وادي زرقون، وادي الناموس، وادي الساورة، أما أودية الهقار فتظهر في شكل شبكة منحدره في عدة جهات أهمها: وادي تافاساست الذي يربط الهقار مع دولة النيجر.

-الموارد المائية:

تحتوي الصحراء الجزائرية على موارد مائية معتبرة خاصة الباطنية منها في المنخفض الشمالي الشرقي الذي يخزن كمية هائلة من المياه قدرت بحوالي 60000 مليار متر مكعب، إضافة إلى المياه السطحية المتمثلة في مياه الأودية المنحدرة من الأطلس الصحراوي وبعض الأودية الأخرى مثل: واد قير، واد الساورة، واد الأبيض بنواحي بسكرة وواد مزي بناحية الأغواط، وللأمطار تأثير مباشر على الأودية ونظام جريانها، فنادرًا ما نجد جريان الأودية أو فيضانها¹.

-الغطاء النباتي:

للمناخ علاقة مباشرة بالنبات، لذلك تنتشر بالصحراء الجزائرية نباتات قليلة نظراً للمناخ القاسي، وأغلب النباتات شوكية تعرف بتحملها للحرارة والجفاف باستثناء الواحات التي تتواجد بها بعض أنواع النباتات ومنها أشجار النخيل المنتجة للتمور والطماطم².

-الحيوانات الصحراوية:

تعيش في الصحراء الجزائرية حيوانات عديدة مثل الغزلان، والذئاب والجرذان والأفاعي والزواحف المتنوعة والطيور، إلا أن أهم حيوان تتميز به الصحراء هو الجمل المعروف بسفينة الصحراء، وسمي كذلك لاستطاعته تحمل الجوع والعطش مدة طويلة، ويستعمل في النقل والمواصلات والسباق.....

¹- عميرايو احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص 16.

²- G.Rolland, op. cit, p4

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

كما أنه ينتج لسكان المنطقة الحليب واللحم والجلود والوبر لصناعة الملابس والخيام، إضافة إلى هذا تنتشر تربية الأغنام والماعز في بعض المناطق من الصحراء مثل: الواحات وأطراف الصحراء¹.

- أهم مدن وواحات الصحراء الجزائرية:

تمثل واحات الصحراء الجزائرية عالما مستقلا بنفسه، تحمل الكثير من الخصائص المشتركة بينها، أبرزها قلة موارد المياه السهلة الاستغلال باستثناء تاغيت وبني عباس، أما أغلب الواحات الجزائرية، فإن استخراج الماء فيها بواسطة الآبار الارتوازية والفقارات يتطلب مجهودا بشريا كبيرا، لأن طبقة الماء تقع على عمق كبير تحت سطح الأرض، على هذا الأساس تنقسم الواحات الجزائرية إلى مجموعتين أساسيتين:

1- المجموعة الشرقية التي تروى أراضيها الآبار الارتوازية.

2- المجموعة الغربية التي تروى أراضيها بنظام الفقارات².

فالمناطق الشرقية، في أسفل وادي أغرار، توجد كثير من العيون الكبيرة التي يطلق عليها السكان اسم " البحر "، وهي عبارة عن بحيرات صغيرة يصل عمقها لثلاثين أو أربعين مترا، على شكل ثقوب ومنافذ لطبقة جوفية كبيرة من الماء، وهذه المناطق هي التي تنتج منها أفضل أنواع التمور في العالم والموجهة للتصدير.

وما يميز الواحات الجزائرية المنتشرة عند أقدام جبل الأطلس هي أنها قريبة من التل وسهلة المنفذ، والواحات الشرقية مجتمعة في حوض كبير عند

¹- LabléBargés, Le Sahara et le Soudan, Just Rouvier, Paris, 1853, p20.

²- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص139.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

أقدام الأطلس، وأكثر هذه الواحات توغلا في الجنوب واحة " ورجلة " التي تبعد عن الأطلس بنحو 300 كيلومتر¹.

أما الواحات الغربية فهي منتشرة في مساحة واسعة وتتخذ شكل شريط ضخم بين الأطلس الصحراوي عند فيقيق على الحدود المغربية من جهة، وواحة عين صالح من جهة أخرى، وهذا الشريط يمتد على مسافة 1200 كلم طولا، يربط بدون انقطاع الأطلس بقلب الصحراء عند جبال الهقار، وهذا الشريط يتمثل على التوالي من الشمال إلى الجنوب فيما يلي: الساورة، قورارة، توات، تيديكلت، وهذه الواحات ترويه مياه الفقارات التي تمثل نظام مائي هام لا يقل أهمية عن الآبار الإرتوازية².

و الفقارات عبارة قنوات عريضة تحت الأرض، عمقها قد يصل إلى 60 أو 70 متر تحت سطح الأرض، وعلى طولها تمتد سلسلة من فوهات للتهوئة، وهي كلها مما حفره السكان بجهد وعناء كبير في العصور الحديثة، ولضمان وصول المياه إلى الواحة بشكل مستمر، تحتاج إلى مياه تجري على مستوى مرتفع وأعلى من مستوى البساتين، بحيث ينحدر الماء إليها ليروي النخيل وأشجار الفواكه دون أن يحتاج الأمر إلى مجهود بشري لرفع الماء، فالآبار الارتوازية والفقارات توفر هذا الشرط، مما توفر الوقت والجهد للإنسان³.

ونشير إلى أن توزيع الماء لأغراض الري في الواحات بين المستغلين يجري بواسطة أدوات دقيقة تستعمل لحساب الماء على أسس مضبوطة، وإحدى هذه الأدوات عبارة عن ساعة مائية تحسب زمن جري الماء، والثانية تشبه مشطا يثبت على رأس شبكة من قنوات الري تقسم بين أسنانها جميع المياه

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 140.

2- نفسه، ص 140.

3- محمد ساقني، " الفقارة تراث أثري مندثر بقصور عين صالح بتيديكلت"، آفاق علمية، ع/2، مج9، 2017، ص 177.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

المتوفرة بمقياس يحسب كميات المياه الموزعة على أساس حقوق المستغلين لها، كما أن ملكية المياه وحق استغلالها يخضع لقوانين دقيقة تفرضها العادات والأعراف التي يسير عليها سكان الواحات منذ قرون عديدة¹.

وما يميز واحات الصحراء الجزائرية كذلك هو الفن المعماري الذي يأخذ طابعا خاصا سواء في المدن أو في القصور التي هي عبارة عن قرى محصنة بأسوار مبنية بالطين لضمان سلامة سكانها من غارات المعتدين، وعلى الرغم من تواضع مواد البناء فكانت المنازل مبنية بطريقة لا تخلو من التعقيد حيث تحتوي على عدة أدوار يتم الوصول إلى العليا منها بدرج، فواحات الصحراء الجزائرية في أغلبها تأخذ طابع الحضارة الشرقية القديمة، وهذا راجع لتيارات الهجرة عبر الصحراء منذ القدم، فضلا عن تيارات التبادل التجاري الذي كان يجري بواسطة القوافل التجارية من مراكز الحضارة في الشرق نحو الغرب، ومن الشمال نحو الجنوب².

ومن واحات الصحراء الجزائرية التي كان لها دور بارز قديما وحديثا نذكر:

* **واحة الزيبان:** مفردها " الزاب "، كانت تشمل سهول الحضنة ومدنها الواقعة عند السفوح الجنوبية للأطلس، وهي مقره وطبنة، أما الآن فتطلق على امتداد غير فسيح عند سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة والصحراء، وعاصمة الزيبان هي بسكرة، والزيبان عبارة عن ثلاث مناطق متميزة ومتصلة هي:

- **الزاب الظهراوي:** هي المنطقة التي تقع فيها طولقة وليشانة وبوشقر ونوفوغالة، وكلها تعتمد على النخيل وتنتج أجود أنواع التمور، وتروي آبار إرتوازية.

1- محمد ساقني، المرجع السابق، ص 181.

2- اسماعيل العربي، المرجع السابق، 142.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

-الزاب الغربي: من أهم مناطقها ليوه والصحيرة والمخادمة وبنطوس وأوماش، وهي أيضا تعتمد على زراعة النخيل وتسقى بمياه الآبار الإرتوازية

- الزاب الشرقي: أهم قره سيدي عقبة، الدروع، سيدي خليل، وهذه المنطقة تروى بمياه الأودية التي تنحدر من جبال الأوراس.

كانت منطقة الزيبان مثل كثير من مناطق الشمال الإفريقي الجنوبية مسرحا لغارات التخريب والتدمير التي كان يشنها العرب من بني هلال في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، على أن الموحدون سوف يدفعون بهذه القبائل في اتجاه الجنوب في القرن الثالث عشر ميلادي، لكن بطنا من بني سليم الداوودة استقروا في الزاب الغربي وتخلوا عن حياة الرحل، كما استقر بطن آخر وهم الكرفة في الزاب الشرقي¹.

* واحة طونقة:

منطقة زراعية تعتمد على النخيل يصل مجموع انتاجها من مختلف الأنواع إلى 21000 طن سنويا، و" دقلة نور " هي أجود أنواع التمور التي تنتجها المنطقة، وتمثل نصف انتاجها، وإلى جانب التمر تنتج كميات لا بأس بها من الخضراوات والفواكه، وهذا بفضل نوعية التربة ووفرة المياه للري².

* واحة طبنة:

ذكرها ابن حوقل فقال: " إنها مدينة قديمة كثيرة البساتين والزرع والقطن والحنطة والشعير....."³، وقال عنها البكري: " أنها مدينة كبيرةوهي مما افتح موسى بن نصير....وسورها مبني بالطوب وبها قصر أو رياض....."⁴، كما وصفها الإدريسي وألح على أهميتها التجارية حيث قال: " وطبنة مدينة

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص143.

2- نفسه، ص144.

3- أبي القاسم ابن حوقل، المسالك والممالك، مطبعة بريل، لندن، ص68.

4- أبي عبيد البكري، المسالك والممالك (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب)، مكتبة المثنى، بغداد، ص 52.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

الزاب، هي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزرع والقطن والحنطة والشعير.... بها صنائع وتجارات وأموال والتمر بها كثير وكذلك سائر الفواكه.¹.

* واحة بسكرة:

هي أجمل الواحات الجزائرية، مصدر لثروة عظيمة من التمر، تقع على خط طول 42 درجة شرقا ودائرة عرض 27 درجة شمالا، هي أهم واحات الزيبان وأكبر المناطق إنتاجا لدقلة نور التي هي من أجود أنواع التمور في العالم، كانت بسكرة من المراكز العسكرية المحصنة التي شيدت لحماية الزاب في العهد الروماني، وفي عهد بني حماد كان يحكم المدينة ومنطقة الزاب مجلس من رؤساء البلد وأعيانهم، وكانت أسرة بني رمان أقوى الأسر في منطقة بسكرة وأكثرهم عددا، كانوا يملكون معظم الأراضي المجاورة للمدينة، وفي عهد بلكين بن محمد حاول جعفر ابن رمان زعيم القبيلة الثورة على الملك الحمادي، لكن الثورة قمعت وافتتحت المدينة عنوة².

وقد وصفها البكري بقوله: "... فيها مدن كثيرة، وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة...."³.

وبعد بني حماد انتقلت بسكرة لعهد الموحيدين، وبانهيار دولة الموحيدين وتفككها وقعت تحت حكم الحفصيين، ولما خرجت من سلطان الحفصيين بقيت نحو ثلاثين سنة مستقلة، وفي القرن 17م احتفظت ببعض أهميتها بفضل ما كانت تتمتع به من موارد اقتصادية، وبعد نزول الحملة الفرنسية، استطاع الأمير عبد القادر الاستيلاء عليها، لكن في سنة 1844م وقعت تحت سيطرة الجيش

1- أبي عبد الله محمد الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 1، ص 1، مكتبة

الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 24.

2- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 147.

3- أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص 53.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

الفرنسي الذي اتخذها قاعدة عسكري من قواعد الجنوب ووضعها تحت الحكم العسكري المباشر¹.

* واحة الأغواط:

تبعد الأغواط عن مدينة الجزائر بحوالي 250 ميل، تقع على خط الطول 55 درجة شرقا ودائرة عرض 48 درجة شمالا، يبلغ ارتفاعها عن مستوى البحر 2400 قدما، تقع على واد مزي الذي ينبع من جبل عمور وينتهي، بعدها يحمل اسم واد جدي، تمتد في منبسط من الأرض، وتشرف على منحدرات، يحميها سور وبها قلعة كانت تستعمل ثكنة، وفي جنوب غربي المدينة وجنوب شرقيها تمتد بساتين النخيل التي ترويتها قنوات تتفرع من واد مزي، وهذه النخيل ليست من النوع الجيد لكنها تسد حاجات سكان المنطقة².

كانت الأغواط في القرن الرابع الهجري، مدينة صغيرة تحيط بها عشائر قبيلة مغراوة، لكن الغزو الهلالي أتى إلى المنطقة بعناصر عربية مثل الدواودة وأولاد بوزيان، بنوا فيها قصورا مثل: بومنل، وقصبة ابن فتوح، وبدلة، وفي فترة لاحقة كان تاريخ الأغواط يمتاز بصراع من أجل السلطة بين أولاد سرغينة الذين يقطنون الجهة الجنوبية الغربية من المدينة، والحلاف الذين يقطنون الجهة الشمالية الشرقية.

وفي عام 1727م تمكن بايالتيطري من بسط نفوذ الأتراك في المنطقة وجمع الضرائب على سكانها، إلى غاية مجئ الفرنسيين الذين جعلوا منها قاعدة من القواعد العسكرية الفرنسية في الجنوب³.

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، 149.

2- نفسه، ص150.

3- نفسه، ص152.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

* **واحة المغير:** تبعد عن بسكرة حوالي 120 كلم، يعيش سكانها على الزراعة التي يغلب عليها النخيل¹.

واد ميزاب: تبعد عن الجزائر العاصمة بنحو 600 كلم، هي معقل الخوارج الإباضيين في المغرب لجؤا إليها بعد عراك ونضال دام أجيالا طويلة في سبيل عقيدتهم الدينية، وتبدأ قصة نزوح الإباضيين في اتجاه الجنوب بتخريب أبي عبد الله الشيعي لمدينة تيهرت (296هـ - 908م) التي أسسها عبد الرحمان بن رستم، عقب ذلك انتقل آخر الأئمة الرستميين يعقوب بن أفلاح على رأس من بقي من أتباعه إلى منطقة ورجلة وهناك أقام في مكان يبعد بحوالي 14 كلم عن هذه المدينة، ثم قرر أن يؤسس هناك مدينة سماها " سدراتة " التي عرفت ازدهارا كبيرا وعمرانا واسعا خلال القرن 4هـ و5هـ - 10م و11م².

يتكون واد ميزاب من سبع مدن، خمسة منها أنشئت على واد ميزاب في فترات متقاربة ما بين سنة 402هـ - 1012م، وسنة 474هـ - 1092م، وهذه المدن هي: العطف - بنور - يسجن - مليكة - غرداية، وأما القرارة فتأسست سنة 1040هـ وتلتها بريان التي تأسست سنة 1060هـ³.

واحة ورجلة (ورقلة): تمتد بين تقرت على حوالي 200 كلم، وصفها الإدريسي بالعبارات الآتية: " هي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلادهم.... ومن ورجلان إلى غانة 30 مرحلة ومن ورجلان إلى قفصة 13 مرحلة"⁴.

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، 149..

2- حمو محمد عيسى النوري، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، ص107.

3- ريمون فيرون، الصحراء الكبرى، تر: جمال الدين الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص86.

4- أبي عبد الله محمد الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 25.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

اشتهرت ورجلة عبر العصور بالحركة التجارية، لموقعها الممتاز بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب وعند ملتقى عدد من الطرق التي تنطلق منها وتمر بها بين سجلماسة وتمبكتو وغانة وتوات وغرداية وتلمسان والجريد ووادي سوف وغدامس، وفي جميع هذه الطرق كانت القوافل تنقل إلى ورجلة أو عبرها منتجات الشمال لاسيما الأواني النحاسية ومنتجات الحديد والزجاج والمقتطفات المرجانية والعطور والتمور والتين المجفف والمنسوجات القطنية والحريية والقمح والملح والجلود المدبوغة والأصبغة والحلي والخيول، كما كانت تنقل من الجنوب في اتجاه الشمال، التبر وريش النعام والرقيق الأسود.

عرفت الواحة كذلك بالنشاط الزراعي خاصة النخيل، إضافة إلى الخضر والبقول والقمح والشعير وأشجار التين والرمان وبعض النباتات الصناعية كالقطن والتبغ والبقول السوداني، أما الاقتصاد الحديث في المنطقة فيقوم على استغلال آبار النفط والغاز الطبيعي المتواجد في حوضين رئيسيين هما: حوض عين أمناس، وحوض حاسي مسعود الذي اكتشف سنة 1956م¹.

-**واحة الواد:** تبعد حوالي 100 كلم عن الحدود الجزائرية التونسية، تعرف باسم مدينة الألف قبة.

-**تقرت:** هي عاصمة طبيعية لمنطقة وادي غير².

-**واحة توات:** تبعد بحوالي 1500 كلم عن مدينة الجزائر، تشتمل على عدد من الواحات والمدن والقصور متناثرة هنا وهناك على رمال الصحراء وأشبه بالأرخبيل، تقع جنوب غرب الصحراء الجزائرية بين دائرتي عرض 30 و 26 درجة شمالا وخطي طول 4 درجة غربا و 1 درجة شرقا، تمثل امتداد طبيعي لمنخفض تنزروفت نحو الشمال، تقع هذه الواحة حاليا ضمن امتداد أدرار،

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 160.

2- عمير اوي احميدة، المرجع السابق، ص 21.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

تيميمون، عين صالح، فالأولى كانت تعرف بتوات، والثانية قورارة (الواحة الحمراء) والثالثة تيديكلت (عين صالح)¹.

تعتبر امتدادا للهقار من الناحية الإنسانية حيث تشكل حلقة وصل بين طوارق الجزائر وطوارق مالي، وأردار منطقة فقيرة من الناحية الزراعية فهي لا تنتج سوى الشعير والدخن، ومع ذلك فإن أغلب سكانها يعيش على الزراعة وتربية الحيوانات، خاصة التمور إلا التمر الذي تنتجه أدرار ليس من النوع الجيد، يصدر جزء منه إلى مالي والنيجر مقابل استيراد المواشي، ومؤخرا عرفت المنطقة انتشار واسع لزراعة الطماطم منذ سنة 1972م على مساحة قدرت ب 800 هكتار².

-**واحات الساورة:** هي الواحات الواقعة على واد الساورة، تشمل كل من واحة تاغيت الواقعة بين العرق الغربي الكبير وامتداد الصحراء الصخرية (الحمادة)، وواحة بني عباس بمدينة بني عباس المبنية على تلة صخرية على الضفة اليسرى لواد الساورة، بها قصور سياحية هامة منها قصر بني عباس، قصور بني حسان، قصر أولاد رحو، قصر القصبية وغيرها، يقول عنها مولاي بالحميسي: " نزلنا قرى بني عباس، وهي ثلاث قرى متصلة في سفح جبل صغير على شفر الوادي، فيها نخل كثير وفاكهة وبساتين حسنة، وفيها ساقية من الماء الجاري العذب..."³، وهي تابعة لمدينة بشار حاليا التي عرفت فيما سبق باسم كولومب بشار نسبة للجنرال كولومب⁴.Colomb.

1- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 13.

2- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 189.

3- مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 67.

4- عميرايو احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص 21.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

الهقار والتاسيلي: الهقار أو الأهقار هي عبارة عن تشكيلات جبلية بركانية ذات تاريخ عريق ضارب في أعماق الزمن، تقع في أقصى الجنوب الشرقي بمدينة تمنراست، هي مقر نشاط الأب شارل دوفوكو، والتاسيلي ناجر هي سلسلة جبلية بمدينة إليزي في الجنوب الشرقي للجزائر¹.

الإمكانات الاقتصادية للصحراء:

تزرع الصحراء الجزائرية بإمكانات طبيعية واقتصادية هائلة ومتنوعة منها:

-**المعادن:** تم اكتشاف معادن متنوعة في مناطق مختلفة من الصحراء منها:

*مناجم الفحم والحديد والمنغنيز والنحاس والرصاص بمنطقة بشار.

-احتياطي هام من الحديد والفحم والرصاص بمنطقة تندوف.

***البتترول:** تحتوي الصحراء الجزائرية على خزان هام من البترول والغاز من أهم الآبار نذكر:

-آبار البترول في حاسي مسعود جنوب ورقلة.

- آبار ايدجلي éedjel وتقنتورين.

***حقول الغاز:** في حاسي الرمل، عين صالح وأدرار²

3-التركيبة السكانية:

يخضع سكان الصحراء الجزائرية للظروف الطبيعية التي يعيشونها مثل الحرارة ونقص المياه، وعلى هذا الأساس ينقسم سكان المنطقة إلى صنفين:

البدو والحضر، فالبدو هم الذين يعيشون حياة التنقل بحثاً عن المياه، والحضر يعيشون داخل قرى أو ما يسمى عندهم بالقصر الذي يعتبر الخلية الأساسية للتنظيم الاجتماعي والسياسي وهو أيضاً مركز تجاري وزراعي، لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر فالبدو يمثلون وسيلة اتصال بين القصور

1- عميرايو احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص 21.

2- نفسه، ص ص 22، 23.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

الصحراوية وهمزة وصل بينها وبين الساحل بفضل ترحالهم الدائم من الواحات الجنوبية إلى غاية التل، كما يساهمون في نقل المواد المصنعة في الحواضر وجلب المواد الطبيعية من السودان¹.

ومن جهة أخرى يتكون سكان الصحراء الجزائرية من ثلاثة أجناس أساسية هي: الأمازيغ (البربر) - الشعانبة-المستعربون (الزنوج)²، ونفصلهم كآتي:

1-البربر (الأمازيغ):

هم السكان الأصليون الحقيقيون وهم نتاج اندماج شعبيين سكنوا شمال إفريقيا منذ أزمنة بعيدة هما: الليبيون في الشرق والجيتوليون في الغرب، ويتميز البربر بخصائص تميزهم عن غيرهم، فهم يتكلمون لغة تختلف عن اللغة العربية، كما يختلفون عن العرب من حيث المظهر الخارجي والبنية الجسدية³، ومنهم:

***الطوارق:** يتمتع الطوارق بخصائص أصيلة تميزهم عن جميع القبائل الصحراوية، يحملون اللثام الذي اشتهروا به واتخذوه إشارة ورمزا لهم منذ أقدم العصور، فهو عادة عريقة اتخذها قدماء الطوارق لحماية الفم والمناخر من تسرب الأرواح الخبيثة إليه حسب اعتقادهم، يتحدثون لغة تماشق، وهي لهجة بربرية انحدرت من لغات البربر الليبية التي سادت شمال إفريقيا في القرن 5 قبل الميلاد، يعيش شعب الطوارق مثل جميع القبائل الرحل على رعي الماشية، تعتبر الأهقار مركز الطوارق والمعقل الذي استعصى على النفوذ الأجنبي⁴.

1- فيليكس جاكو، حملة الجنرال كافيناك في الصحراء الجزائرية أبريل- ماي 1847، تر: حليلة بابوش، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2013، ص271.

2- Mission dans le sud Algerien, Questions Sahariennes(touat- chaamba-touarg), 1890, p52.

3- أ.فغوتبييه، ماضي شمال إفريقيا، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاولت الثقافية، 2010، ص124.

4- حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2018، ص28.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

والطوارق ينقسمون إلى ثلاثة فروع أساسية هي:

- طوارق تاسيلي ناجر .

-طوارق الأهقار .

- طوارق أدرار إيفوغاس¹ .

كما ينقسمون إلى عدد من القبائل وكل قبيلة تنقسم إلى أفخاذ وعشائر، فطوارق الهقار يتكونون من ثلاثة قبائل هي: "كلّ رولة" و " تيغيه ملت" و " طيطوق"² * إضافة إلى الطوارق هناك عناصر أخرى من البربر سكنت في الصحراء، مثل قبائل بني مزاب وزناتة التي استقرت في أقصى الجنوب بواحات القرارة، توات وتيديكت³ .

2-الشعانية: ينحدر الشعانية من علاق بن عوف من بني سليم، جاؤوا إلى إفريقيا الشمالية مع الموجة الأخيرة للغزو الهلالي في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وقد استقرت الجماعة الأولى للشعانية في منطقة متليلي التي تقع على بعد 15 كلم من غرداية، ومنها أخذت تنتشر في مناطق أخرى من الصحراء⁴ .

فهاجر بطن " المواصي " إلى القليعة في القرن 16 ميلادي، واتجه بطن "بوروبة " شرقا إلى ورقلة، بينما هاجرت بطون أخرى عقب ثورة بوعمامة إلى المناطق الشمالية الغربية من الصحراء، وبصفة عامة ينقسم الشعانية إلى قسمين متنافسين هما: " الشارقة " وهو تقدمي منفتح، والآخر " الغراية " وهو محافظ منغلق⁵ .

¹- ريمون فيرون، المرجع السابق، ص98.

²- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص176.

³- ريمون فيرون، المرجع السابق، ص 86.

⁴- حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص31.

⁵- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 163، 165.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

3- المُستعربون: يتكون جزء كبير منهم من السود أو الزنوج، يمثلون الرقيق الذين حُرروا في أكثر الأحيان، يقومون بالأعمال اليدوية خاصة الزراعية¹. ولا تربط العرب بالبربر علاقات حميمة إلا إذا كان ذلك يخدم مصالحهما معا، لكن بمرور الزمن انصهرت هذه العناصر فيما بينها لتشكل مجتمعا واحداً متجانساً له نفس العادات والتقاليد²، وقد زاد الدين الإسلامي من ترابطهم وتأخيهم³، ورغم اختلاق أجناس السكان، وقساوة الطبيعة إلا أنهم متمسكون بأرضهم ومتكيفون مع الظروف الطبيعية المختلفة، يتصفون بالبساطة والتواضع وطيبة النفس.

4- اكتشاف الصحراء الجزائرية:

تبين الدراسات الأثرية على وجود بقايا بشرية، وحضارات قديمة ترجع إلى آلاف السنين، وهو ما يدل على وجود حياة في الصحراء الجزائرية قديماً، وتجدر الإشارة إلى أن المنطقة لم تكن صحراء قاحلة، إنما كانت مناطق ذات أمطار غزيرة ونباتات كثيفة⁴، وكل ما نعرفه عن الصحراء في هذه الفترة عبارة عن آثار تعرف بالرسوم الحجرية وصور على الصخور مثل رسوم التاسيلي التي ترجع إلى خمسة آلاف سنة، احتفظ فيها إنسان التاسيلي والطوارق بلغتهم وآدابهم وفنونهم⁵.

وقد ظهرت حركة تجارية واسعة بين الشمال والجنوب في العهد القرطاجي أقيمت على إثرها أسواق نشيطة ومزدهرة على مشارف الصحراء، بهدف تبادل السلع المتنوعة التي كانت تحملها القوافل التجارية محملة بالذهب والجلود وريش النعام والعبيد قادمة من الصحراء، مقابل الأقمشة والحلي والملح والأحجار

1- ريمون فيرون، المرجع السابق، ص86.

2- فيليكس جاكو، المصدر السابق، ص267.

3- أ. ف. غوتيه، المصدر السابق، ص124.

4- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص45.

5- حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص15.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

الكريمة من طرف القرطاجيين، والراجح لدى المؤرخين أن القرطاجيين قد بلغوا نواحي الصحراء الشرقية إلى حواف مدينة تبسة وواحة سوف، وكانت لهم علاقات تجارية مع بلاد السودان عن طريق البر¹.

وفي عهد الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا أنشأ الرومان قلاعاً وقواعد عسكرية على التخوم الشمالية للصحراء، وهذا لمراقبة تحركات السكان ومحاولة منهم للسيطرة على المنطقة²، ووصلوا إلى بلدة سوف وحلوا بها، وتعمقوا في أرضها، بنوا فيها مدن وقرى خاصة بجنوب شرقها مثل سندروس التي توجد فيها آثارهم، وكذلك في قمار والرقيبة التي تقع في جنوب غرب الوادي على بعد أربعين كيلومتر³.

ورغم ضآلة وقلة المعلومات التي قدمها قدماء اليونان والقرطاجيين والرومان عن الصحراء الجزائرية، واقتصارها على بعض الجوانب دون الأخرى إلا أنها تعتبر بمثابة مفاتيح لعالم الصحراء الجزائرية، ولمحات تثير لنا طريق الصحراء، وهي مهمة وتعتبر مصادر أولية لا يمكن الاستغناء عنها⁴.

ويرجع الفضل للرحالة العرب المسلمين في اكتشاف عالم الصحراء الجزائرية، والذين قدموا معلومات مفصلة عن مناطق الصحراء الجزائرية والتنظيم الاجتماعي لشعوبها، كما أثنوا مرارا على كرم أهلها وحسن ضيافتهم، أمثال ابن حوقل (ت 367هـ - 977 م) في القرن 10م⁵، الذي أشار في كتابه "المسالك والممالك" إلى قبائل تعيش داخل الصحراء بأسماء مازالت مستعملة عند بعض

1- حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص ص 16، 18

2- إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1851-1912، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 37.

3- حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص 19.

4- نفسه، ص 34.

5- عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 138.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

مجموعات الطوارق، كما وضع خريطة هامة لأقاليم الصحراء، تعد من المصادر التي يعتمد عليها لمعرفة أسماء الأماكن، ومسالك وطرق الصحراء¹. أما اليعقوبي فيذكر في كتاب أهم المدن والمناطق الصحراوية التي زارها أو مرّ بها مثل: ودان، وارجلان وغيرها²، ويتحدث البكري (ت 487هـ - 1094 م) في القرن 11م³ عن الصحراء وصولاً إلى غانا، وقدم الشريف الإدريسي (ت 561هـ - 1165 م) أثناء القرن 12 م⁴ في كتابه نزهة المشتاق خريطة للتضاريس ومجاري المياه، وتحدث عن بدو الصحراء بأنهم أصحاب إبل، لا يقيمون بمكان واحد، يلبسون الصوف، وغذائهم من ألبان الإبل ولحومها⁵. وأورد ابن بطوطة (ت 979هـ - 1377 م) في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار" كل ما تعلق بالجهة الشرقية، كما تحدث عن الهقار حيث يقول عن التوارق: "وصلنا بلاد هقار، وهم طائفة من البربر ملثمون وكان وصولنا إلى بلادهم في شهر رمضان، وسرنا في بلاد هقار شهراً، وهي قليلة النبات، كثيرة الحجارة، طريقها صعبة."، وتوغل في المنطقة ووصل إلى داخل السودان وسجل كل ملاحظاته على المنطقة وسكانها منها قوله: "...فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم..... وعدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة..... ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضرب أولادهم عليها....."⁶ ويقول أيضاً: "ومن مساوئ أفعالهم جعلهم التراب والرماد على رؤوس الخدم والبنات الصغار تأديباً....."⁷.

1- أبي القاسم ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 32، 73.

2- اليعقوبي أحمد، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 183.

3- أبي عبيد البكري، المصدر السابق، ص ص 66، 77.

4- الهادي الدالي، عمار هلال، دراسة في حركات التبشير والتنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002، ص 15.

5- أبي عبد الله الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 20.

6- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، مصر، 1958، ص 203.

7- نفسه، ص 204.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

أما ابن خلدون فينسب أهل الهقار إلى فروع هوارة، فيقول أنهم من هكارة أحد فروع هوارة، وإليهم ينسب هذا الجبل (جبال الهقار)، ويضيف كذلك: " هم المثلثون الموطنون بالفقر وراء الرمال بالجنوب،فاصحروا عن الأرياف ووجدوا المراد وهجروا التلول وجفوها، واعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها، انتبأذا عن العمران واستئنفا بالانفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا من ريف الحبشة جوارا وصاروا ما بين بلاد البربر.¹"

كما قام الرحالة الحسن الوزان (ت 957 هـ - 1550م) برحلة إلى الصحراء مع بداية القرن 16 م قدم من خلالها معلومات هامة عن المنطقة² منها: " لا تحمل هذه الصحار اسم دارج بيننا، بيد أنها تنقسم إلى خمسة أقسام، أطلق على كل منها اسم القوم الذين يسكنون فيه، ويجدون وسائل معاشهم، أولئك النوميديون الذين ينقسمون إلى خمس مجموعات هي: الزناتة، الونزيقبة، الطارقة، اللمتة، البرداوة.³"

وقام العياشي برحلة إلى الشرق في القرن 17 م، سلك من خلالها عبر الطرق والمسالك الصحراوية بالمغرب الأوسط انطلاقاً من سجلماسة، وسجل ملاحظاته حول هذه المناطق في كتابه المسمى " رحلة العياشي" ومما جاء فيه: "ثم ارتحلنا من هناك وبلغنا وادي جير وهو وادي كبير فسيح ملتف الأشجار كثير المرعى غامض المسعى، يجتمع إليه سيول من المساحات البعيدة.....وابتدأه من بلادنا.....ويمتد كذلك إلى ناحية الصحراء، والحمادة متصلة في جوانبه إلى أن يصل إلى أطراف الحمادة الكبير الذي بينه وبين سجلماسة ومن هناك تنقطع العمرة إلى أن يصل إلى أول قرى "وادي الأساور"

1- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973، ص370.

2- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ط2، بيروت، 1983، ص 40، 41.

3- نفسه، ص115

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

فتتصل قواه كذلك نحو من عشرة أيام إلى قرية من (توات) فينعطف يمينا في رمال كثيرة، وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة¹.

وقد كان للتجارة دور كبير في إدخال الإسلام للمنطقة على اعتبار أن الصحراء الجزائرية كانت ممراً وطريق عبور التجار المسلمين من الشمال إلى الجنوب، وهذا كان سبباً في توطيد العلاقات بين سكان جنوب المغرب العربي والممالك الصحراوية الجنوبية فازدهرت التجارة ونشطت بالمنطقة². استهوى هذا النشاط التجاري الدول الأوربية فعزمت على غزو الصحراء بداية بالتعرف على الطرق الصحراوية واستكشافها، ولهذا شرعت هذه الدول في تأسيس جمعيات جغرافية وعلمية تكفلت بإرسال بعثات استكشافية لتحقيق هذا الغرض³.

ومن هذه الجمعيات مثلاً: "الجمعية الإفريقية" التي تأسست سنة 1788م أرسلت في البداية ثلاثة رحالين هم "هورن مان" الألماني و"لوكاس" و"ليدبارد" في رحلات متتابعة تحت رعاية هذه الجمعية، لكنهم ماتوا جميعاً⁴. ثم أرسلت الجمعية بعد ذلك "هيوتون" الذي كان قنصلاً في مراكش، فبدأ رحلته سنة 1790م من مصب نهر غامبيا وتوغل نحو الداخل لكن بعد مدة انقطعت أخباره، ولم يعثر له على أثر، ليرسل بعده الأسكتلاندي "مونغبوبارك" Mongopark الذي كان طبيباً وصل سنة 1795م إلى ساحل غامبيا مكث هناك خمسة أشهر تعلم خلالها لغة الماندينغ وهي إحدى القبائل التي تعيش

1- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1601-1663، تح: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، مج1، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006، ص76.

2- نقولا زيادة، إفريقياات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، يناير 1991، ص49.

3- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص8.

4- زاهر رياض، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1956، ص111.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

هناك وتدين بالإسلام، وقد أعطى ببارك معلومات هامة للحكومة البريطانية عن المنطقة وحثها على احتلالها لتستحوذ على خيراتها وكنوزها.

كما أرسلت بريطانيا عدة بعثات أخرى بعد سنة 1815م لاستكشاف الصحراء ومجرى نهر النيجر منها رحلة الدكتور "أودني" ومعه الملازم "كلابرتون" والنقيب "ديكسوندينهام" سنة 1822م، الذين ألفا كتابا وضحا فيه بعض المعالم الجغرافية مثل: عدم اتصال بحيرة تشاد بنهر النيجر، كما تحدثا عن الإسلام بأنه دين غير متعصب وأن رؤساء الممالك التي ذهبوا لها ليسوا برابرة متوحشين، بل هم مثقفون ومتحضرين¹.

وجاء بعده مغامرون ومستكشفون كثيرون أمثال: "لاندر" سنة 1830م والنقيب "غوردونلانغ" و "رونيه كاييه" "Rene caille" الذي قام بعدة محاولات لاستكشاف الصحراء والوصول إلى الشرق نحو مصر والحجاز، لكن واجهته صعوبات عديدة جعلته يغادر تمبكتو عبر الجنوب الغربي الجزائري إلى المغرب ثم إلى فرنسا².

وبهذا يعتبر رونيه كاييه أول الفرنسيين المغامرين الذين توغلوا في أعماق الصحراء، على أن رحلته كانت حافزاً قوياً لبريطانيا بهدف إعادة إكتشاف الصحراء، فأرسلت الرحالة "جون دافيد سون" سنة 1836م لكنه قتل في تندوف، ثم أرسلت الألماني "هنري بارث" Henri Barth سنة 1850م الذي استطاع أن يقدم أمور هامة عن الصحراء، ونجح في جلب الكثير من المعلومات الجغرافية والجيولوجية والتاريخية كما ساهم في ربط العلاقات التجارية بين أوروبا والصحراء³.

¹- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20م، ط.خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص317.

²- إبراهيم مياصي، المرجع السابق، ص45.

³- P.vuillot, L'exploration du Sahara, Augustin challemelediteur, Paris, 1895, p11.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

وقبل وفاته سنة 1865م كتب مقالا حث فيه فرنسا على ضرورة استكشاف الصحراء الإفريقية وربطها بالجزائر، وذلك بمحاولة فهم طريقة تفكير سكان هذه المناطق واحترام معتقداتهم، كما نصح فرنسا بأن تحسن اختيار روادها، وأن تحمل السيف والبندقية في يد والكتاب والقلم في يد أخرى لتتوصل على نتائج باهرة¹.

بناء على هذا أولت فرنسا اهتماماً كبيراً بالصحراء وخاصة التعرف على الطرق الصحراوية ومسالك القوافل إلى السودان، وخلال البعثات الاستكشافية ودراسة كتب الرحالين والمؤرخين المسلمين توصلوا لمعرفة طرق القوافل الصحراوية الآتية :

1- طريق مراكش إلى تمبكتو: يمر على تارودانت وتاوريرت وتندوف ويخترق رمال ايقدي وعرق شاش، إلى تاوديني مروراً بأوتان وأروان ليصل إلى تمبكتو.

2- طريق فاس ومكناس إلى تمبكتو: يمر بقصبة المخزن وأم دريبينة باتجاه حوض واد غير إلى إيغلي، ثم حوض الساورة إلى توات ومبروك وتمبكتو .

3- طريق وهران وأرزيو إلى تمبكتو: يمر على خيثر ومشرية وعين الصفراء وفيقيق، يتبع مجرى واد زوزفانة إلى إيغلي حيث يلتقى بطريق فاس إلى تمبكتو.

4- طريق مدينة الجزائر إلى تمبكتو: يمر على البليدة وبوغار والأغواط وغرداية والقليلة وعين صالح ليلتقي بطرق توات إلى تمبكتو.

5- طريق سكيكدة وقسنطينة إلى أمقيد والهقار وتمبكتو: يمر على باتنة وبسكرة وتقرت، ورقلة والبيوض وأمقيد إلى مبروك وتمبكتو.

¹- زاهر رياض، المرجع السابق، ص113.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

6- طريق طرابلس إلى تمبكتو: يمر على سناون وغدامس وتيماسين والبيوض يتصل بطريق قسنطينة إلى تمبكتو¹.

عموماً توجد طرق أخرى كثيرة منتشرة في أقصى الصحراء الشرقية والغربية، لهذا كثف الفرنسيون نشاطهم الاستكشافي في الصحراء، حيث قام "دوكولومب" De colombe القائد الأعلى لدائرة البيض برحلة استكشافية إلى قصور الجنوب الغربي فبدأ رحلته منذ جانفي 1857م لاكتشاف قصور قورارة وتوات وتيديكلت التي وصفها بأنها جزر مخضرة وسط محيط من النار².

ومن أجل تسهيل مهمة الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري رسخت فرنسا لهذه المهمة الشاب "دو فيرييه" الذي بدأ رحلته من سكيكدة يوم 8 ماي 1859م إلى بسكرة عن طريق باتنة وقسنطينة، ثم غادر بسكرة يوم 13 ماي ليصل إلى قورارة بميزاب بعد خمسة أيام من السير، ثم إلى غرداية ومنها لمتليلي. وفي يوم 28 أوت غادر "دوفيرييه" متليلي ليصل في الفاتح سبتمبر إلى المنيعية لكنه لم يلقى الترحيب من سكانها فغادرها من طريق الغرب وبذلك تعرف على الطريق الشرقي والغربي من المنيعية إلى متليلي³.

رجع "دوفيرييه" إلى غرداية ثم إلى الأغواط ومنها اتجه نحو اكتشاف توات والتوارق، لكن عدم اطمئنانه لهذا الطريق جعله يتجه إلى الصحراء الشرقية، فانطلق من الأغواط سنة 1859م إلى القورارة ثم صعد إلى بسكرة ومنها إلى قسنطينة ليستريح قليلا⁴.

1- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 318، 319.

2- إبراهيم مياصي: المرجع السابق، ص 54.

3- Dominique casajus, Henri Duveyrier un saint- simonien au désert, ibis press, archives- ouvertes, 2007, p2.

4- يحي بوعزيز، "اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبه"، الأصالة، ع/72، رمضان 1399هـ- أوت 1979م، ص 54.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

وفي أول فيفري 1860م عاود رحلته إلى بسكرة، ثم إلى وادي سوف، ودخل بسكرة يوم 10 أفريل 1860م ليغادرها في جوان متوجها إلى مدينة الوادي محاولاً ربط علاقات تجارية بين فرنسا والتوارق بدعم من الوالي العام للجزائر، لكن مرضه الشديد حال دون تحقيقه ذلك ورغم ذلك قدم معلومات هامة حول هذه المناطق في كتابه "توارق الشمال" "les touareg du nord"¹.

وفي أواخر سنة 1860م قام الرائد "كولونييو" "colonieu" والملازم "بوران" "Burin" التابعان لدائرة البيض بمحاولة لاكتشاف قورارة وتوات لكنها كانت فاشلة، حيث أوصدت جميع الأبواب في وجههما، ولم يتلقيا الترحيب من قبل سكان المنطقة، الأمر الذي جعلهما يعودان إلى الشمال².

وفيما بين سنتي 1862م - 1867م، قام الرحالة "جرهارد رولف" "Gerhard roles" برحلات عديدة لاكتشاف الصحراء، حيث انضم إلى فرقة اللفييف الأجنبي الفرنسي التي كانت تعمل بالجزائر، وتعلم اللغة العربية، ثم اتجه إلى المغرب الأقصى وتجول في جنوبه، ومنه إلى وادي الساورة، إيغلي وبني عباس، ثم واحات توات وتديكلت وعين صالح، ثم إلى غدامس ومنها إلى طرابلس³.

وفي نفس الفترة قام الرحالة "بول سولييه" "PAUL Sleullet" برحلة من الجزائر العاصمة إلى عين صالح، حيث اتجه في يوم 6 ديسمبر 1872م إلى الجنوب الجزائري عن طريق الأغواط وغرداية ثم دخل متليلي ومنها إلى ورقلة، وقد قدم معلومات هامة حول هضبة تادمايت وما جاورها، استفاد منها الاستعمار الفرنسي في توسعه بمنطقة الجنوب⁴.

¹- Dominique casajus, op.cit, p2

²- ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 55.

³- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20م، ص323.

⁴- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص59.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

بعد هذه الفترة جاءت فكرة مد خط حديدي عبر الصحراء بغرض مواصلة الاستكشافات واستثمار خيراتها، فاتجهت الأنظار لإرسال البعثات العلمية بهدف إيجاد أنجع السبل لتحقيق هذا المشروع، فبدأ عهد جديد للاستكشافات بانطلاق بعثة "فلاترس" "Flatter" الذي قام برحلتين: الأولى من ورقلة إلى الأغواط يوم 21 ماي 1880م، والثانية إلى أقصى الجنوب الجزائري في ديسمبر 1880م، وقد ضمت الرحلة الأولى عشرة أعضاء هم فلاترس عقيد المشاة والقائد الأعلى الأسبق للأغواط، وموسون Musson نقيب أركان الحرب وبرانجه Beringer مهندس الجسور والطرقات، وروش Roche مهندس المناجم، وبرنار Bernard النقيب في سلاح المدفعية وغيارد Guiard الطبيب، ولوشاتوليه Le Chatilier وبروسلار Brosselard ملازمي المشاة، كابليو Cabailot ورابودان Rabourdin مسيري الجسور والطرقات، تم تعيين هؤلاء منذ ديسمبر 1879م.

انطلقت البعثة من ورقلة يوم 21 ماي 1880م بحوالي مائة بعير متوجهة نحو منطقة ميزاب، قدم خلالها فلاترس معلومات وافية عن المناطق التي مر بها من وصف للكثبان الرملية والصخور والأودية والأشجار والغزلان والحدائق بواد ميزاب وغيرها، وفي يوم 26 ماي وصلت البعثة إلى مدينة بني يزقن بغرداية، وفي يوم 28 ماي غادرتها إلى بلدة بريان التي قضت بها يومي 29 و30 ماي ثم واصلت طريقها إلى مدينة الأغواط يوم 3 جوان حيث كان في استقبالها القائد الأعلى "بولا" ¹.Belin.

وبعد هذه الرحلة عاد فلاترس إلى باريس حيث استقبل من طرف مصلحة الطريق الصحراوي Trans Saharien التي سلمت له الأموال الكافية لإعادة الكشوفات في الشتاء المقبل، وهكذا رجع فلاترس إلى ورقلة لينظم رحلته الثانية

¹- ابراهيم مياسي، ص 62.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

إلى أقصى الجنوب الجزائري واكتشاف بلاد الطوارق، ودراسة مشروع مد خط حديدي عبر الصحراء، ضمت هذه البعثة إحدى عشر فرنسيا وسبعة وأربعين جنديا من الأهالي واثنين وثلاثين سائق بعير وثمانية من رجال الشعانبة، إضافة إلى أربعة توارق ومجموعة من الجمال تحمل أمتعتهم¹.

انطلقت البعثة من ورقلة في شهر ديسمبر 1880م في ظروف صعبة حيث نفذ مأوها وظهر على أفرادها التعب والإرهاق، وكان فلاترز يشجعهم ويتقدمهم حتى وصلوا إلى تماسينت، التي مكثوا بها يومي 12 و13 فيفري حيث تقابل مع العديد من التوارق الذين كانوا يتوعدونه في كثير من الأحيان لأنه لم يظهر لهم الاحترام والتقدير، وبعد أن نصبوا له كمينا وقعت معركة عنيفة بين الطرفين قتل على إثرها فلاترز وبعض أعوانه، ولم ينج منهم إلا القليل من الجنود الأهالي الذين عادوا إلى ورقلة.

كانت هذه الحادثة بمثابة صدمة عنيفة للعمليات الاستكشافية في الصحراء نظراً للمخاطر التي أصبحت تتعرض لها، لهذا تعطلت الاستكشافات لمدة سنوات، لكنها ما لبثت أن انطلقت من جديد رغم كل تلك المخاطر حيث اكتشف الملازم "مرسال بالات" "MARCEL PALAT" قصور تديكلت إلا أنه قتل سنة 1886م قرب عين صالح، كما قتل المغامر الإنجليزي "كامييو دولس" "CAMILLE Douls" جنوب توات 1888م، وتبعتها رحلات أخرى مثل بعثة "فورو" "FOUREAU" ولامي "LAMY" وبعثة "فلامون" "FLA MAND" التي احتلت بها فرنسا عين صالح².

كانت هذه أهم الاكتشافات التي شملت الصحراء الجزائرية والمناطق المجاورة، حاول من خلالها الرحالون كشف مسالك وممرات المنطقة وسبر

1- ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 63.

2- نفسه، ص ص 64، 65.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

أغوارها بهدف تسهيل مهمة الاحتلال الفرنسي، وبالتالي فتح الباب على مصراعيه لعملية تنصير سكان الصحراء الجزائرية، كما تبين أن الصحراء تزخر بكميات هائلة من الثروات الطبيعية والإمكانات الاقتصادية.

المبحث الثاني: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1844-1914م.

يعتبر الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية جزء من المخطط التصيري للكنيسة الكاثوليكية وسبب مباشر لنشر الديانة المسيحية بالصحراء الجزائرية وصولاً إلى باقي المستعمرات الإفريقية لذلك أدرك الفرنسيون أن إحتلال الصحراء الجزائرية وتأمينها سيفتح الطريق أمام المبشرين لتحقيق الأهداف الكنسية، ولتحقيق هذا تعاونت الكنيسة والسلطة الاستعمارية الفرنسية تعاوناً وثيقاً، حيث باركت الكنيسة عملية الاحتلال الفرنسي وأيدته، وقامت بإرسال بعثات عديدة ومبشرين كثر للقيام بالدورين، وفي هذا الإطار يقول سيمونز: " جاء الرجل الأبيض إلى إفريقيا وبيده الإنجيل، ولكن بعد أن مرت عقود قليلة أصبحت الأرض للرجل الأبيض وأصبح الإنجيل بيد الزنجي".¹

وفي هذا الإطار قال الجنرال دي بورمون وهو يخاطب جنوده بعد ما استولى على مدينة الجزائر: " لقد جددتم عهد الصليبيين"، بل هناك ما هو أبلغ من هذا الكلام، فقد كان بوجولا وهو رحالة فرنسي له صلة وثيقة بالمارشال بيجو وبأسقف الجزائر دوبوش، كتب مذكرات عن رحلته سنة 1844م ينوه فيها برسالة فرنسا التصيرية في الجزائر، وقد أورد وصفا لما دار بينه وبين بيجو من حديث: قال لي المارشال بيجو يوم قابلته منذ سنتين في منزله بمدينة الجزائر: " ماذا جئنا نعمل في إفريقيا؟"، فأجبتة: " لكي نواصل العمل الذي بدأه غود فروي² Godefroi..... وبعد حديث طويل بينهما أنهى بوجولا كلامه قائلاً:

1- عبد العزيز الكحلوت، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، ط2، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1992، ص

2- غودفروي دي بويون(1060-1100م) قائد الحملة الصليبية الأولى، عُرف بالتدين والزهة، كان من الأوائل الذين استجابوا لنداء البابا الكاثوليكي أوربان الثاني لشن حرب مقدسة ضد المسلمين بهدف تحرير بيت المقدس منهم.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

" إن الحرب التي نقوم بها في إفريقيا إنما هي حلقة من حلقات الحروب الصليبية."¹.

وأضاف قائلاً: " أن الهدف الذي نسعى لتحقيقه من حروبنا في إفريقيا لهو أسمى وأقدس..... وأن المسألة تتعلق بقضية روحية هي قضية الحضارة وقضية التعاليم المسيحية الخالدة التي كتب لها الله النصر المؤزر في هذه الدنيا، وقيض لها فرنسا لتكون لها سنداً قوياً"².

على هذا الأساس اهتم الفرنسيون اهتماماً كبيراً باكتشاف الصحراء الجزائرية واحتلالها، خاصة وأنها كانت في بداية الاحتلال معقل للثوار والمجاهدين الذين كانوا يفرون إليها للاعتصام والاستعداد، الأمر الذي جعل الفرنسيون يعزمون على التوسع في أعماق الصحراء وأشدت الاهتمام أكثر في نهاية القرن 19م، بإنجاز مشاريع عديدة كمشاريع خطوط السكك الحديدية منها:

1- الخط الأول يمتد من قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة وتقرت.

2- الخط الثاني يمتد من البليدة إلى الجلفة عبر المدية.

3- الخط الثالث يمتد من المحمدية إلى بني عباس عبر سعيدة وبشار³.

إضافة إلى شق الطرق وإقامة الجسور وربط المناطق الجنوبية بعضها ببعض بهدف تسهيل عملية التنقل في حالة مقاومة السكان لها، كما أقامت الحصون والمراكز العسكرية في مختلف المناطق الصحراوية، ففي سنة 1885م قرر الجنرال "دليباك" إقامة مركز محصن بجنان بورزق لحماية الاتصالات بين عين الصفراء وفقيق وحراسة الواحات المغربية، كما قامت فرنسا بإنشاء مراكز تجارية في كل من توات وتديكت وغيرها⁴، وكلها أساليب استعملتها فرنسا من

1- مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار النهضة، الجزائر، 2007، ص51.

2- نفسه، ص52.

3- احميدة عميراي وآخرون، المرجع السابق، ص 19.

4- نفسه.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

أجل تثبيت أقدامها بالمنطقة، لهذا ارتأينا أن نتناول في هذا المبحث جانبا من الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية على اعتبار أن التصير والاحتلال كانا يسيران جنبا إلى جنب ويسعيان لتحقيق نفس الأهداف، حيث يقول النائب الفرنسي فرناند نجران " إن المبشر يعمل من أجل ازدهار الفكرة الاستعمارية للبلاد التي ينصرها، وذلك برفع المعنويات الروحية والأخلاقية للأهالي...وأن النشاط التبشيري والنشاط الاستعماري شيئا متلازمان، لأن الهدف الأسمى للاحتلال هو التقدم الروحي والأخلاقي للمستعمرين"¹، وفيما يأتي نتحدث عن المراحل التي مرت بها هذه العلاقة في فترة الاحتلال الفرنسي:

علاقة الجمعيات التنصيرية بسلطة الاحتلال:

يمكن النظر إلى علاقة الجمعيات التنصيرية بسلطة الاحتلال في الجزائر من ناحيتين فصلهما فيما يأتي:

1- من الناحية القانونية:

نص التشريع الفرنسي على أنه لا يجوز لأي جمعية دينية تبشيرية أن تمارس نشاطها عند تأسيسها، إلا بموجب مرسوم يصدر عن سلطات الدولة الفرنسية، فمثلا تم الاعتراف بجمعتي إخوان العقيدة المسيحية وأخوات العقيدة المسيحية سنة 1808م، وجمعية الراهبات الثالوثيات سنة 1810م وجمعية سيدات القلب المقدس سنة 1827م، واعترف بجمعية مبشرات السيدة الإفريقية سنة 1875م ومبشري السيدة الإفريقية سنة 1878م، وفيما يتعلق بالسماح لجمعية ما بتأسيس فرع لها في الجزائر فإن ذلك من مهام الحاكم العام في الجزائر، هو الذي يخول له القانون منح الرخصة بأمر من وزير الحربية،

1- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب، 2007، ص 10.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

وبخصوص تعيين الأساقفة فإن ذلك يتم عن طريق سلطات الدولة الفرنسية في باريس، ولا دخل للبابا في تعيينهم على رأس أسقفية الجزائر¹.
ونشير هنا إلى أن هناك ثمة أسباب جعلت سلطات الاحتلال تفرض على أية جمعية تنصيرية ترغب بالتمركز في الجزائر ترخيصا بذلك، نذكرها فيما يأتي:

*إحكام السيطرة على الجمعيات التبشيرية من طرف سلطات الاحتلال ومراقبتها والاستفادة من خدماتها في ميدان استعمار الجزائر.
*السماح لسلطات الاحتلال بفرض الحماية على أعضاء الجمعيات التنصيرية حتى وإن كانوا ينتمون إلى جمعيات محظورة في فرنسا².
*تقديم الدعم الذي يمكن أن تقدمه هذه الجمعيات للاحتلال من جميع الجوانب.
2-الناحية الواقعية:

نحاول هنا إبراز مدى تطبيق هذه القوانين على أرض الواقع، ذلك أن العلاقة بين سلطات الاحتلال والجمعيات التنصيرية تميزت بنوع من التذبذب وعدم الاستقرار حسب الظروف السياسية التي تمر بها الدولة الفرنسية بين فترة وأخرى فالحكم كان في بداية الاحتلال ملكيا ثم إمبراطوريا ثم أصبح جمهوريا، وأيضا حسب طباع الحكام العامين الذين يعينون لتسيير شؤون الجزائر، فمنهم من كان مؤيدا للتنصير ومنهم من كان معارض له³.
ففي الفترة الممتدة من 1830م إلى 1867م، فرضت سلطات الاحتلال قيودها على المنصرين ومنعتهم من النشاطات التنصيرية أيا كان شكلها وذلك للأسباب الآتية:

¹- محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904، منشورات دحلب، 2009، ص43.

²- Georges Goyau, Un Grand Missionnaire. Le Cardinal Lavignerie, librairie plon, Paris, 1925, p74.

³- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص44.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

* إدراكهم أن الجزائريين تثيرهم قضايا التنصير.

* تعهد الفرنسيين باحترام الدين الإسلامي وإن كانوا أدخلوا بذلك في بعض الجوانب كتحويل المساجد إلى كنائس والاستيلاء على الأوقاف الإسلامية.

* الاستفادة من المنصرين في العمل مع المستوطنين الأوروبيين وتلقين الديانة المسيحية لأبنائهم حتى لا يذوبوا في المجتمع الجزائري المسلم¹.

ومن الحكام العامين الذين وقفوا ضد نشاط جمعيات التنصير، الحاكم العام ماكماهون، الذي تزامن حكمه للجزائر مع تعيين الكاردينال لافيغري على رأس أسقفية الجزائر، ومن المفارقات العجيبة أن ماكماهون هو الذي اقترح على نابليون الثالث تعيين لافيغري أسقفا للجزائر، ثم غير رأيه لما علم بنوايا لافيغري التنصيرية، إلا أن لافيغري أصر على الالتحاق بمنصبه رغم إغرائه بمنصب آخر، وهكذا ساءت العلاقات بين الطرفين، حيث اتصل لافيغري بالإمبراطور نابليون الثالث بتاريخ 12 سبتمبر 1867م، قدم له مشروعا عن إنشاء مراكز تنصيرية في منطقة القبائل، وأعلمه أنه لن يقيمها إلا إذا أَرادها سكان المنطقة، فوافق الإمبراطور عليه وطلب من مكماهون متابعة الأمر، فما كان من مكماهون إلا الاعتراض على ذلك برفض إقامة تلك المراكز².

بل قام بأكثر من ذلك، حيث طالب لافيغري بإعادة اليتامى الجزائريين الذين جمعهم إثر مجاعة 1867م، ووصلت شكاوي مكماهون للإمبراطور نابليون الثالث، فاضطر هذا الأخير إلى تحديد مهام لافيغري بقوله: "لديكم مهمة كبيرة يجب عليكم القيام بها أيها المطران، وهي تهذيب 200 ألف أوروبي الموجودين في الجزائر، أما بالنسبة للعرب، فاتركوا للحاكم العام مهمة تلقينهم

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 45.

2- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 114.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

الانضباط وتعويدهم على سيطرتنا"، ورغم هذا إلا أن لافيغري ظل محتفظا باليتامى¹.

وبمجيئ الأميرال د يقيدون De Guedon كحاكم عام، تغيرت الأوضاع السائدة من قبل تغييرا جذريا، حيث تميز هذا الأخير بمساندة المنصرين وتأييدهم، وقد وجد لافيغري في شخصه الصديق والحامي في نفس الوقت، حيث قال في أول زيارة له: "قضيت عمري في حماية الإرساليات على كل بقاع الأرض، وما دمت حاكما للجزائر، لن يقال بأن هذه الإرساليات قد اضطهدت على أرض فرنسية"²، وفي مناسبة أخرى خاطب مبشري السيدة الإفريقية عندما زارهم في الحراش: "هناك من يعرقلكم، أما أنا فسأساندم في أعمالكم، إنكم تؤدون مهمة فرنسا بمحاولتكم تقريب الأهالي إليكم عن طريق التعليم والأعمال الخيرية، ليس لدى فرنسا من الرجال ما يكفي لتعمير الجزائر، لذا يجب التعويض عن ذلك بفرنسة المليونين من برابرتنا."³

وعند قيام ثورة المقراني سنة 1871م، كاتب د يقيدون المطران لافيغري ناصحا إياه: "بالتحلي بالبصيرة والتحفظ في العمل التصيري والإقدام بواسطة الخدمات الخيرية، وتجنب الخطب..... لقد حان الوقت الذي سيدخل فيه هذا الشعب الذي هزمناه إلى حضارة المسيحية".

وبلغت نصره دي قيدون للمنصرين إلى الحد الذي أطلق عليه المعمرين لقب " الأميرال كاردينال"⁴.

وبعد دي قيدون جاء الجنرال شانزي CHanzy الذي سار على نهج سابقه في علاقته بالمنصرين، إلا أنه حاول التقرب من الجزائريين بتظاهره

1- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 120.

2- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 48.

3- نفسه.

4- نفسه.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

بمشاركتهم أفراحهم في الأعياد الدينية، كما سمح لهم بالحج إلى بيت الله الحرام، وهو سلوك أزعج لافيغري، فوقع الصدام بين الطرفين عندما أراد شانزي إنشاء فرع بلدي لقريتي سانت سيريان وسانت مونيكا في العطاف، وبلغ الصراع أشده عندما أراد فرض الرقابة على المعامل التي تملكها الجمعيات التصيرية¹، وبلغ ذروته عندما أصدر جول فيري وزير التعليم العمومي آنذاك مرسوما سنة 1879م يقضي بمنع أعضاء الجمعيات التصيرية غير المعترف بها من ممارسة التدريس في المدارس العمومية والخاصة، وهذا المرسوم قصد بالدرجة الأولى جمعية الجزويت التي أعلن عن حلها نهائيا، وعليها تصفية مؤسساتها في كامل التراب الفرنسي².

فالجمعيات التصيرية المستقرة في الجزائر كان عليها أن تخضع لنفس القرارات والقوانين المطبقة على مثلتها في فرنسا، على اعتبار أن الجزائر جزء من فرنسا في نظر سلطات الاحتلال، لكن لافيغري دافع ضد تطبيق مرسوم جول فيري في الجزائر، فكتب بهذا الشأن رئيس المجلس الاستشاري الفرنسي السيد فريسي يعرض عليه الأسباب التي تلزم سلطات الدولة الفرنسية بجعل الجمعيات التصيرية في الجزائر بعيدة عن هذه القرارات، وقد استجاب له فريسي وطمأنه: "بأن الجمعيات التصيرية غير المرخص لها، والتي استقرت بالجزائر غير معنية بالقرار الصادر"³.

وهكذا يتضح لنا كيف أن سلطات الاحتلال تميز في تطبيق قوانينها بين فرنسا والجزائر، فهي تسمح بالإبقاء على أوضاع الجزائر بينما تسعى لإزالة نفس الأوضاع في فرنسا، كما يتبين لنا مدى تعاون هذه السلطات مع المنصرين بشأن حملة التنصير التي نصب لافيغري نفسه حاملا لرايتها، كما

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص49.

2- نفسه.

3- نفسه، ص50.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

أنها تعتبر الجزائر جزء من فرنسا فقط عندما يتعلق الأمر بتحقيق أطماعها الاستعمارية.

فالتعاون الوثيق بين المنصرين وسلطات الاحتلال في الجزائر، ظهرت معالمه منذ سنة 1879م في عدة أمور منها تسليح فرقة إخوان الصحراء المسلحين، وتبرئة رجال الجزويت الذين يهربون الأطفال من منطقة القبائل إلى المؤسسات التي يملكونها في الجزائر العاصمة بعد تنصيرهم، ومنح تسهيلات النقل المجاني بين الجزائر وفرنسا للمنصرين¹.

دوافع الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية:

تتعدد دوافع احتلال فرنسا للصحراء الجزائرية وتختلف من أسباب سياسية، اقتصادية، وأخرى دينية، مرتبطة ومتداخلة ومتكاملة بعضها ببعض منها:
أ- يعتبر احتلال فرنسا للصحراء الجزائرية تحقيقا لهدفها الذي يرمي إلى ربط مستعمراتها الإفريقية ببعضها، فهذه الصحراء بالنسبة لها حلقة الربط بين هذه المستعمرات².

ب- أدركت فرنسا أن احتلال الصحراء الجزائرية هو ضمان لاحتلال كامل البلاد، خاصة وأن الثورات الشعبية التي كانت تندلع في الشمال، اتخذت الجنوب معقلا لها للاعتصام والاستعداد لمواجهة العدو من جديد، وقد أكد ذلك الرحالة الألماني " جيرهارد رولف " عندما زار إقليم توات سنة 1864م حيث قال: "قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة، فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصاعب وكل الفوضى ما دام الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، ولن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران"³.

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص50.

2- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 76.

3- نفسه، ص77.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

ج- بعد البعثات الاستكشافية الصحراوية وبعد الدراسات الجيولوجية تبين أن الصحراء تزخر بكميات هائلة من المعادن تحتاجها فرنسا لازدهار صناعتها، فمنطقة قورارة تحتوي على أنواع هامة من الفحم الحجري، كما أن المنطقة الشرقية لهضبة تادمايت تضم مركبات من الكبريت، وتشتهر المنطقة الصحراوية بالذهب خاصة الجنوبية الشرقية، وتبين أن توات تحتوي على كميات كبيرة من معدن الحديد، من خلال ما اكتشفه المستكشفون والمغامرون منهم " سولييه" الذي تجول في هضبة تادمايت وتعرف على حجارة حمراء تحتوي على معدن الحديد، إضافة إلى معادن أخرى مثل: أكسيد المنغنيز والنحاس والرصاص والزنك وغيرها¹.

د- ولا يمكن الحديث عن دوافع الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية دون أن نشير إلى الدافع الديني المتمثل في تسهيل عمل الإرساليات التبشيرية لتنصير سكان المنطقة.

من هنا يتبين أن السلطات الفرنسية قد أدركت منذ احتلالها للجزائر أن احتلال الصحراء الجزائرية ضرورة ملحة نظرا لموقعها الاستراتيجي وما تحتويه من خيارات طبيعية من شأنها أن تخدم الاقتصاد الفرنسي مستقبلا.

-مراحل الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية:

1- إخضاع الصحراء الشمالية الشرقية

تمتد الصحراء الشمالية الشرقية من واحة الزعاطشة شمالاً إلى تقرت، الوادي، الأغواط، ورقلة، غرداية، وقعت فيها معارك كثيرة هدفها إخضاع المنطقة أهمها:

¹- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص84.

-معركة الزعاطشة (بسكرة) 1849م :

وصل الفرنسيون إلى مدينة بسكرة بعد احتلالهم باتنة عام 1844م وتعيين الضابط "سان جارمان" على قيادة المنطقة، منذ ذلك الحين بدأت فرنسا تتطلع لاحتلال الجنوب الجزائري، وقد وقعت هذه المعركة في وقت كانت فرنسا منشغلة بحروب عدة ثورات ساهمت في تقليص عدد الجنود الفرنسيين المتمركزين بباتنة وبسكرة، في ظل هذا الوضع دعى الشيخ بوزيان أنصاره إلى جمع الأسلحة والاستعداد للجهاد¹، الأمر الذي جعل نائب المكتب العربي ببسكرة "سيروك" يحاول القبض على الشيخ بوزيان إلا أن محاولته باءت بالفشل ونتج عنها قتل بعض حراس "سيروك" هذا ما جعل سكان المنطقة يستنفرون بإعلان الجهاد دفاعاً عن الشيخ بوزيان وأنصاره، ولاحتواء الوضع قامت السلطات الفرنسية من باتنة بتوجيه قوة عسكرية نحو الجنوب تقدر بحوالي 20000 جندي² على رأسها القائد "كاربوسيا" لكنه انهزم أمام الثوار وخلف وراءه قتل و 117 جريح كان ذلك في شهر جويلية 1849م، هذا الانهزام جعل الفرنسيون يطوقون الثورة، ورغم ذلك انتشرت الثورة خارج الزيبان وحصلت على دعم كبير من المناطق المجاورة من أولاد جلال والمسيلة وبوسعادة وأولاد نايل.

وفي شهر سبتمبر حاولت فرنسا مرة أخرى تطويق الثورة إلا أن محاولتها باءت بالفشل، وقتل خلالها "سان جارمان" مما رفع معنويات المجاهدين، وأمام هذه الهزائم المتتالية استنجد الفرنسيون بحاميتهم المتواجدة في شمال قسنطينة، باتنة، وبوسعادة، سكيكدة وعنابة وأشرف عليها "هيربيون" حاكم مقاطعة

1- يحي بوعزيز، "نماذج من مقاومة سكان الواحات"، الأصالة، ع/41، محرم 1397هـ- جانفي 1977م، ص119.

2- يحي بوعزيز، "حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع/5، 1408هـ- 1988م، ص156.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

قسنطينة، الذي انطلق يوم 28 من شهر سبتمبر 1849 ووصل بسكرة يوم 04 أكتوبر 1849م، حيث قام بمحاضرة الواحة والاقتراب منها شيئاً فشيئاً، بعد أن حرق واقتلع ما وجده أمامه¹، وفي هذه الأثناء كانت الاشتباكات متواصلة مع الثوار المدافعين عن الواحة، ورغم استعمال سلاح المدفعية فإن هذه الهجومات كلفت الطرف الفرنسي حوالي 30 قتيلاً و 57 جريح، واستمر حصار الواحة إلى غاية الهجوم الكبير الذي شنه الفرنسيون يوم 28 نوفمبر 1849م، انتهى باقتحام الواحة ونتج عنه تدمير الواحة عن آخرها وطمس معالمها، واستشهد الشيخ بوزيان وابنه وحوالي 300 شهيد². ومع مطلع سنة 1850 تم احتلال مدينة بوسعادة على إثر الإمدادات التي قدمتها لسكان واحة الزعاطشة³.

-معارك تقرت و ورقلة والأغواط وعين صالح :

عرفت الصحراء الجزائرية في النصف الثاني من القرن 19 م ظهور ثورات عديدة امتدت من أولاد سيدي الشيخ غرباً إلى وادي سوف شرقاً ونظراً لتشابكها وتداخلها فإنه يصعب مراعاة تسلسلها الزمني، لذلك سنحاول التعرف على أهم المعارك والأحداث التي أدت إلى احتلال هذه المناطق. في صيف سنة 1851م أعلن شريف ورقلة عن ثورته، وأخذ في مهاجمة المتعاونين مع العدو، حيث وصل نشاطه إلى تقرت واستولى على نقوسة وتماسين وكثير جيشه من واد ريغ والشعانية، لكن سلطان تقرت تصدى له مما

1- عباس كحول، زوايا الزيبان العزوزية، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، بسكرة، 2003، ص35.

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 335.

3- احميدة عميراي وآخرون، المرجع السابق، ص42.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

جعله يعود إلى ورقلة، ومع بداية سنة 1852م هاجم الأغواط بعد تحصله على الدعم من القبائل المجاورة إلا أن المدافعين عنها أوقفوه في نواحي ميزاب¹. وفي شهر أكتوبر من سنة 1852م، اشتبك مع طلائع الجيش الفرنسي على مشارف مدينة الأغواط، حيث تمكن من السيطرة على المدينة كلها خلال شهر نوفمبر، وهو ما دفع بالفرنسيين إلى مضاعفة قواتهم العسكرية والدخول معه في معركة حاسمة، معركة الأغواط يوم 04 ديسمبر 1852م، اضطر من خلالها الشريف إلى الانسحاب، وتمكنت القوات الفرنسية من احتلال الأغواط²، وساعدها ذلك في التوغل حتى مشارف مدينة تقرت التي دخلتها يوم 05 ديسمبر 1854م، وعينوا عليها فرحات بن سعيد حاكماً عليها ونواحيها، وفي يوم 08 أكتوبر 1861م، اشتبك الشريف بالعدو الفرنسي في نقوسة- معركة نقوسة- وبعد قتال عنيف بين الطرفين اعتقل الشريف وأخذ أسيراً إلى أن توفي سنة 1863م³.

وحتى تتوسع السلطة الفرنسية أكثر أقامت عدة مراكز عسكرية بين ورقلة والمنيعة، وفي سنة 1882م، قامت بالزحف على بني ميزاب، حيث وقعت مواجهات دامية بين الميزابيين والفرنسيين، تمكن من خلالها العدو الفرنسي سنة 1891م من اقتحام المنيعة وتأسيس مركز عسكري دائم بها، ومن المنيعة أراد احتلال عين صالح وتوات، ولتحقيق ذلك ثم إنشاء العديد من المراكز العسكرية والحصون المنيعة في قلب الصحراء أهمها "حصن ماريبال" على بعد 135 كلم جنوب المنيعة، حصن ماكماهون على بعد 165 كلم جنوب غرب المنيعة في واد مقيدن على طريق قورارة⁴.

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 357.

2- نفسه، ص 376.

3- يحي بوعزيز، "حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية"، ص 157.

4- عميراي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص 48.

2- احتلال القسم الجنوبي الشرقي من الصحراء:

-إحتلال عين صالح (تيديكلت)¹ :

لقد كان للبعثة العلمية للأستاذ "فلامون" دور كبير في فتح المجال للتوسع الإستعماري الفرنسي في عين صالح والجنوب الجزائري، حيث انطلقت البعثة سنة 1899م لاكتشاف منطقة تادميت والتعرف عليها غير أنها تحولت في النهاية إلى حملة عسكرية شرسة حيث تحصلت هذه البعثة على الدعم الكامل من طرف وزارة المعارف العمومية والمستعمرات، ورئيس المكتب العربي بورقلة النقيب "بان PEN".

توجهت البعثة في شهر نوفمبر 1899م من مدينة ورقلة إلى عين صالح مروراً بحاسي اينغل، حاسي سوفي، حاسي المقر ومنه إلى رق أجمار ووادي مسين، لتصل في شهر ديسمبر إلى فقارة الزوا ثم واحة ايقوستين².

أدرك سكان عين صالح نوايا هذه البعثة وقاوموها بهجوم مفاجئ عليها تحت قيادة الحاج المهدي باجودا رئيس قبيلة أولاد باجودا، وانتهت المعركة بين الطرفين بمقتله، وبالتالي فشل الهجوم واستطاعت البعثة السيطرة على المنطقة.

لكن سكان المنطقة لم ييأسوا وعاودوا الهجوم على البعثة يوم 05 جانفي 1900م، إلا أن أفراد البعثة قاموا بهجوم عنيف صاحبه طلقات نارية مكثفة زعزعت صفوف المقاومين وفرقتهم مما جعلهم ينسحبون غير أن هذا لم يحد من عزيمة سكان المنطقة إذ تعرضت البعثة لعدة هجومات متكررة جعلت السلطات الفرنسية تدعمها بقوات إضافية من أجل القضاء على المقاومين، وفعلاً تمكنت البعثة من ذلك، وواصلت سيرها نحو عين صالح³.

1- عين صالح عبارة عن واحة وسط صحراء قاحلة لها موقع استراتيجي، فهي تقع على مسافة متساوية ما بين الجزائر شمالاً وتمبكتو جنوباً، هي ملتقى الطرق الصحراوية ومركز ممتاز لتمويل التوارق وسكان الجنوب.

2- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص111.

3- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 327.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

وهكذا وقعت عين صالح والمناطق المجاورة لها من واحات تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي، وبهذا دخلت منطقة الجنوب الجزائري مرحلة جديدة من تاريخها وهي مرحلة الاحتلال الفرنسي الفعلي والكلي للصحراء الجزائرية¹، خاصة وأن منطقة عين صالح لها أهمية كبيرة، فهي ستسهل لفرنسا عملية التوسع في المناطق الصحراوية المجاورة، وبهذا أصدر الوالي العام تعليماته إلى الرائد بومقارتن لإتمام التوسع وأمره باحتلال عين غار غرب عين صالح فانطلق هذا الأخير يوم 21 جانفي 1900م، ودخل عين غار دون أن يتعرض أية مقاومة، وطلب من سكان المنطقة الخضوع للاحتلال الفرنسي لكنهم رفضوا ذلك وتمسكوا بالمقاومة، لهذا شرعت القوات الفرنسية في الهجوم إلا أن الفرنسيين تراجعوا بعد تلقي أوامر من وزير الحربية الفرنسية بالتوقف والتراجع إلى عين صالح حتى تتم دراسة المنطقة دراسة مستفيضة ومعرفتها معرفة تامة. وهكذا احتلت القوات الفرنسية إيغلي ثم توجهت إلى عين غار وتيط، أقبلي، أولف²، وبهذا تمكنت فرنسا من احتلال المنطقة بطريقة سمتها بالدخول السلمي والهادئ للصحراء.

-احتلال منطقة الهقار والتاسيلي:

شهدت هذه الناحية من الصحراء معارك حاسمة بين الجزائريين والفرنسيين، ونظراً لصعوبة تضاريسها كان الوصول إليها بمساعدة البعثات التبشيرية والعلمية منها بعثة الكولونيل "فلاترز" إلى التوارق والتي قتل فيها سنة 1881م، كما ذكرنا في المبحث السابق، حملة "ايميل جانتييل" في سنوات

¹- A.G.P Martin, Les oasis Saharien (Gourara- Touat- Tidikelt), Edition de l'imprimerie Algérienne, Alger, p139.

²- كلها قصور تقع في أقصى غرب عين صالح.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

1895م - 1897م - 1899م - 1900م للتعرف على الصحراء، حملة "فورولامي" بين عامي 1898م - 1900م¹.

إن النوايا الحقيقية للفرنسيين اكتشفت بمجيء المقدم "فلاترز" سنة 1880م إلى الهقار، وهو ما دفع بتوارق الهقار إلى مقاومة أية محاولة أوروبية للتغلغل في الصحراء، حيث ظهرت شخصية أهتيفال محمد بسيكا بن الحاج البكري (1817م - 1907م)²، الذي بدأ ينظم ويوحد صفوف التوارق، مما جعل الفرنسيين يحاولون التفاوض معه، إلا أن ذلك لم يفلح ف وقعت معارك كثيرة أهمها:

- معركة جاننت مع بداية القرن 20 م.

- معركة تيط يوم 07 ماي 1902 م.

- معركة تمنراست سنة 1904 م.

- معركة إليزي سنة 1908 م³.

على أن أهم المعارك التي يمكن ذكرها في تاريخ التوارق هي ثورة الشيخ أمود (1859م - 1928م) الذي اتبع أسلوب الكر والفر وتجنب الدخول في مواجهات مباشرة مع العدو، حيث ألحق به هزائم كثيرة جعلت الفرنسيين يضاعفون من نفوذهم وأرسلت فرنسا بعض الشخصيات ذات النفوذ المعنوي والروحي للتفاوض مع الشيخ أمود حتى يعترف بالوجود الفرنسي مقابل امتيازات كثيرة إلا أنه رفض ذلك إلى أن توفي سنة 1928م.

وإلى غاية سنة 1914م تكون فرنسا قد بسطت نفوذها على كامل المنطقة بعد جهود مضنية قام بها كثير من قادتها⁴.

¹- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص324.

²- الغالي غربي، " ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"، الرؤية، ع/1، جانفي- فيفري 1996، ص97.

³- عميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص 53.

⁴- نفسه، ص 55.

3- احتلال الصحراء الجنوبية الغربية.

تم احتلال هذا القسم من الصحراء عن طريق معارك عديدة أهمها تلك التي وقعت أثناء ثورة الشيخ بوعمامة (1881م-1908م) نذكر منها:

- معركة مولاك 19 ماي 1881م.

- معركة مغرار سنة 1886م¹.

- إحتلال قورارة وتوات :

بعد إخضاع عين صالح واصلت فرنسا عملية احتلال الجنوب الجزائري فاتجهت لإخضاع قصور إقليم قورارة وتوات، حيث أرسلت يوم 27 أبريل سنة 1900م العقيد "مينسترال Menestrel الذي انطلق من المنيعه، وبعد تحصله على المزيد من المدد استطاع الدخول إلى مدينة تميمون يوم 12 ماي وإخضاعها، مع ما تبقى من الإقليم في القصور المجاورة مثل قصور دلدول.

وفي سنة 1901م اتجهت حملة فرنسية أخرى بقيادة الجنرال "سرفيار" SERVIERE نحو إقليم توات²، الذي تم إخضاعه للسلطات الفرنسية بعد أن وقعت عاصمة إقليم أدرار في قبضة القائد الفرنسي يوم 10 فبراير 1901م، حاول سكان المنطقة المقاومة وطلب المعونة من السلطان المغربي لكن دون جدوى.

بعد احتلال هذه المناطق زارها الجنرال سرفيار قائد ناحية الجزائر وقام بتنظيمها وتنصيب الحاميات العسكرية والدوائر والملحقات، كما تم تعيين لابيرين LAPERRINE قائداً على الواحات الصحراوية³.

1- عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة (1881-1908م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص13.

2- تواتي دحمان وآخرون، الثورة التحريرية في أقاليم توات 1956-1962، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي، ص17.

3- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص114.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

وحتى تضمن فرنسا استقرارها بالمنطقة وتصرف نظر الشعب عن المقاومة وبهدف استغلال إمكانيات هذه المناطق الصحراوية أصدرت في أبريل 1902م مرسوم لإنشاء الشركات الصحراوية من أجل تشغيل السكان، ورغم ذلك فإن القوات الفرنسية كثيراً ما كانت تتعرض لهجومات السكان والثوار من حين لآخر كلما سمحت لهم الفرصة بذلك¹.

- إخضاع منطقة الساورة :

تم إخضاع منطقة الساورة سنة 1901م، ووضعت فيها حاميات عسكرية، كما نصبت حاميات في تاوريرت وتاغيت تحت قيادة العقيد "Billet"، واحتلت بني عباس يوم 01 مارس 1901م.

في سنة 1903م عين السيد "Jonnar" والياً عاماً للجزائر من أجل تسريع وتيرة الاحتلال في منطقة الجنوب، ومباشرة بعد هذا التعيين قام الوالي بجولة تفقدية لمنطقة الجنوب الغربي حيث تعرض لهجوم سكان القصر بفيقيق، فكان رد الاحتلال هو القصف المدفعي الشديد لهذا القصر، إلا أن السكان انتفضوا بقوة وقاوموا العدو، مما جعل السلطات الفرنسية تعين العقيد "Lyautey" الخبير بالاستعمار على قيادة عين الصفراء، بهدف السيطرة على الجنوب الوهراني وضمان الاحتلال الكلي والشامل للمنطقة، وبهذا استطاعت فرنسا اجتياز جبل بشار في نوفمبر 1903م الذي طالما صمد في وجه الاحتلال الفرنسي.

وقد عرفت سنة 1904م اهتمام الاحتلال بتنظيم الدفاع عن الجنوب الغربي وإنشاء السرايا الجديدة لمواجهة غزو القبائل للقوات الفرنسية والعشائر الموالية

¹ - A.G.P Martin, op.cit,p164.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

لهم، حيث تم إنشاء الكتيبة الصحراوية للساورة، وإلحاق إيغلي بمركز بني عباس¹.

وتوالى العمليات الاستكشافية للعديد من النقاط والآبار والقصور، حيث قام النقيب "مرتان" بجولة من 17 فيفري إلى 01 مارس 1906م للتعرف على تابلبالا، ووادي داورا بعرق الراوي جنوب غرب بني عباس وقام بجولة أخرى استكشافية من 12 جوان إلى 02 جويلية 1906م في شمال غرب بني عباس. وتواصلت المشاريع التي تخدم الاستعمار كمد الخطوط الحديدية، ففي سنة 1905م تم إنشاء الخط الحديدي الرابط بين بني ونيف وبشار على مسافة 112 كلم بهدف مراقبة الحدود الجنوبية الغربية وتسهيل وصول الإمدادات العسكرية وغيرها.

وفي شهر جويلية من سنة 1909م قام الملازم "ريوتوتو Riottot" بجولة تفقدية بالعبادلة، وتعرف النقيب "كونسال" على عرق ايقيدي أواخر سنة 1909م، تمهيداً لاحتلال تابلبالا الذي هيأت له فرنسا كل الإمكانيات نظراً لموقع الواحة الاستراتيجي وتمكنت من احتلالها في جوان 1910م².

وما هذه الاكتشافات بالصحراء الجزائرية واحتلالها، إلا تمهيداً لنشر المسيحية وفتح الطريق أمام المنصرين لتحقيق أهدافهم بنشر المسيحية وتنصير سكان المنطقة، خاصة وأن التنصير له دور كبير في التوسع الاستعماري، حيث ساهمت الكثير من الفرق الدينية المنصرة في بث النفوذ السياسي والديني والاقتصادي في المنطقة، يقول الدكتور والتر رودني بكل صراحة: " كانت البعثات التنصيرية جزءاً من قوى الاستعمار إلى حد كبير، مثلها في ذلك مثل المكتشفين والتجار والجنود..... وليس هناك شك في حقيقة أن البعثات

1- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص119.

2- نفسه، ص120.

الفصل الأول = الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية

التنصيرية كانت أدوات الاستعمار من الناحية العملية"، كما قال المغامر جونستون: " كل موقع لبعثة تنصيرية هو تدريب على الاستعمار"، ومن جهة أخرى يقول المنصر هنري جب: " إن المنصرين استغلوا جهودهم لخدمة دولهم"¹، وبالمقابل فإن المستعمرين ردوا الجميل للمنصرين بأن فتحوا لهم البلاد على مصراعيها، وما تقاني حركة التنصير في خدمة الاستعمار إلا لإيمانهم بأن نجاح التنصير متوقف على نجاح الاستعمار وبقائه، وهو ما عبر عنه المنصر لورانس براون حين قال: " لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية في قطر ما إلا بعد أن يخضع ذلك القطر لحكومة غربية مسيحية"².

¹ مصطفى خالدي، عمر فروخ، المرجع السابق، ص158.

² عمر سالم بابكور، الإسلام والتحدي التنصيري في شرق إفريقيا 1261هـ-1396هـ، 1844م-1950م، فهرسة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، 1418هـ، ص 116.

الفصل الثاني: أساليب المنصرين في العمل التنصيري

* المبحث الأول: الأساليب المباشرة

* المبحث الثاني: الأساليب غير المباشرة

تمهيد:

استخدم المنصرون مختلف الأساليب والوسائل للقيام بمهمة التنصير على أكمل وجه، وقد عرفت هذه الوسائل ولازالت تعرف تطوراً تبعاً لما يقتضيه الواقع وتطورات الزمن، وذلك حسب طبيعة السكان المستهدفين في المنطقة التي يتم فيها عملية التنصير، من حيث الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ومن هنا فقد استخدم المنصرون في الصحراء الجزائرية أساليب عديدة منها ما هو مباشر، ومنها ما هو غير مباشر.

ومن الأساليب والوسائل المباشرة نذكر: عقد المؤتمرات التنصيرية، وإنشاء المراكز التنصيرية، أما الأساليب الغير مباشرة فهي التي يتم من خلالها التنصير عن طريق التعليم أو الطب أو استغلال الظروف الاجتماعية كاليتم، الفقر، عدم وجود العمل..... الخ، كل هذا سنحاول دراسته في هذا الفصل، في بحثين: الأول نتحدث فيه عن الأساليب المباشرة للتنصير والبحث الثاني نتناول فيه الأساليب الغير مباشرة.

المبحث الأول: الأساليب المباشرة

1- المؤتمرات التنصيرية:

تعتبر المؤتمرات أحد أهم الوسائل والأساليب المباشرة للتنصير لكون قراراتها منهجاً يسير عليه الكثير من المنصرين ويتخذونها كحجة أو دليل على ما يقومون به من أعمال تنصيرية، لذلك سنحاول أن نتعرف على مجمل المؤتمرات التنصيرية وأهمها التي كان لها دور في تغيير مجرى التاريخ فيما يخص العملية التنصيرية ومنها:

- 1- مؤتمر الهند الأول سنة 1855م.
- 2- مؤتمر اليابان التنصيري سنة 1872م.
- 3- مؤتمر الصين للمنصرين سنة 1877م.
- 4- المؤتمر الأوروبي في برلين سنة 1878م.
- 5- مؤتمر البنجالور بالهند سنة 1889م.
- 6- مؤتمر القاهرة سنة 1906م.
- 7- المؤتمر التنصيري العالمي في أنيرة باسكتلندا عام 1910م.
- 8- مؤتمر التنصير في لكنو بالهند عام 1911م.
- 9- مؤتمر القسطنطينية في نفس العام 1911م¹.
- 10- مؤتمر القدس 1924م.
- 11- مؤتمر لبنان 1924م.
- 12- مؤتمر قسنطينة بالجزائر سنة 1924م.

1- محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي (دراسة في أعمال مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين)، ج3، سلسلة بحوث الثقافة والحضارة، ص42.

13- مؤتمر مجلس الكنائس العالمي 1925م.

14- مؤتمر التبشير الدولي في القدس 1928م.

15- مؤتمر القدس 1928م.

16- مؤتمر القدس 1935م.

17- مؤتمر كلورادو بأمريكا سنة 1978م.

18- المؤتمر العالمي للتنصير بالسويد سنة 1981م¹.

كل هذا وغيرها من المؤتمرات العديدة، إضافة إلى مؤتمرات أخرى تعقد بصفة دورية، كلها وإن اختلفت أماكن عقدها إلا أن لها هدف واحد وهو تشجيع المنصرين على التنصير ومحاولة البحث عن أساليب حديثة للتنصير تتلاءم مع تطورات المجتمعات في مختلف المجالات على أن أهم المؤتمرات و أخطرها على الإسلام والمسلمين هي ثلاثة مؤتمرات نذكرها فيما يأتي :

1- المؤتمر الأوروبي في برلين 1878م:

يُعتبر من المؤتمرات التنصيرية الخطيرة نظراً لما نتج عنه من قرارات تستهدف المسلمين منها:

* تحطيم الدولة العثمانية.

* تقسيم البلاد الإسلامية إلى دويلات.

* دعم الأقليات النصرانية الموجودة في البلاد الإسلامية.

* تشجيع ومساندة المذاهب المناهضة للإسلام كالكاديانية، مع مضاعفة

الجهود التنصيرية ومساندة النشاط الكنسي وتركيزه في العالم الإسلامي¹.

1- محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي (دراسة في أعمال مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين)، ص43.

2- مؤتمر القاهرة 1906 م²:

عُقد برئاسة القسيس زويمر، يعتبر أول مؤتمر رسمي للتبشير المسيحي في مصر، حضره الكثير من مندوبي إرساليات التبشير وصل عددهم إلى 22 منصرًا، وقد تناول جدول أعمال المؤتمر النقاط الآتية³ :

* ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم الإسلامي وفي إفريقيا.

* الإسلام في الخلافة العثمانية والهند....

* النشرات التي ينبغي إدخالها بين المسلمين المنتورين والعوام.

* وسائل إسعاف الذين يضطهدون بسبب تركهم للإسلام.

* شؤون نسائية إسلامية⁴.

* موضوعات تتعلق بتربية المنصرين والعلاقات بينهم.

وقد تحدث المؤتمر في هذا المؤتمر عن موضوعات كثيرة منها:

1/ كيفية عرض العقيدة النصرانية والمناظرة فيها.

2/ الوسائل التي يجب على المنصر أن يتمسك بها لنشر مبادئ النصرانية.

3/ كيفية الاتصال والاحتكاك بالمسلمين.

4/ الصفات التي يجب أن يلتزم بها المنصر.

ثم قام القسيس "ثرونتن" وعرض على المؤتمرين النظريات الآتية حتى يتبعها المنصرون:

1- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ط8، دار القلم، دمشق، 1420هـ-2000م، ص90، 91.

2- جابر قميحة، المرجع السابق، ص210.

3- عبد الرحمان عميرة، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال المستشرقين، ط1، دار الجيل، بيروت، 1999، ص26.

4- سلمان سلامة عبد الملك، المرجع السابق، ص113.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

- * إن الشعب البسيط يلزمه إنجيل بسيط.
- * على المنصر أن لا يثير نزاعاً مع مسلم.
- * على المنصر أن لا يحرض المسلم على الموافقة والتسليم بمبادئ النصرانية.
- * على المنصر أن يتصف بالصفات الخلقية الممتازة والاستقامة التامة.
- * على المنصر أن يكون مقتنعاً بصحة البراهين التي يحتج بها.
- * على المنصر أن يضع الأمل بالفوز على خصمه نصب عينيه وأن يحمل خصمه على الرضوخ.

* على المنصر أن يكون صبوراً حاكماً لعواطفه.

وقد نتج عن التزام المنصرين بهذه النصائح ما يلي:

- معرفة أحوال المسلمين وأفكارهم وشعورهم وعواطفهم وميولهم.
- حصلوا على ثقة أكبر عدد من المسلمين واستطاعوا كسب قلوبهم¹.

3- مؤتمر كلورادو التنصيري 1978 م بأمريكا:

رغم أن زمن المؤتمر بعد فترة الدراسة إلا أننا ارتأينا الإشارة إليه نظراً لخطورته، فقد شارك فيه عدد كبير من المفكرين النصارى، عقد خصيصاً لتنصير المسلمين وتمت فيه الدعوة لاستخدام وسائل وأساليب حديثة في التنصير لمواكبة العصر كالتحلي بروح المحبة والتواضع والتقرب إلى المسلمين بكل ما من شأنه أن يرغبهم في النصرانية، صدر عنه كتاب باللغة الانجليزية بعنوان "الإسلام والإنجيل"².

1- أحمد سعد الدين البساطي، التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، دار أبو المجد للطباعة، الهرم، 1409هـ-1989م، ص48.

2- سلمان سلامة عبد الملك، المرجع السابق، ص140.

2-المراكز والمؤسسات التنصيرية:

تعتبر المراكز التنصيرية من الأساليب المباشرة للتنصير، تتمثل في تأسيس الكنائس والمنظمات والجمعيات والنوادي، التي عرفت تدفقاً على القارة الإفريقية مع مطلع القرن 19 م منها: جمعية الآباء البيض 1868م، إضافة إلى جمعية شهودة يهوه، جمعية برلين التنصيرية، جمعية آباء الكنيسة الإنجيلية، جمعية الرومان الكاثوليك¹.

ومن المنظمات المنصرة نذكر مايلي:

-منظمة نداء الرجاء بمدينة شتوتقارت الألمانية.

-منظمة بعثة الصداقة التي لها فروع في لبنان، هولندا، ألمانيا، فرنسا، أمريكا.

-منظمة مركز الشبيبة النصراني بألمانيا الغربية².

-منظمة المهام الشاقة من أجل المسيح.

-منظمة التصور العالمي الدولي.

-منظمة رابطة الرهبان لتنصير الشعوب وهي من أقدم منظمات الفاتيكان،

وأكثرها نفوذاً تعمل في كل مناطق العالم يعمل تحت لوائها 85 قسيس و 450

جمعية دينية، وأكثر من مليون مدرس، كما تملك 4200 مدرسة، 1600

مستشفى، 6000 مؤسسة لمساعدة المحتاجين....

-مجلس الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

ومن الجمعيات المنصرة كذلك نذكر منها:

1- عبد العزيز الكحلوت، المرجع السابق، ص69.

2- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني: المرجع السابق، ص108.

الفصل الثاني = أساليب المُنصرين في العمل التنصيري

- جمعية طبع الإنجيل الأمريكية تأسست سنة 1816م لها مطابع ومكتبات تجارية في البلاد العربية كمطبعة النيل، مكتبة الخرطوم.
 - جمعية الكنيسة التنصيرية تأسست سنة 1844م¹.
 - جمعية الشبان والنصارى تأسست سنة 1855م، والتي تفرعت منها عدة جمعيات مثل: إرسالية الجامعات لوسط إفريقيا سنة 1856 م.
 - جمعية الروح القدس تأسست عام 1863م، وهي كاثوليكية تهتم بالعلاج والتعليم الصناعي.
 - جمعية لندن التنصيرية أنشئت عام 1865م موجهة إلى إفريقيا.
 - جمعية اتحاد الطلبة النصارى تأسست سنة 1895م.
 - جمعيات بعثات التنصير الكنسية سنة 1899م².
 - جمعية التنصير العالمية سنة 1913م في الولايات المتحدة الأمريكية تهتم بالطب والتعليم إلى جانب الأدب والترجمة وغيرها من الجمعيات الفاعلة في مجال التنصير.
- هذا على المستوى العالمي، أما بالنسبة للجزائر فقد وفدت إليها جمعيات كثيرة بعد الاحتلال منذ سنة 1830م، أغلبها كاثوليكية يمكن تقسيم مراحل استيطانها في الجزائر إلى ثلاث مراحل هي:

¹- عبير عاتي، وسائل التنصير وكيفية مواجهتها، ماجستير ثقافة اسلامية، الموسم الجامعي 1430-1431هـ، ص 16-17.

²- علي بن إبراهيم الحمد النملة: التنصير في المراجع العربية، ص 60، 61.

*المرحلة الأولى:

تمتد من 1830م إلى 1845م، تزامنت مع تعيين دوبوش أسقفاً للجزائر بلغ عدد الجمعيات التنصيرية التي وفدت إلى الجزائر في هذه المرحلة حوالي تسع جمعيات أغلبها استقدمت من قبل المطران دوبوش ومن هذه الجمعيات نذكر:

1/ جمعية الجزويت (الآباء اليسوعيون) Les jésuites:

بعد أن استقدم دوبوش بعضاً منهم، انضم بعضهم للجيش كمرشدين، كما أسندت إليهم مهمة إدارة ملجأ اليتامى الأوربيين بآبن عكنون سنة 1842م، في حين اتجه بعضهم نحو القرى لتأدية الشعائر الدينية وتقديم دروس في التبشير، وفي نفس السنة اهتم بعضهم بالعلاج والإرشاد في المستشفى الإسلامي بقسنطينة مع إدارتهم لمدرسة تابعة للبلدية، وفي سنة 1844م وصلوا إلى وهران.

2/ أخوات القديس جوزيف دي لبارسيون:

وصلن للجزائر في جويلية سنة 1835م، استقرن في العاصمة وعناية، واشتغلن بتربية اليتيمات الأوربيات لكنهن غادرن إلى تونس سنة 1843م لمساء تقاهم بين رئيسة الجمعية والمطران دوبوش¹.

3/ الراهبات الثالوثيات Les religieuses trinitaires:

وصلن إلى الجزائر في 26 نوفمبر 1840م، اشتغلن بالتعليم في وهران، وأشرفن منذ 1849م، على إدارة المدارس البلدية إلى غاية 30 أكتوبر 1880م،

¹ - محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830- إلى 1904، منشورات دحلب، 2009، ص35،34.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

حيث صدر القانون الذي يمنع أعضاء الجمعيات التبشيرية من التعليم في المدارس العمومية الحكومية.

4/ أخوات العقيدة المسيحية **Les sours de la Doctrine chretinneM**

اتجهن إلى الجزائر في شهر ماي 1841 م بدعوة من المطران دوبوش، اشتغلن بالتعليم في كل من قسنطينة، عنابة، سكيكدة، ثم توجهن إلى وسط البلاد وغربها، بلغ عدد مؤسساتهن عبر كامل القطر الجزائري حوالي 18 مؤسسة بين مدرسة وملجأ لليتامى¹.

5/ أخوات القديس فانسان دي بول "بنات الإحسان" **Les sours de s.t vincent de paul**

أدرن شؤون التعليم العمومي في مناطق كثيرة من البلاد، وقد استقر فوج منهن في بسكرة بداية من سنة 1868م.

6/ راهبات الباستورالطيب **Les religieuses du bon pasteur**

أسسن ملجأ الباستورالطيب في الجزائر سنة 1843 م، ومعبد مسرغين في وهران سنة 1850 م، ومعبد قسنطينة سنة 1855م.

7/ راهبات القلب المقدس **Les religieuses sacréceour**

أسسن مدرسة لاستقبال بنات ضباط قوات الاحتلال في العاصمة، كما كانت لهن مدرسة للفتيات الفقيرات.

¹- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900، موفم للنشر، دت، ص237.

8/ جمعية الترابست *Lestropstes de staoueli*:

جاءوا إلى الجزائر سنة 1843م، منح لهم ديرفيا سطاوالي بضواحي مدينة الجزائر، اشتغلوا بالفلاحة وتربية الحيوانات، بلغ عدد رهبان هذه الجمعية حوالي 108 راهب.

9/ إخوان القديس جوزيف دي مانس *Les frères de st joseph du*

: mans

استقروا بعنابة وسكيكدة ووهران بين سنتي 1843م و 1844م، وتولوا إدارة مدارس البلدية بهذه المدن¹.

المرحلة الثانية: تمتد من 1846 م إلى 1866م:

تزامنت مع رئاسة بافي لأسقفية الجزائر، وفيها تناقص عدد الجمعيات الوافدة للجزائر، حيث بلغ عددها اثنين فقط، لكن ازداد عدد أعضاء الرهبان رجالاً ونساء، حيث ارتفع عددهم من 200 مئتين سنة 1846م إلى 200000 مائتين ألفاً وهذه الجمعيات هي:

1/ إخوان العقيدة المسيحية *Les frères de la doctrine*

chretienne: سمح لهم سنة 1853م بتأسيس مدارس في كل مناطق البلاد.

2/ إخوان المدارس المسيحية *Les frères des ecoles chretienne*:

أداروا المدارس البلدية في الفترة الممتدة من 1854م إلى 1888م في كل من الجزائر، سكيكدة، عنابة، وهران، البليدة، قسنطينة، تلمسان، سيدي بلعباس،

¹ - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1900، ص 245.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

مستغانم، مليانة، كما أداروا ملجأ يتامى المجاعة الجزائريين الذين جمعهم لافيجري في ابن عكنون والحراش سنة 1868م.

المرحلة الثالثة: تمتد بين سنتي 1867م و1892م:

تتزامن هذه المرحلة مع تعيين لافيجري أسقفا للجزائر ومندوباً رسولياً للكنسية الإفريقية Apostolique délégué، تعتبر أهم مرحلة للتنصير في الجزائر لعدة أسباب منها :

*تعيين لافيجري على رأس أسقفية الجزائر والذي كان من أشد المتحمسين لتنصير الجزائريين¹.

*الظروف الصعبة التي عاشها الشعب الجزائري في هذه المرحلة كالمجاعة، الأوبئة وغيرها من الأوضاع التي استغلها المنصرون للقيام بأعمالهم².

*نهاية الحكم العسكري سنة 1887م وبداية الحكم المدني، وذلك لأن العسكريين كانوا يمنعون المنصرين في بعض الأحيان من التنصير العلني خوفاً من اشتداد المقاومة ضد الاحتلال.

ومن الجمعيات التنصيرية التي ظهرت بالجزائر في هذه المرحلة نذكر أهم جمعية تنصيرية ولدت على أرض الجزائر وهي:

-جمعية مبشري السيدة الإفريقية³:

أسست هذه الجمعية من طرف المطران لافيجري سنة 1867م، تزامناً مع المجاعة التي حلت بالشعب الجزائري، وذلك ليقدم أفرادها رغيف الخبز بيد

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص38.

²-Djilali Sari, Le désastre démographique, sned, Alger, 1982, pp 137- 167.

³- أحمد سعد الدين البساطي، المرجع السابق، ص 29.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

وصليب المسيح باليد الأخرى للمحتاجين الجزائريين، سميت بهذا الاسم نسبة إلى الزي الأبيض الذي يلبسه أعضاؤها والمشابه للزي العربي في الجزائر، يتمثل في جبة طويلة بيضاء من القطن أ الصوف، يوضع فوقها برنوس أبيض اللون وشاشية حمراء على الرأس، تحاط الرقبة بمسبحة وردية بها صليب أبيض أو أسود¹، تفرعت منها ثلاث أقسام هي:

1-جمعية الآباء أو الإخوان البيض.

2- جمعية الأخوات البيض التي أسست بهدف الوصول إلى المرأة المسلمة الجزائرية وبالتالي التغلغل في أوساط المجتمع الجزائري.

3- جمعية إخوان الصحراء المسلحين التي أسست ببسكرة سنة 1891م، من أجل مكافحة بيع الرقيق ظاهريا إلا أنها في الأصل أسست بهدف حماية المنصرين في الجنوب الجزائري، ومن أجل تسهيل مهمة السلطات الفرنسية لاحتلال الصحراء الجزائرية، بناءً على ما قامت به من أعمال في هذا المجال².
تملك جمعية مبشري السيدة الإفريقية مراكز ومؤسسات في مناطق مختلفة من العالم مما يدل على انتشارها الواسع والإمكانات المادية التي تملكها، ومن هذه المؤسسات إلى غاية سنة 1880م نذكر:

1-في قارة أوروبا:

-فرنسا: توجد ثلاث مراكز في كل من باريس، ليل، سانت لوران.

- بلجيكا: سانتلامبير.

1- مصطفى خالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص126.

2- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص37.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

- إيطاليا: روما (وكالة القديس نيقولا).

- مالطا: مدرسة وكوليج السود.

2- في قارة إفريقيا:

- الجزائر: توجد مراكزها في الجزائر العاصمة، العطاف، منطقة القبائل، الجنوب الجزائري.

- تونس: قرطاج، تيباز، المرسى.

- إفريقيا السوداء: زنجبار، الكونغو¹.

3- في قارة آسيا:

- فلسطين: بالقدس².

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجمعية لها دستورها الخاص بها يحتوي على ستة فصول أدخلت عليه تعديلات إلى أن استقر في صيغته النهائية عند ما صادق عليه البابا سنة 1885م، وعلى العموم ينص على ما يلي:

1/ ضرورة لباس المنخرطين الزي العربي الجزائري.

2/ ضرورة إتقانهم اللغات واللهجات المختلفة.

3/ ضرورة حصولهم على دراسات عليا في علم اللاهوت.

4/ التقشف في المعيشة، المسكن والملبس.

5/ التعهد حتى الممات بخدمة التبشير في إفريقيا³.

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص38.

²-Raunard, Le Cardinal Lavigerie, j.de gigord Ed, paris, 1922,p38.

³ -Ibid, p p 451-458.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

على العموم نلاحظ أن ارتفاع عدد الجمعيات أو قلتها في الجزائر عموماً، وفي الصحراء الجزائرية خصوصاً، كان خاضعاً لظروف وأوضاع الجزائريين، وكذا حسب الأساقفة وحماسهم، فمثلاً المرحلة الأولى كانت بداية الاحتلال، حيث كانت الفرصة مواتية لاستقدام عدد كبير من الجمعيات مع الاحتلال ومع التوافد الكبير للمستوطنين الأوروبيين للجزائر، وأما المرحلة الثانية فقد نقص عدد الجمعيات لأن الاتجاه هنا يسير نحو تكوين المنصرين بدلاً من استقدامهم، أما المرحلة الأخيرة فنلاحظ أن الأوضاع المزرية للجزائريين ساعدت لافيغري لإنشاء جمعية على أرض الجزائر وتأسيس فروع لها عبر كامل مناطق التراب الوطني بل تعداه إلى تسليح أعضاء هذه الجمعية، وهذا أوضح دليل على معنى الاستعمار والتنصير وجهان لعملة واحدة، وهي استغلال الشعوب مادياً وروحياً. وفي هذا الإطار جاء تقرير لقائد حامية قسنطينة موجه إلى الحاكم العام كامبون "Cambon" يقول فيه: "لا يمكننا إلا أن نقدم عرفاناً للشعور الوطني الذي أدى إلى إنشاء جمعية إخوان الصحراء، لقد كان لافيغري يرمي من وراء تأسيسها إلى إعطاء الأولوية لحركة توسع فرنسا في الصحراء الوسطى، واشتراك القوات التي بحوزته في ذلك وبالنسبة لفرنسا، سواء تعلق الأمر باحتلال سلمي لهذه الأراضي أو غزو بالقوة، فإن مساعدة إخوان الصحراء يمكن أن تستخدم في كلا الحالتين"¹.

وعندما طلب لافيغري من رئيس المجلس الاستشاري الفرنسي تقديمه العتاد العسكري لتسليح أفراد جمعياته، أجمع كل مسؤولي الحكومة الفرنسية بأنه

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص50.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

لا مانع من تقديم السلاح والذخيرة مجاناً للجمعية مادامت تخدم مصالح فرنسا التوسعية في الصحراء، بل إن سلطات الاحتلال ذهبت إلى أبعد من ذلك، حيث كانت تمول الجمعية سنوياً بمبلغ 10.000 فرنك واشترطت في ذلك على سلطات الفاتيكان أن تتعهد بأن يكون رئيسها من جنسية فرنسية، وهذا ما يدل على النية المبيتة لهذه الجمعية وتواطئها مع سلطات الاحتلال وأن هدفها ليس دينياً بحتاً.

3-الكتب التنصيرية:

تعتبر الكتب من الوسائل التنصيرية الخطيرة لكونها تستهدف الفكر وتؤثر على العقل، لذلك لم يتوانى المنصرون في تأليف الكتب التي تدعوا إلى التنصير وتشويه الحقائق الإسلامية ومن هذه الكتب نذكر:

-مقدمة المسيوشاتلية: هو مستشرق فرنسي يرأس تحرير مجلة العالم الاسلامي الفرنسية، وأستاذ للمسائل الاجتماعية الإسلامية في إحدى جامعات فرنسا، كتب مقدمته ليحث الإرساليات التنصيرية في العالم الإسلامي على العمل.

- كتاب تاريخ التبشير للمستتر أدوين بلس: يتضمن أعمال الإرساليات البروتستانتية في بلاد الإسلام حتى أواخر القرن التاسع عشر.

- كتاب العالم الإسلامي اليوم للقسيس زويمر: أشار فيه للمناطق التي مازالت خالية من التنصير في العالم الإسلامي بمختلف القارات ومنها: إفريقيا مما يقتضي من المنصرين ضرورة إعداد العدة لاكتساحها¹.

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص199.

4- تشجيع الفاتيكان (دور البابوات):

تعود أمور التنصير المسيحي الكاثوليكي في كل بلدان العالم إلى الفاتيكان، حيث تخضع الجمعيات التبشيرية الكاثوليكية لسلطة البابا في روما، فهو الذي يقوم بالموافقة على نظامها وقوانينها، وتعهد مهمة الإشراف على هذه الجمعيات إلى المصلحة المسماة "الجمعية المقدسة لنشر الإيمان"¹.

أما فيما يتعلق بالجزائر فإن كل البابوات الذين تعاقبوا على كرسي البابوية، رأوا أن عودة المسيحية للجزائر أمر ضروري لكونها الباب الذي ينطلق عبره المنصرون نحو قارة إفريقيا، لذلك سنحاول التعرف على دور البابوين: بيوس التاسع وليون الثالث عشر لأن عملهما هام في هذا المجال ورئاستهم للفاتيكان تزامنت مع الحملة التنصيرية التي شنها المنصرون في الجزائر أمثال لافيغري وأتباعه من مبشري جمعية الآباء البيض.

أ- دور البابا بيوس التاسع:

هو البابا الثالث والخمسون بعد المائتين، ترأس الفاتيكان من 1846م إلى 1878م²، كان شديد الحماس للمخططات التنصيرية التي كانت تعرض عليه عن الجزائر وإفريقيا، إذ كان يرى في التنصير إحياء للحروب الصليبية، فكان يشجع الكاردينال لافيغري بلا حدود، ساندته في حملته التنصيرية التي قام بها مع أطفال المجاعة في الجزائر ويقول في ذلك: "إن الأمر لا يتعلق بالديانة فقط، وإنما بفرنسا التي أنتم -لافيجري- وأتباعكم جذبتم إليها القلوب عن طريق

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص51.

²- نفسه، ص200.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

خدمات الإحسان المسيحية وهو ما لم يحدث بقوة السلاح والتكاليف الباهضة¹، ثم قال عن هؤلاء اليتامى: "كيف لا يمكن لهؤلاء أن يحبوا الأمة والديانة اللتين هم مدينون لهما في كل شي حتى في حياتهم نفسها، وكيف -عندما يعودون إلى أوليائهم لمساعدتهم- لا يمكنهم أن يحرصوا بحضورهم وبأعمالهم وأقوالهم، هؤلاء للدخول في الديانة المسيحية والتقرب من الشعب الذي قدم لهم خدمات جليلة"².

ولم يكتفي بيوس التاسع بمباركة أعمال لافيغري فحسب، بل شجع الأوروبيين في فرنسا وبلجيكا على مساندة لافيغري في عمله التنصيري بتبنيهم الأطفال حيث رأى هذا البابا أن الأطفال الذين سينصرهم لافيغري سيعملون بدورهم على تنصير ذويهم، ومن جهة أخرى فإن هذا العمل سيؤثر على سلطات الاحتلال لكي تطلق العنان له ليقوم بعمله التنصيري بكل حرية، لذلك لم يبخل عليه بتشجيعاته.

وقد بلغت درجة إعجاب البابا بيوس التاسع بأعمال الكاردينال لافيغري التنصيرية في الجزائر حداً كبيراً لدرجة تعيينه مندوباً رسولياً للجمعيات التبشيرية في الصحراء الجزائرية وفي إفريقيا، ولم يكتفي بيوس التاسع بتشجيعه معنوياً، بل قدم له مساعدة مادية تمثلت في مبلغ مالي يعينه في مشاريعه التنصيرية بالجزائر³.

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 200.

2- نفسه، ص 201.

3- نفسه.

ب- دور البابا ليون الثالث عشر:

هو البابا الرابع والخمسون بعد المائتين، ترأس الفاتيكان من 1878م إلى 1903م، لم يختلف عن سابقه فيما يخص تشجيع المنصرين، فهو رقى لافيغري إلى رتبة أسقف "كاردينال" سنة 1882م، اعترافاً له بالخدمات الجليلة التي قدمها للتنصير المسيحي وكنيسة روما عموماً، حيث أثنى عليه قائلاً: "إن الخدمات التنصيرية التي قدمتموها لإفريقيا ترفعكم عالياً إلى حد تظهرون فيه مشابهيين للرجال الذين لهم مكانتهم في الكاثوليكية والحضارة"¹.

إضافة إلى ذلك كان هذا البابا يحث الأوروبيين على الانخراط في جمعية إخوان الصحراء المسلحين، الجناح المسلح لجمعية الآباء البيض، وبهذا فهو يشجع على التنصير بالقوة، ومما يبين رضاه كذلك عن الكاردينال لافيغري، تدخله لدى الحكومة الفرنسية لفض نزاعاته معها والدفاع عن الكنيسة²، الأمر الذي يوضح لنا مدى الحقد الذي يكنه الفاتيكان للإسلام والمسلمين والرغبة الجامحة للمسيحيين في نشر ديانتهم ولو بالقوة.

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص203.

² -Bauard,op.cit, p58.

المبحث الثاني: الأساليب غير المباشرة.

إذا كان التنصير المباشر هو أقدم الأساليب التي استخدمها المنصرون للتعريف بحياة المسيح وتعاليمه، فإن هذا الأسلوب سرعان ما تراجع وانحسر بعد دخول المسيحية في تحالف مع الحكومات وسلطات الاحتلال مما أدى إلى ظهور أساليب ووسائل جديدة في التنصير مع بداية القرن التاسع عشر فظهرت الحاجة إلى أساليب التعليم والخدمات الطبية والاجتماعية، فقامت الكنائس والإرساليات التنصيرية بتأسيس المدارس والمستشفيات في مختلف المناطق خدمة لأغراضها التنصيرية، هذا ما سنحاول دراسته بالتفصيل في هذا المبحث.

1- التعليم كوسيلة للتنصير:

استخدم المنصرون المدرسة في الجزائر بهدف الوصول في يوم ما إلى إحداث تغيير جذري في بنية المجتمع الجزائري انطلاقاً من الأسرة وذلك بتكوين جيل من النصارى ينبذ ماضيه الإسلامي، وينسلخ من عروبه ويندمج روحياً في الثقافة المسيحية، وهذا ما حاول المنصرون تحقيقه في الجزائر بمساندة سلطات الاحتلال التي أدركت أنها بعدما أحكمت السيطرة على الأرض عليها إكمال السيطرة على عقول الأجيال الصاعدة، وهذا ما يؤكد أن مهمة الاستعمار ثلاثية الأركان، تتمثل في: الجندي، المعمر، المعلم، والأخطر في هذه الثلاثية، هو عندما يكون ذلك الركن الثالث أي المعلم، منصرفاً يعمل على نشر الديانة

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

المسيحية مقابل الطعن في دين السكان ومحاربتة¹، لذلك فإن المنصرون كثيراً ما يقصدون في عملياتهم التنصيرية فئة الأطفال لعدة أسباب نذكر منها:

- المدرسة وسيلة هامة للاحتكاك بالسكان والتغلب على المشاكل الرئيسية التي تواجه المنصرين كتعصب السكان لدينهم².

- سهولة التأثير على الأطفال وتلقيهم مبادئ النصرانية لكونهم لم يتشبعوا بعد بدين أجدادهم الإسلام.

- ليس للأطفال ذلك النمو العقلي الذي يمكنهم من اكتشاف نوايا المنصرين الخفية.

- إعداد الرجال الذين ستعتمد عليهم الكنيسة في المستقبل³.

بناءً على هذا، يقصد الكثير من المنصرين، أبناء الفقراء واليتامى مثل ما فعل لافيغري مع الأطفال اليتامى من الجزائريين خاصة عندما حلت بهم تلك المجاعة الكبرى سنة 1867م، حيث أرسل العديد منهم إلى فرنسا، ولم يكن هدفه إنقاذ هؤلاء اليتامى بقدر ما كان يهدف إلى تنصيرهم، والدليل على ذلك هو رفضه إعادتهم إلى ذويهم عندما طلبت منه سلطات الاحتلال ذلك بعد نهاية المجاعة في الجزائر⁴، لذلك فإن التعليم التنصيري في الجزائر قام على أسس وأهداف نحاول توضيحها فيما يأتي:

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص56.

2- مصطفى فوزي غزال، الحيل والأساليب في الدعوة إلى التبشير، Univ. Of arisonalibrary، ص 89.

3- يسلي مقران، الحركة الدينية الإصلاحية في منطقة القبائل 1920- 1945، ط2، دار الأمل، تيزي وزو الجزائر، ص 140.

4- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص81.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التصيري

-أسس التعليم التصيري:

اقتصرت التعليم التصيري الموجه للجزائريين على بعض المناطق دون غيرها لعدة اعتبارات، وهذه المناطق هي:

*منطقة القبائل بجرجرة.

* منطقة الأوراس الشاوية بالهضاب العليا.

* منطقة وادي ميزاب بالصحراء الجزائرية.

* منطقة الهقار بلاد الطوارق بالصحراء كذلك¹.

وقد ركزوا على هذه المناطق اعتقاداً منهم أنهم سيحققون نجاحاً ملموساً في عملهم التصيري بين سكان هذه المناطق، واستندوا على ذلك بحجتين هما: الأصل واللغة.

-فبالنسبة للأصل، روج المنصرون لأفكار مفادها أن الأمازيغ هم السكان الأصليون للجزائر، وبالتالي فهم ليسوا عرباً وهذا أحد العوامل التي ستسهل عليهم عملية تنصيرهم.

- وبالنسبة للغة لاحظ المنصرون أن تعامل هؤلاء السكان فيما بينهم لا يتم باللغة العربية، وهذا ما سيساعد على إبعادهم عن اللغة العربية دون أدنى صعوبة².

بناء على هذا، ركز المنصرون على جملة من الأسس، رأوا أنها تقودهم إلى تحقيق بعض أهدافهم التصيرية وهي:

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص57.

2- نفسه، ص58.

1- العامل العرقي:

اهتم المنصرون بالجنس الأمازيغي، واختلفوا فيما يتعلق بأصل هذا الجنس، وذهبوا إلى عدد من النظريات سخروها لتحقيق أهدافهم، فالأمازيغ في نظرهم ينحدرون من الشعوب الشمالية، وذهب الكاردينال لافيغري بعيدا عندما صرح بأن القبائل والفرنسيين ينحدرون من سلالة واحدة هي سلالة الرومان، وحاول أن يقنع نفسه وغيره أن: "دما واحدا وأصلا رومانيا واحدا، وعلامة مسيحية واحدة، خلقت كلها بين القبائل والفرنسيين روابط صادرة من العناية الإلهية"¹.

والغرض من كل هذا هو محاولة التأثير على العنصر الأمازيغي، وحملهم على تقبل فكرة أنهم ليسوا عربا وبالتالي عزلهم عن سكان البلاد كخطوة أولى، ثم محاولة تغليب العنصر البربري على العنصر العربي حتى يتسنى لهم تدوير الثاني في الأول، ومن ثم إجبار السلطات الفرنسية على تقديم المساعدة للمنصرين وإطلاق العنان لهم للدعوة التنصيرية بكل حرية².

2- العامل الديني:

ركز المنصرون في الجزائر على العامل الديني سواء في الماضي عندما كانت المسيحية في عهد الاحتلال الروماني للجزائر منتشرة بعض الشيء، أو بعدها عندما ساد فيها الإسلام، وهكذا استخدموا كلا من الديانتين للتنصير كما يلي:

* بالنسبة للدين الإسلامي، اعتقد المنصرون أن إسلام الأمازيغ سطحي، وأن القرآن لم يدخل حياتهم العائلية والاجتماعية بشكل عميق، لكن الأمر ليس

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص59.

2- نفسه.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

كذلك، فما تأسيس هؤلاء الأمازيغ للمدارس القرآنية والزوايا إلا دليل حرصهم على تدريس أبنائهم اللغة العربية ومن أجل التفقه في الدين الإسلامي، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الأمازيغ عندما يسألون بشأن قبول أو رفض المنصرين عندهم كان جوابهم دائما هو: " نفضل الموت على أن نترك دين أجدادنا"¹.

* وفيما يخص الديانة المسيحية، فقد توصل المنصرون إلى نتيجة وجعلوها منطقية لأنفسهم، هي أن هؤلاء الجزائريين كانوا حسب زعمهم مسيحيين قبل الفتح الإسلامي، لذلك وجب عليهم العودة من جديد إلى حظيرة النصرانية ونبذ الدين الجديد الذي يدينون به، حيث يقول الجنرال دوما Dumas: " كلما تعمقنا في الحفر، كلما وجدنا تحت القشرة الإسلامية التي تغطي البربري رحيقا مسيحيا، وعند ذلك ندرك أن البربري الذي كان في القديم مسيحيا لم يتحول كلية إلى دينه الجديد"².

وذهب البعض يستدل على احتفاظ الجزائريين برموز النصرانية، بالأوشام التي يشم بها بعضهم وجوههم لكونها تشبه الصليب، أما الكاردينال لافيغري فقد نعت الجزائريين بالأمة الكافرة لتركها المسيحية واعتناقها الإسلام، ففي نظره يكفي التحدث للجزائريين عن دينهم القديم حتى يعودوا إليه تدريجيا³.

¹- Georges Goyau, Un grand missionnaire le Cardinal Lavignerie, librairie Plon, Paris, 1925, pp 74-75.

²- Ibid.

³- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص62.

3- العامل الاجتماعي والثقافي:

درس المنصرون المجتمع الجزائري دراسة دقيقة، خاصة المناطق التي يقطنها الأمازيغ، وكان هدفهم من ذلك معرفة كل ما يتحكم في نظام معيشتهم وأساليب تعامل الناس فيما بينهم، كل هذا من أجل أن يندسوا بين أفراد هذا المجتمع، بهدف إيجاد الطرق التي بواسطتها يستطيعون التأثير عليهم فيما يتعلق بالعمل التنصيري، لهذا اتجهوا نحو العرف واللهجات المحلية وقدرة السكان على التكيف، واعتقدوا أن هذا كله في صالح التنصير¹.

فالعرف في معناه العام يشير إلى جميع الممارسات الاجتماعية التي تخضع للتقنين، يشترك فيها أفراد الجماعة وتصبح تقليدا بينهم، وهو أيضا مجموعة القوانين التي يتعهد سكان قرية ما بالسير في حدودها والعمل على تطبيقها ومعاينة من يخالفها، وهذه القوانين تكون حسب طبيعة المنطقة التي يعيشون فيها وما تمتاز به من صعوبات، التي تتطلب منهم التعاون والتكاتف والتضامن للتغلب عليها، وهذا كله من تعاليم الدين الإسلامي، لكن المنصرون ادعوا أن هذه الممارسات الاجتماعية استوحاها سكان هذه المناطق من القانون الروماني المسيحي لهذا يرون أن الإسلام لم يتمكن من النفاذ إلى حياة السكان ولم يعمل على تنظيمها².

إضافة إلى هذا ركز المنصرون على المناطق التي تنتشر فيها اللهجات المحلية (القبائلية- الشاوية- الطارقية- المزابية)، لإضفاء طابع الشرعية على مخططاتهم التنصيرية، فهم ليسوا عربا، لذلك قصدوا استغلال اللهجات

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص62.

2- نفسه، ص63.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

ودراستها واستعمالها في التعامل مع الأهالي بهدف تنشيطها وإحيائها حتى لا تطفئ عليها اللغة العربية، ومن ثم إبعاد هؤلاء السكان عن اللغة العربية والإسلام، إضافة إلى تغليب السكان بنشر ادعاء كاذب مفاده أن المسلم يجب أن يكون عربيا فقط، ولا يجب أن يكون من قومية أخرى، زيادة على ذلك اختلق المنصرون مبررا آخر لتنصير الجزائريين مفاده أن الأمازيغي يمتاز بالقدرة على التكيف مع كل تغيير يحدث في محيطه الاجتماعي، ذلك أنه كما تقبل الإسلام دينا واللغة العربية لغة، بإمكانه أن يتبنى وبشكل سريع عادات المسيحيين ووسائل معيشتهم ولغتهم، فهم بهذا الاعتقاد يذرون الرماد في عيونهم بأنفسهم، ذلك أن دخول الأمازيغ للإسلام لم يكن بالقوة، إنما كان عن رغبة واقتناع بأنه دين الحق¹.

ونشير أيضا إلى أن المنصرون كانوا يركزون على التنصير الجماعي لسكان هذه المناطق لأن التنصير الفردي يعرض صاحبه للنبذ من طرف أهله وذويه، وبالتالي فشل مهامهم التنصيرية، لذلك كان لافيغري يحث المبشرين على أن تشمل دعوتهم كافة الناس².

4- العامل السياسي والعسكري والاقتصادي:

بعد الهزائم التي عرفتتها المقاومات الشعبية الجزائرية في مختلف المناطق، أثر هذا سلبا على اقتصاد السكان كما ترك آثارا سلبية سيئة على معيشتهم، حيث عمدت سلطات الاحتلال إلى تفجير السكان بمصادرة أراضيهم، وفرض غرامات مالية عليهم، مما سهل عمل المنصرين الذين انجذبوا إليهم تحت ستار

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 63

²- نفسه، ص ص 64-65.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

التعليم والعلاج والأعمال الخيرية لتعميق الهزيمة بطريقة غير مباشرة، فيد العسكري تضرب ويد المنصر تمسح الدموع عن الوجوه التي ضُربت¹.
مما سبق يتضح لنا أن المنصرين لم يتركوا أية وسيلة صغيرة كانت أم كبيرة إلا وبحثوا في مدى استفادتهم منها لتحقيق أهدافهم التنصيرية، بحيث أولوا اهتماما للإسلام وحاولوا التشكيك في إسلام الأمازيغ بكل ما أوتوا من بدع وما استطاعوا من تفتيق لأجل زحزحة إيمانهم العميق بالإسلام وللوصول إلى قبول النصرانية، كما درسوا اللهجات كوسيلة للاتصال بالسكان وأسلوب للتنصير، واستغلوا الفقر لنفس الغرض.

-أهداف التعليم التنصيري:

كان التعليم التنصيري في الجزائر يرمي إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1/ القضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية:

شكل الدين الإسلامي في الجزائر أهم عقبة وقفت في وجه المنصرين وأعاقت مخططاتهم ومنعتهم من نشر المسيحية، لهذا سعى المنصرون بكل ما يملكون من وسائل للتقليل من تأثير الدين الإسلامي في نفوس الجزائريين بمختلف المناطق، من ذلك احتجاج الكاردينال لافيغري على سلطات الاحتلال عندما سمحت للسكان أداء فريضة الحج بعد ما منعوا من ذلك سنة 1876م، فالإسلام هو الدرع الذي حمى الجزائريين من حملات التنصير، وكان عائقا أمام تغلغل المسيحية والاستعمار في إفريقيا، لذلك فإن معاداة المنصرين لهذا الدين نابعة من كونه مصدرا لقوة الجزائريين في مواجهة التنصير كما أنه مصدر الأحكام

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص ص65-66.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

المسبقة لهم اتجاه المسيحية، فمن خلال القرآن يدركون أن النصارى قاموا بتحريف النصرانية وأن هذا الدين المسيحي الذي يدعون إليه ليس هو الأصل الذي جاء به سيدنا عيسى عليه السلام¹.

أما اللغة العربية فهي الواجهة الأخرى للدين الإسلامي، كونها لغة القرآن الكريم، والقضاء عليها بمنع تدريسها ومزاحمتها بالمدارس التنصيرية والعمومية يعني إحداث فجوة عميقة بين الجزائريين وبين دينهم الإسلامي، لذلك اغتاز لافيجري عندما أدخلت سلطات الاحتلال اللغة العربية كمادة دراسية في مدارس التعليم العمومي، رغم أن ذلك كان فقط وسيلة لجلب الأطفال المسلمين إلى هذه المدارس، إلا أن المنصرين كانوا يرون في تدريس اللغة العربية بقاء الجزائريين على صلة بدينهم مما يجعل جهودهم التنصيرية تذهب هباء².

والحقيقة أن المنصرون في الجزائر يريدون أن لا تبقى ديانتان، بل يجب أن تزول إحداها، حتى يبقى فيها راع واحد وقطيع واحد، ولما كانت النصرانية هي ديانة المستعمر فالديانة التي يجب إزالتها حسب ظنهم هي الإسلام.

2/ نشر لغة وثقافة المستعمر بين الجزائريين:

مما لاشك فيه أن نشر لغة وثقافة المحتل بين الأوساط الجزائرية وخاصة بين الأطفال هو النتيجة الحتمية التي يريد المبشرون وغيرهم بلوغها من وراء محاربة الدين الإسلامي واللغة العربية، فهم يريدون أن يكون تفكير الجزائري فرنسيا ولغته فرنسية، وعاداته فرنسية، كما يرون ضرورة استعمال هذه اللغة في

¹ - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص68.

² -Bunard, op. cit, T2, p39.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

أغراض وأعمال وتجارة الجزائريين لتسهيل علاقاتهم وتعاملاتهم مع الفرنسيين في ميادين التجارة والأعمال وغيرها¹.

3/ تكريس الاحتلال والاندماج والقضاء على الثورات الشعبية:

كانت المدارس التنصيرية والعمومية في الجزائر بمثابة البيت الثاني للأطفال الجزائريين، والمعلم بمثابة الأب الثاني لهم، ومن ثم سعى المنصرون لسلخ هؤلاء الأطفال من محيطهم الاجتماعي والثقافي، وتوجيه أنظارهم نحو فرنسا وعظمتها وأمجادها، وتشتتتهم على حبها والإشادة بمفاخرها، والاستسلام لحكمها وخدمة مصالحها طواعية، وبهذا لن يعتبروا فرنسا كبلد تبناهم، إنما كوطن طبيعي لهم، فاعتبرت المدرسة من طرف المنصرين وسيلة من وسائل إدماج الشعب الجزائري في المجتمع الفرنسي، فكثيرا ما نادى لافيغري بذلك، كما رأى بعضهم أن الاندماج هو النتيجة الحتمية التي يجب على سلطات الاحتلال الوصول إليها وأن الخيار لا يكون إلا بين أمرين: إما الإدماج وإما الهدم، أي أن يقبل الجزائري الذوبان في المجتمع الفرنسي مع بقاءه مواطنا من الدرجة الثانية أو أن تهدم مقوماته الشخصية².

والواقع أن الجزائري مهدم في كلتا الحالتين لأنه إذا اندمج وتفرنس، يكون قد داس على أصله ودينه وكرامته، وفي الحالة الثانية إذا هدمت مقوماته الشخصية ضاع منه السلاح الذي يمكنه من القيام بالدفاع عن نفسه وفقد حصانته، فالإدماج بالنسبة للمنصرين هو إفراغ الجزائري من الداخل أي التخلي

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص70.

2- نفسه، ص71.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

عن دينه الإسلامي ولغته العربية مع الاحتفاظ بنمط معيشته وملبسه وتبني دين المستعمر ولغته وعاداته¹.

ومن جهة أخرى، فإن تحقيق الإدماج من طرف المنصرين في الجزائر سيؤدي إلى خنق الثورات الشعبية، وبالتالي وجود المنصرين هو استمرارا لعملية الاحتلال، ووسيلتهم في ذلك المدرسة، فهم بمثابة جيش ثان يقوم بمسح جيوب المقاومة المتمثلة في الدين الإسلامي الذي أكسب الجزائريين القوة التي جعلتهم يثورون على الاستعمار الفرنسي منذ وطئت أقدامه بلادهم².

4/ تهيئة الأرضية الصالحة للتنصير وإعادة المسيحية إلى الجزائر:

لم تكن نية المنصرين في إنشاء المدارس، أن ينال الأطفال الجزائريين نصيبهم من العلم والمعرفة أو أخذ قسط من الحضارة والمدنية، إنما هدفهم من ذلك هو تحقيق التنصير ومن ثم وضع اللبنة الأولى لإحياء مجد الكنيسة الإفريقية، التي اندثرت بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وهكذا عقدوا كل أمالهم على الأطفال الذين يجلبونهم إلى مدارسهم ليجعلوا منهم ليس فقط مسيحيين، إنما رجالا يفخرون بهذا الاسم كما يقول الكاردينال لافيغري، الذي لم يترك مناسبة أو فرصة تمرّ دون أن يوصي أتباعه بأن يعلموا أطفال الجزائر تاريخ الدين والكنيسة الإفريقية ولم يتوانى أن يذكر الجزائريين في كثير من المناسبات أن من أجدادهم من وصل إلى مصاف القديسين في الديانة المسيحية³.

¹- Fadhma Ait Mansour Amrouch, Histoire de ma vie, Edition la Découverte, Paris, 1965, p68.

²- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 72.

³- Baunard, op. cit, T2, p39.

5/ التنصير الذاتي:

يقصد بالتنصير الذاتي جعل المنتصرين من الجزائريين يدعون إلى النصرانية بين أهلهم وذويهم حتى يسيروا على نهجهم ويتقمصوا النصرانية دينا لهم، والهدف من هذا هو في قول أحد المنصرين اليسوعيين عندما سئل عن الغاية من تكوين هؤلاء فأجاب: "إذا حدث أن مات كل القساوسة فإن المسيحية ستبقى حية بواسطة هؤلاء"، ولبلوغ هذا الهدف، استخدم المنصرون كثيراً من الشبان المنتصرين في أغراضهم التنصيرية، فمنهم من اشتغل بالتدريس في مدارسهم¹، ومنهم من كلف بتلقين مبادئ الديانة المسيحية في المستشفيات، ومنهم من ساعد المنصرين على ترجمة الإنجيل إلى اللهجات المحلية، ومنهم من انخرط في الجمعيات التنصيرية وترقى إلى رتبة قسيس، كلف بإدارة قداس التعميد بين ذويه².

لقد أدرك المنصرون مدى التأثير الذي يمكن للمنتصرين الجزائريين أن يحدثوه في محيطهم، باحتكاكهم بذويهم بشكل مباشر أو عن طريق المساعدات الاجتماعية التي يحظون بها دون سواهم من الجزائريين كالمساعدات المادية التي يتلقونها من طرف المنصرين، لهذا اعتبرت خدمات المنتصرين ذات قيمة كبيرة للعمل التنصيري³.

والحديث عن التنصير الذاتي يقودنا للحديث عن دور المرأة في هذه العملية، إذ لم يغفل المنصرون أهمية المرأة في تنصير أبنائها إذا ما تنصرت هي، ولتحقيق

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص73.

2- Fadhma Ait Mansour Amrouch, op. cit, p97.

3- Bounard, T2, p383.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

هذا الغرض سعت المنصرات إلى جلب الفتيات لمدارسهن بهدف العمل على تنصيرهن تحت غطاء تعليمهن مبادئ اللغة الفرنسية وفنون التدبير المنزلي بل بلغ بهن الأمر إلى الاتصال بأولياء الفتيات وحثهم على أن لا يزوجوا بناتهم إلا مع الفتيان الذين زاولوا أو يزاولون دراستهم في مدارس المنصرين، وبهذا يستطيع المنصرين إنشاء أسر جزائرية متنصرة¹.

يعتبر التنصير الذاتي أخطر هدف للتعليم التنصيري في الجزائر خاصة ذلك الذي يتم عن طريق الأسر التي يكون فيها الوالدين من المنتصرين لأن هذا بمثابة البذرة التي تزرع قصد الوصول إلى تنصير الشعب الجزائري من جذوره ككل².

6/ تكوين نخبة موالية لفرنسا:

يقصد بالنخبة تلك الفئة من المجتمع التي بإمكانها تسيير أموره وشؤونه بشكل مباشر أو غير مباشر، لما تتمتع به من نفوذ اقتصادي، سياسي، اجتماعي، ثقافي وديني، وقد سعى المنصرون لتكوين هذه النخبة عن طريق المدرسة واهتموا بها لكونها فئة مؤهلة للتأثير في المجتمع نظرا لما تحظى به من مكانة وتقدير بين الناس، كما أنها الفئة التي درست وتخرجت من مدارس المنصرين، فهي أكثر انفتاحا للفكر المسيحي، وأقوى سند للمنصرين في تحقيق أهدافهم التنصيرية بين الجزائريين، وهي أيضا أحد عوامل جلب الشعوب والاحتفاظ بها وسهولة استعمارها³، وفي غالب الأحيان يختار المنصرون أفراد

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص74.

2- نفسه، ص75.

3- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص75.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

هذه النخبة من أبناء العائلات الميسورة، لأن نفوذهم استقل في المجتمع، مما يعني تسخير المنصرين هذا النفوذ لخدمة مخططاتهم التنصيرية والدفاع عن المصالح الاقتصادية والسياسية والثقافية للاستعمار الفرنسي¹.

7/ مساندة التعليم العمومي:

لقد كان التعليم التنصيري سباقا على التعليم العمومي المدني الفرنسي، مما جعل بعض الشخصيات الفرنسية توصي بضرورة الاعتماد على تجارب المنصرين عندما تقرر سلطات الاحتلال فتح مدارس التعليم العمومي، فالتعليم التنصيري، كان تعليما خاصا تمّوله الجمعيات التنصيرية، لذلك فقد أعفى سلطات الاحتلال من الكثير من التكاليف في فتح المدارس، كما ناب عنها في تحقيق أهداف التعليم العمومي الفرنسي إلى جانب تحقيق أهدافه الخاصة، فأدرك الطرفان أن جهودهما التعليمية تصب في مجرى واحد لكونها تخدم المصالح الاستعمارية لفرنسا، وترمي لتحقيق نفس الأهداف (الفرنسة-التنصير - الإدماج)².

وخلاصة القول أن التعليم التنصيري وإن تعددت طرقه وأساليبه فهو لم يكن يهدف لتعليم الجزائريين ونشر الحضارة بينهم كما زعم المنصرون، إنما هدف في الواقع إلى محو الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، وسعى لجعل الشعب الجزائري مسيحيا في الدين وفرنسيا في اللغة والتفكير، بل إنه كان أحد الركائز الخطيرة للاستعمار الفرنسي في الجزائر عامة والصحراء الجزائرية خاصة على المدى القريب والبعيد.

¹- Baunard, op. cit, T2, p383.

²- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص ص76-77.

-أنواع المدارس التنصيرية:

انقسم التعليم التنصيري في الجزائر خلال فترة الدراسة إلى نظامين تعليميين متميزين، أولهما التعليم التنصيري العمومي، وثانيهما التعليم التنصيري الخاص.

1/ التعليم التنصيري العمومي:

يعتبر هذا النوع من التعليم الجناح الثاني للتعليم الفرنسي العمومي العلماني، يقع تحت إشراف وزارة التعليم العمومي الفرنسية، إلا أن الإدارة وهيئة التدريس فيه كلهم من رجال الدين المسيحيين ذكورا وإناثا، غطى كل المناطق التي يسكنها الأوروبيون، ويتوجه هذا التعليم في خدماته إلى أبناء الفرنسيين سواء العسكريين أو المدنيين الذين وفدوا إلى الجزائر بعد الاحتلال¹.

2/ التعليم التنصيري الخاص:

يقع هذا النوع من التعليم على عاتق الجمعيات التنصيرية التي تقوم بتأسيسه سواء من حيث الإشراف عليه أو تمويله، ومن هنا فإن وزارة التعليم العمومي الفرنسية ليس لها أي دخل فيه إلا من حيث مساهمته للتشريع المدرسي الفرنسي فقط.

وينقسم التعليم التنصيري الخاص بدوره إلى قسمين أحدهما موجه لأبناء الأوروبيين في الجزائر، والثاني خاص بالسكان الجزائريين، وهو يختلف عن الأول في خدماته التعليمية الموجهة لأبناء الجزائريين، فهي خدمات مجانية يهدف المنصرون خلالها إلى تنصير الأطفال وقد خصت به مناطق معينة

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 102.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

من الجزائر وهي: جرجرة، الأوراس، والصحراء، لاعتقاد المنصرين أن سكانها يتوفرون على الشروط التي تسمح لهم بالدخول إلى النصرانية والانسلاخ من دينهم الإسلامي¹.

والجمعيات التي اهتمت بهذا النظام التعليمي هي:

* جمعية الآباء اليسوعيون (الجزويت Jesuites).

* جمعية مبشري السيدة الإفريقية (الآباء والأخوات البيض).

* جمعية ميلدماي البروتستانتية.

كان اليسوعيون والآباء البيض متعاونين في كثير من الأحيان على تنصير الجزائريين عن طريق نشر المذهب الكاثوليكي²، في حين كان مبشرو جمعية ميلدماي يسعون لنشر المذهب البروتستانتية، ومحاولة إغراء الجزائريين بالولاء للتاج البريطاني، كونها جمعية انجليزية، وفيما يلي نحاول التحدث عن نشاط كل من جمعية اليسوعيين ومبشري السيدة الإفريقية على اعتبار أنها الجمعيات التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

1/ نشاط جمعية الآباء اليسوعيين في التعليم التنصيري:

سار نشاطها في اتجاهين: الأول يتمثل في تكوين المعلمين المنصرين والثاني يتمثل في تأسيس المدارس لاستقبال أبناء الجزائريين.

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 103.

²- Bounard, T2, op. cit, p 454.

أ- تكوين المعلمين المنصرين:

إن فكرة إنشاء جمعية تنصيرية يُسخر أعضاؤها خدماتهم لنشر المسيحية في الجزائر، كانت نابعة من الأب اليسوعي جيرار P.Gérard الذي كان مدرسا بالسمنار الكبير بالقبة في الجزائر، وذلك في شهر ديسمبر سنة 1867م، وعندما تبنى لافيغري المشروع أوكل أمر تكوين المنخرطين الأوائل في هذه الجمعية إلى الآباء اليسوعيين، واستمرت الأمور على هذه الحال إلى أن تمكنت الجمعية الجديدة من الاعتماد على أعضائها في تكوين المعلمين المنصرين¹.

ب- تأسيس المدارس:

تمثل النشاط الثاني لجمعية الآباء اليسوعيين في تأسيس المدارس لاستقبال أبناء الجزائريين والعمل على تنصيرهم، ونشير إلى أن هذه الجمعية ركزت نشاطها خاصة في منطقة القبائل، التي أنشأوا فيها مدرستين تنصيريتين، الأولى في بني فراوسن سنة 1873م، والثانية في بني يني وهي مدرسة آيت الأربعاء سنة 1875م².

2/ نشاط جمعية مبشري السيدة الإفريقية:

كان مبشرو السيدة الإفريقية بشقيها الآباء والأخوات البيض، أول وأكثر الجمعيات التي تغلغت في مناطق عديدة من الجزائر، امتد نشاطها إلى غاية الصحراء خاصة وأنها تأسست في الجزائر، وهدفت إلى تنصير الشعب الجزائري وسكان القارة الإفريقية بوجه عام، حيث أسست مدارس في كل من

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 111.

2- نفسه، ص 112.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

غرداية، ورقلة، المنيعه، كما اهتمت هذه الجمعية بتأسيس ملاجئ للإيتام وتكوين منصرين في مؤسسة السمناڤ الصغير¹.

من هنا يتضح لنا أن جمعية منصري السيدة الإفريقية استطاعت توسيع نشاطها لغاية الصحراء الجزائرية، ونلاحظ كذلك اهتمام هذه الجمعية بالمناطق التي فيها جزائريين من أصول بربرية فقط لاعتقادهم أنهم سوف يحققون نجاحات ملموسة في هذه المناطق كما ذكرنا سابقا.

-برامج التعليم التنصيري:

تعتبر البرامج التعليمية الوسيلة الهامة التي من خلالها يستخدم التعليم للتنصير، لذلك اهتم المنصرون بنوعين من نظم التعليم هما: التعليم العام والتعليم الحرفي (المهني)².

1/التعليم العام:

كانت المرحلة الابتدائية هي أساس التعليم العام في المدارس التنصيرية المتمثلة في مدارس جمعية الآباء البيض الكاثوليكية، ويمكن للأطفال الجزائريين الالتحاق بهذه المدارس دون شرط السن لأن هم المنصرين هو أن يُقدموا إليها مع بقائهم فيها، كما كان يتم تقسيم الأطفال حسب أعمارهم إلى ثلاثة فئات هي: فئة الكبار، فئة المتوسطين، فئة الصغار، وهذه الفئات هي التي تشكل الفصول الثلاثة للمدارس التنصيرية في الجزائر³.

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 114.

2- نفسه، ص138.

3- نفسه، ص136.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التصيري

اعتماداً على هذا التقسيم يتم وضع برنامج مخصص حسب كل فئة لتعليمهم مبادئ اللغة الفرنسية كما يلي:

أ- الصغار: يلقنون الحروف الأبجدية.

ب- المتوسطون: يعلمون المبادئ الأولى للنحو والحساب.

ج- الكبار: برنامج دراستهم يشبه ما يدرسون في المدارس الحكومية.

أما في ورقة فقد وضع المنصرون في مدارسهم برنامجين أحدهما نظري والآخر تطبيقي (عملي) للأطفال، فالتعليم النظري يشمل القراءة والخط ومبادئ الحساب والتاريخ وجغرافية إفريقية واللغة العربية والغناء والموسيقى، والتعليم التطبيقي يتضمن معارف في صناعة القفص والنجارة والبستنة، وقد قدر الحجم الزمني في المدارس التصيرية حوالي ثماني ساعات في اليوم، أربع ساعات لتلقي الدرس، وأربع ساعات للمطالعة والمراجعة، ما يبين على أن المنصرين كانوا يصرون على مكوث الأطفال عندهم مدة طويلة مما جعلهم يلجؤون إلى إنشاء داخلات ملحقة بمدارسهم بهدف التأثير عليهم بشكل فعال¹.

وكان المنصرون يهدفون من وراء تعليمهم الابتدائي الأولي إلى إعداد التلاميذ ظاهرياً للشهادة الابتدائية الخاصة بالجزائريين Certificat d'études indigènes والتي يمكن للمتحصل عليها العمل كمرن في مجال التعليم².

أما فيما يخص تعليم البنات فإن التعليم التصيري الموجه لهن لا يعدو أن يكون مبادئ في الحساب والقراءة والخط، وذلك على نطاق ضيق وحسب ما يسمح به الوقت المتوفر، على أن التركيز كان على تعليمهن فنون التدبير

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 136.

2- نفسه، ص 136، 137.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التصيري

المنزلي مثل: تحضير الأطباق الفرنسية، الغسيل، الخياطة اليدوية، الترقيع، الحياكة، إضافة إلى بعض الحرف الأخرى مثل: صناعة السلال والقفف في منقطة القبائل، أشغال الصوف، وصناعة الزرابي في بسكرة والأغواط وغرداية والقليلة (المنبعة)¹.

نلاحظ هنا تركيز المنصرات على فنون التدبير المنزلي أكثر من التدريس لأن التعليم بالنسبة للمنصرات ليس هدفاً في حد ذاته.

2- التعليم الحرفي (المهني):

كان التعليم الحرفي يهدف إلى إكساب التلاميذ بعض المهن التي كانت سائدة في ذلك العصر، واهتم المنصرون بهذا النوع من التعليم لكونه لا يحتاج إلى ثقافة عالية في اللغة الفرنسية حتى يتمكن الدارسون من تعلم الحرف المختلفة، كما أن اهتمام التلاميذ بالعمل اليدوي سيجعلهم يواظبون عليه ويلتحقون بمدارسه².

وقد اهتم المنصرون بتعليمهم الحرفي باليتامى واليتيمات الذين أسسوا لهم الملاجئ، وكان هذا التعليم يقتصر في غالبته على التعليم الزراعي وكل ما يتعلق به، يتم تعليمهم مبادئ اللغة الفرنسية في ساعتين، وتسع ساعات للدراسة التطبيقية في الورشات والحقول، وقد حاول المنصرون تنظيم التعليم الزراعي فأسسوا مدرسة فلاحية في خراطة إلا أنها كانت تجربة فاشلة مما اضطرهم إلى الانصراف عن هذا التعليم وغلق هذه المدرسة³.

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 139.

2- نفسه، ص 141.

3- نفسه، ص 142.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

مما سبق نستخلص أن المدارس التنصيرية في الجزائر لم تكن تهدف إلى التعليم والتنقيف بقدر ما كانت تهدف إلى التنصير وإخراج الأطفال الجزائريين من دينهم الإسلامي ولغتهم العربية، ولإضفاء طابع المسيحية على البرامج التعليمية اتبع المنصرون أساليب غير مباشرة في تحقيق هذا المسعى، فهم من جهة يحتاطون من إثارة الشكوك حول نواياهم التنصيرية، ومن جهة أخرى يتهربون من مخالفة التشريع المدرسي الفرنسي الذي ينص على الحياد الديني للمدرسة.

ومن الأساليب الغير مباشرة للتعليم بالمسيحية نذكر ما يلي:

1/ استخدام نصوص مستخرجة من الإنجيل في دروس تقدم للتلاميذ أو واجبات يطلب منهم انجازها.

2/ تدريس مادة تاريخ الديانة المسيحية وهذا بأمر من الكاردينال لافيغري بداية من أواخر سنة 1886م¹.

3/ وضع مطبوعة للتربية الدينية باللغة العربية جمعت فيها سور من القرآن ونصوصاً من الإنجيل تتناول مواضيع مشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية، خاصة عندما دخلت اللغة العربية كمادة دراسية في المدارس العمومية الموجهة للجزائريين، ويختم اليوم الدراسي بالتراتيل الدينية².

أما الطريقة المتبعة في تعليم مادة الديانة المسيحية فيرى لافيغري أنه توجد

ثلاث طرق لتعليمها للأطفال هي:

¹- Baunard, op.cit, T2, pp 38-39.

²- Ibid. p 47.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التصيري

1- الطريقة الأولى: تكون فيها الدروس على شكل خطاب أو محاضرة، بينما يكتفي الأطفال بالاستماع فقط.

2- الطريقة الثانية: يتم من خلالها عرض مادة التدريس بتقسيمها إلى أجزاء أساسية، ثم أخذ كل جزء على حدة لتحليله وشرحه، وبعد كل جزء مشروح يتوقف المعلم لمساءلة الأطفال كي يعيدوا على مسمعه ما قاله ويتأكد أنهم فهموا فهماً جيداً ما عرضه عليهم¹.

3- الطريقة الثالثة: تقوم على أساس شرح الفصل الذي تلاه الأطفال بواسطة الأسئلة البسيطة والمتدرجة التي تكون في متناولهم، مما يجعلهم يفهموا الكلمات التي قد تكون غامضة عليهم، ومهما تكن الطريقة المتبعة فإن الكتابة ضرورية في كل المراحل، وفي النهاية تتم مكافأة التلاميذ بإجازات لتحفيزهم²، وهذه الإجازات قد تمنح في آخر النهار أو أثناء الدرس أو في نهاية كل شهر، وفي الكثير من الأحيان تكون هذه الإجازات عبارة عن سباحات صغيرة وصلبان وميداليات، وبالمقابل لم يفلت الأطفال الجزائريون من العقاب البدني³.

ولا يمكن الحديث عن التعليم التصيري دون الإشارة إلى المعلمين المنصرين فالمعلم يعتبر حجر الزاوية في العمل التصيري، لذلك كان الاهتمام كبير بتكوين المعلمين المنصرين خاصة في عهد الكاردينال لافيغري الذي كان حريصاً على إعداد المعلمين المنصرين وتكوينهم لرفع مستواهم الفكري.

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 145.

²- نفسه، ص 145.

³ -Fadhma Ait Mansour amrouch,Histoire de ma vie, Edition la decouvert, Paris , 1965, p8.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

وقد مر تكوين المعلمين المنصرين وإعدادهم بثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى:

تبدأ من تاريخ تأسيس معهدى سانت أوجين Saint eugène (بولوغين حالياً) والقبّة، أي سنة 1848م، وتنتهي بإنشاء جمعية مبشري السيدة الإفريقية (الآباء البيض) من طرف لافيغري أي سنة 1868م، وفي هذه المرحلة لم تؤسس أية مدرسة تنصيرية للجزائريين لأن سلطات الاحتلال كانت تمنع المنصرين من القيام بالعمل التنصيري بين صفوف الجزائريين وخاصة في ميدان التعليم، واقتصر التعليم العمومي والخاص الموجه لأبناء المستوطنين على دور الجمعيات التنصيرية¹.

المرحلة الثانية:

بدأت من سنة 1868 م إلى غاية 1881م، تميزت بتعيين المطران لافيغري أسقفا للجزائر سنة 1868 م، وتأسيس جمعية مبشري السيدة الإفريقية، وتم تكوين المنصرين على أسس جديدة، حيث سعى لافيغري لإنشاء معهدين آخرين لطلبة اللاهوت في كل من وهران وقسنطينة، كما تم تأسيس معهد لتكوين منصري الجمعية الجديدة².

المرحلة الثالثة:

كانت في الفترة الممتدة من سنة 1881م إلى سنة 1904م، تميزت هذه المرحلة من تكوين المعلمين المنصرين بتدعيم منصري السيدة الإفريقية من ناحية المؤسسات، كما تم تأسيس جمعية إخوان الصحراء المسلحين لحماية

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 157.

2- نفسه، ص 158.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

المنصرين أثناء القيام بمهامهم نظراً لمصرع العديد منهم في الصحراء الجزائرية¹.

ونشير هنا إلى أن المعلمين المنصرين في الجزائر انقسموا إلى ثلاثة أنماط هي:

***الآباء المنصرون:** يتم تكوينهم لمدة خمس سنوات في كلية اللاهوت والمعاهد التابعة لجمعية مبشري السيدة الإفريقية.

***الإخوان (الأخوات) المنصرون:** يتم تكوينهم لمدة سنتين ونصف في نفس المعاهد التي يتكون فيها الآباء².

***المساعدون المحليون (الأهالي):** أغلبهم من سكان البلاد المرتدين عن دينهم، تتلمذوا على يد الآباء أو الإخوان المنصرين في المدارس التنصيرية أو في ملاجئ اليتامى، وجدير بالذكر أن استخدام هؤلاء المساعدين، له أكثر من دلالة، فالمرتد عن دينه له إمكانية التأثير على بني جنسهم بشكل مباشر عن طريق الاحتكاك بهم وتقديمهم كقدوة لهم، وبشكل غير مباشر عن طريق المعيشة التي يضمنها لهم المنصرون في وقت يعيش فيه الشعب الجزائري في فقر كبير بسبب انتزاع أراضيهم منه ، وما حل به من كوارث طبيعية كالجفاف و المجاعة³.

¹ - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 160، 161.

² Baunard, op. cit, T2, p 290.

³ - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 167.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

- معاهد تكوين المعلمين المنصرين:

بلغ عدد معاهد إعداد المعلمين المنصرين حوالي تسعة معاهد هي كما يلي:

1/ المعهد الصغير " السمنار الصغير " يقع في سانت أوجين "بولوغين" بالجزائر، يعد فيه الطلبة شهادة البكالوريا.

2/ ثلاثة معاهد كبرى بمثابة كليات للاهوت " السمنار الكبير " واحد في الجزائر العاصمة بالقبة، والثاني بوهران، والآخر في قسنطينة.

3/ ثلاثة معاهد للمبشرين المبتدئين واحد منها للذكور كان مقره بالأبيار في الجزائر العاصمة، ثم نقل إلى الحراش، ومنه إلى العطاف بالشلف، ثم أعيد إلى الحراش، والثاني للإناث كان مقره بالقبة ثم نقل إلى بوزريعة ثم أعيد إلى القبة من جديد، واختص في النهاية بتكوين المنصرات اللواتي يشتغلن في فلاحه الأرض، أما الثالث فهو للإناث كذلك يقع في تونس ويختص بإعداد المنصرات اللواتي يكلفن بمهام التنصير، وتخرج من هذه المعاهد ما يسمى بالإخوان المنصرون والأخوات المنصرات.

4/ معهدان لإعداد الآباء المبشرين أحدهما يقع بتيباز في تونس والآخر بقرطاج كذلك في تونس.

وتجدر الإشارة إلى أن المعاهد الستة الأخيرة كلها تابعة لجمعية مبشري السيدة الإفريقية مما يدل على الأهمية الكبيرة التي يوليها مسؤولو هذه الجمعية لإعداد المنصرين في كل من الجزائر وتونس، كما أن نقل معهد المبتدئين ما بين الأبيار والحراش والعطاف يعود إلى أن طلبته المنصرون يتبعون نقل يتامى

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

المجاعة عبر هذه الأماكن الثلاثة، أما السمنار الصغير والسمنار الكبير فهما تابعان لأسقفية الجزائر¹.

- شروط الدخول لمعاهد تكوين المنصرين:

حدد لافيجري شروط الدخول لهذه المعاهد كما يلي:

1/ شروط الدخول للسمنار الصغير:

- التخرج من إحدى المدارس التي يديرها خوري أو أحد المدارس الملحقة بالكنائس.

- الاستعداد للانخراط في سلك رجال الدين.

- النجاح في امتحان الدخول للصف الرابع.

- العجز عن دفع مصاريف الدراسة.

- التعهد بإعادة دفع مصاريف الدراسة بعد أن يصبح الطالب قسيسا.

- القبول من طرف لجنة المنح².

من خلال هذه الشروط نلاحظ أن التلاميذ الذين تابعوا دراستهم في مدارس التعليم العمومي لا يقبلون في السمنار الصغير، وذلك يعود لنقص التكوين الديني لديهم، عكس التلاميذ الذين يأتون من المدارس الملحقة بالكنائس أو التي يديرها خوري، إذ يكون التعليم الديني فيها ذا أهمية يوليها له رجال الدين، كما أن إعادة دفع مصاريف الدراسة بعد التخرج نتيجة عدم القدرة على تحملها أثناء الدراسة، يبين أن هؤلاء يختارون لكي يبقوا ضمن السلك الديني.

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 164.

2- نفسه، ص 164.

2/ شروط الدخول للسمنار الكبير:

- التخرج من السمنار الصغير.
- إظهار ميول جدية في المجال الديني.
- دراسة القسم الفلسفي باللاتينية " القسم النهائي بالمفهوم الحالي ".
- العجز عن دفع المصاريف.
- التعهد بإعادة دفع ثلثي مصاريف الدراسة بعد أن يصبح الطالب قسيسا.
- القبول من طرف لجنة المنح¹.

3/ شروط الدخول لمعهد المبتدئين التابع لجمعية مبشري السيدة الإفريقية:

حدد الأب الروحي للجمعية لافيغري شروط الدخول لمعهد المبتدئين كما

يلي:

- أن يكون عمر المترشح ست عشرة سنة على الأقل.
- أن ينهي الدراسات التقليدية إلى غاية القسم الفلسفي.
- إذا لم يدرس المترشح القسم الفلسفي والدراسات الدينية، فإنه يحول للدراسة في السمنار أو في كلية اللاهوت التابعة للجمعية².
- الإيمان بالعمل التنصيري، وهذا الإيمان نابع من النظام المتبع في هذا المعهد حيث:

* لا تسلط فيه عقوبات على أحد، ولا تمنح فيه مكافآت.

* لا يدخله أحد إلا من أجل طاعة الله.

* لا يبقى فيه أحد إلا ليتكون على فضائل المنصرين.

¹- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 165.

²-Bunard, op. cit, T2, pp 458- 459.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

* لا يعمل فيه المرء إلا ليصبح قادرا على خدمة الإرساليات التنصيرية على الأرض، كي يستحق الحصول من يد الإله على المكافآت الأبدية التي وعد بها رسله¹.

يتضح من خلال هذه الشروط أن الدخول إلى معهد المبتدئين التابع لجمعية مبشري السيدة الإفريقية، يرتبط ارتباطا وثيقا بإيمان الراغبين في الدخول إليه بالعمل التنصيري، فالطالب المنصر في هذا المعهد يجب أن يهب نفسه للجمعية التي ستستخدمه، في نشر النصرانية والدعوة إليها دونما مقابل، إلا الوعد بالمكافآت الأبدية بعد الممات.

-تأدية اليمين أثناء التخرج:

يقوم المنصر سواء كان أبا أو أخا بتأدية اليمين في حفل التخرج، يعلن فيه تعهده بخدمة التنصير في إفريقيا إلى مماته حيث يقول: " بحضور إخواني المجتمعين أنا.....أقسم على الأسفار المقدسة، بأن أسخر نفسي إلى يوم مماتي للخدمات التنصيرية، وذلك حسب قوانين جمعية المنصرين، وبناءا على ذلك أعد وأقسم لرئيس هذه الجمعية بالخضوع والطاعة، وذلك فيما يتعلق بالغيرة على العمل التنصيري والحياة الجماعية حسب ما تمليه القوانين.²" من خلال هذا القسم يتضح لنا مدى إيمان المنصر بالمهمة التي أعد لها وكون من أجلها.

¹- Ibid. p 383.

²- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص173.

-الإشراف على التكوين في معاهد إعداد المنصرين:

يعتبر الأسقف موجهًا روحياً للطلبة المنصرين، ومشرفاً عاماً على معاهد إعداد المنصرين، فالكاردينال لافيغري اختار الإقامة في بولوغين حتى يكون قريباً من السمنار الصغير ويوليه العناية اللازمة عن قرب، وكان عندما يريد السفر يجمعهم ويحثهم على القيام بواجباتهم كمسيحيين وكنصرين¹، إضافة إلى ذلك كان يسهر على إعداد برامج هذه المعاهد ويعمل على تطويرها أما مهمة الإدارة والتسيير والتكوين فقد أوكل أمرها إلى أعضاء جمعية الجزويت التنصيرية بالنسبة للذكور، أما بالنسبة لإعداد المنصرات فقد كانت تشرف على إعدادهن ثلاث جمعيات نسائية هي:

* بنات الإحسان.

* أخوات العقيدة المسيحية.

* أخوات القديس شارل دي نانسي².

-كيفية استخدام التعليم كوسيلة للتنصير:

إضافة إلى البرامج الدراسية يعتمد المنصرون على طرق أخرى في التعليم

لتحقيق عملية التنصير نذكر منها:

1/ إعداد المعلمين المنصرين:

يعتبر إعداد المعلمين الركيزة الأساسية لنجاح التعليم التنصيري وبلوغه أهدافه، فالمعلم يجب أن يكون مطلعاً على علم الأديان ويتقن اللغة العربية، واللهجات

¹- Baunard, op. cit, p 381.

²- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص176.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

المحلية، لأنها أدوات تمكنه من الاحتكاك بالأطفال والاتصال بالسكان والدعوة إلى المسيحية بلغة السكان¹.

2/ الأساليب المتبعة لجلب أبناء الجزائريين للمدارس التنصيرية:

استعمل المنصرون أساليب عديدة لإغراء الأطفال بالقدوم نحو مدارسهم، والتأثير على أوليائهم حتى لا يمانعوا من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس، ومن تلك الأساليب نذكر:

* **تقديم الحلوى:** معروف عند الأطفال أنهم يحبون الحلوى، لذلك عمد المنصرون إلى توزيع الحلوى عليهم لتشجيعهم على الذهاب لمدارسهم.

* **منح النقود:** استخدم المنصرون النقود في تعاملهم مع الأطفال في عدة أغراض، حيث كانت تمنح النقود لكل طفل ينجح في استقدام زملاء له إلى مدرسة المنصرين، كما تمنح النقود لكل من قدم إلى المدرسة وكل من نجح واجتهد أثناء الدروس، وبالمقابل يحرم من النقود كل تلميذ تغيب عن الدروس ولم يحضر حصة المطالعة، كما كان يمنح للتلاميذ مرتب شهري من قبل المنصرين، الأمر الذي يجعل آباءهم لا يمانعون من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس².

وعندما يتجمع لدى التلميذ عدد معين من النقود حسب نظافته ومثابرتة على الدراسة وحبها لها، بإمكانه أن يشتري من محل " المبشر المدير " ما يروق له من أشياء، كما كانت تمنح لكل طفل زاول الدراسة لمدة عشرين يوما في الشهر ورقة يانصيب وبصفة مجانية.

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 82.

2- نفسه، ص 83.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التصيري

* **الألعاب:** أقام المنصرون في فناء المدارس التصيرية ألعابا رياضية وأراجيح

تكون في متناول جميع الأطفال يومي العطلة الأسبوعية " السبت والأحد " .

* **إقامة المعارض:** عملت المنصرات على إقامة معارض لما تنتجه التلميذات

من أشغال الخياطة وهي طريقة جعلت أمهاتهن يقبلن بإرسال بناتهن للمدارس

التصيرية.¹

* **توفير المأوى والطعام:** وفر المنصرون المأوى والطعام للتلاميذ الذين

يسكنون بعيدا عن المدرسة التصيرية ولليتامى منهم بشكل خاص، وهذه الطرق

تبدو في ظاهرها أن المنصرين لهم شفقة على اليتامى والقاطنين بعيدا عنهم،

إلا أن الهدف في الحقيقة هو محاولة إبقائهم لأقصى مدة ممكنة في المدارس

حتى يبقى تأثير الدعوة التصيرية عليهم عميق كلما ابتعدوا عن أوليائهم ومكثوا

أكثر مدة مع المنصرين، وقد لجأ المنصرون في بعض الأحيان إلى تهريب

الأطفال لأديرتهم في الجزائر وفي فرنسا.

* **الحفلات المدرسية:** دأب المنصرون على تنظيم حفلات كبيرة في مدارسهم

مساء كل أربعاء يضم أقسام كل المؤسسة، يختتم بتوزيع الجوائز على التلاميذ،

ولا شك أن الأعياد الدينية المسيحية هي من المناسبات التي يستغلها

المنصرون في مدارسهم للدعوة إلى النصرانية بشكل أوسع.²

يتضح مما سبق أن المنصرون ابتكروا أساليب متنوعة لجذب الأطفال إلى

مدارسهم لأنهم متى نجحوا في ذلك وربحوا في كسب ثقتهم وثقة أوليائهم، أتت

المرحلة الموالية وهي العمل على تنصيرهم، وقد بدؤوا مشروعهم هذا بتدريس

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 84.

2- نفسه، ص 85.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

تاريخ الكنيسة الإفريقية، واستخدام نصوص من الديانة المسيحية في أغلب تمارين الإملاء في القسم.

وما اهتمام المنصرين بالتعليم وتسخير كل هذه الجهود لإنجاحه، إلا دليل واضح على إدراكهم مدى أهمية التعليم في النشاط التنصيري، وأنه القاعدة الأساسية التي يمكن الاعتماد عليها لإنجاح هذه المهمة، كما أنه أساس كل الطرق والأساليب الأخرى سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة.

2- استعمال الطب كوسيلة للتنصير:

يعتبر استخدام التطبيب في العمل التنصيري أكثر شمولاً من الوسائل الأخرى وأبلغ أثراً لأنه موجه لجميع الفئات الكبار والصغار على حد سواء، كما أن وقعه على النفوس أكثر تأثيراً لأن الأمر يتعلق بمعالجة أمراضهم والتخفيف من آلامهم، والتطبيب لا يرتبط بمكان معين أو طبيب خاص فالمدرسة يمكن أن تكون مستوصفاً والمعلم فيها يكون ممرضاً¹.

وقد ظهرت أهمية العلاج كوسيلة من وسائل التنصير في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، حيث استخدم المنصرون في الجزائر التطبيب بطريقتين هما:

1- إقامة المستشفيات واستقدام المواطنين لها:

حيث أدار المنصرون اثنين من المستشفيات التي أقاموها بالجزائر، أحدها أقيم بالعطاف بوادي الشلف من طرف لافيغري سنة 1868م، سماه "بيت الله"² إدراكاً منه أن بيت الله بالنسبة للمسلمين يتمثل في المسجد الذي

¹- أ.لشاتوليه، الغارة على الإسلام، تر: محب الدين الخطيب ومساعد الباني، دار المدني، ص 40.
²- Bounard, op. cit, T2, p 375.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

يجب على كل مسلم الدخول له للعبادة والتعليم، ومن جهة أخرى حتى يجلب سكان المناطق المختلفة إليه دون أي خوف من المنصرين.

أما المستشفى الثاني فقد أسسه الحاكم العام للجزائر آنذاك "جول كامبون" Jules Gambon في بني منقلاط بمنطقة القبائل الكبرى سنة 1894م، ومُنح الإشراف عليه وتسييره للأخوات البيض، وأطلق عليه اسم مستشفى "سانت إيزابيت" Ste Elisabeth، وهذا ما يجسد التعاون الوثيق بين سلطات الاحتلال والمنصرين في العملية التنصيرية¹.

وقد استخدم المنصرون أساليب عديدة في التطبيب لتنصير المرضى في المستشفيات، كإقامة المنصرات لصلواتهن في قاعات المرضى وتقديم هدايا لمن يبدي اهتماماً بالديانة المسيحية، أو دعوة القادرين من المرضى لحضور القداس² الذي يقام في كنيسة المستشفى كل يوم وترويج دعاية بينهم مفادها أن الجنة لا تكون إلا من نصيب الذين يُعمدون قبل الوفاة.

2- علاج المرضى في منازلهم³:

وهي طريقة هامة في العمل التنصيري لأن دائرة احتكاك المنصرين بالمواطنين ستتسع أكثر لكون الأمر لا يتعلق بالمرضى فقط بل سيتعداه إلى أهله، وبالتالي جيرانه والمقربين منه، مما سيجلب الكثير من الجزائريين ويؤثر فيهم، إضافة إلى أن دخول المنصرين إلى بيوت المرضى سيفيدهم في الوقوف

¹ - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 88.

² - AmrouchFadhma, op.cit, p72.

³ - Baunard, op. cit, T2, p 309.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

على أحوال معيشة السكان والبحث عن أمور أخرى تساعدهم في التخطيط لتحقيق أهدافهم التنصيرية¹.

إذ أن محاولات تنصير هذه الفئة من الجزائريين كانت تتم بشكل غير مباشر، حيث يوهمون المرضى بأن ما قاموا به اتجاههم من علاج ناتج عن كونهم مسيحيين، وأن العناية الإلهية هي التي أملت عليهم القيام بهذه المهمة². وتكمن أهمية التطبيب في العمل التنصيري في كونه أحد دعائم هذا العمل، ومن خلاله يمكن للمنصرين تنفيذ مخططاتهم³ دون أن يلاقوا أي ردة فعل من الجزائريين، فالتطبيب هو الوسيلة الهامة التي تجعل المنصرين في اتصال مباشر مع الجزائريين لربح ثقتهم ثم تصحيح أفكارهم المسبقة عنهم، وتغيير نظرتهم اتجاههم، وبالتالي الوصول إلى الأهداف المنشودة، لأن التطبيب والعلاج هو الطريقة التي من خلالها يمكن للمنصرين أن يُظهروا خصالهم الخلقية الحميدة كالطيبة والرفقة والشفقة والتسامح ومحبة الناس والاهتمام بصحتهم، وكلها صفات يتأثر بها الجزائريون وبالتالي التعلق بالمنصرين وبأفكارهم، كما يمكن من خلال التطبيب جلب الفتيات للعمل في المستشفيات ومنه تسعى المنصرات لاستدراجهن ثم تنصيرهن فيما بعد، فالتنصير هنا لا يتعلق بالمرضى فقط، إنما حتى المساعدين والعمال وغيرهم⁴.

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص88.

2- مصطفى خالدي وعمر فروخ، المرجع السابق، ص62.

3- مصطفى فوزي غزال، المرجع السابق، ص65.

4- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص89.

3- الأعمال الخيرية كوسيلة للتنصير:

يعتبر العمل الخيري السلاح الأول الذي من خلاله يستطيع المنصرون الدخول إلى قلوب الناس واستمالتهم، وقد أكد عليه لافيغري الذي أوصى منصريه بالحرص على استخدامه نظراً لما يتركه من أثر بالنسبة للجزائريين، وقد استخدم المنصرون في الجزائر أعمال خيرية متنوعة، وفي غالب الأحيان يقصدون بها المحتاجين خاصة لإدراكهم بأن هؤلاء أكثر سهولة للوقوع في قفص هذه الأعمال¹، ومن الأعمال الخيرية التي مارسها المنصرون في الجزائر نذكر منها ما يلي:

* الاهتمام باليتامي:

تزامن هذا العمل مع المجاعة التي عرفت الجزائر سنة 1867م، حيث جمع لافيغري خلال هذه الكارثة ما يقرب 1752 طفلاً جزائرياً، فقد منهم الكثير وأعاد بعض منهم إلى ذويهم، وبقي عنده حوالي 600 طفلاً، ورغم مضايقات السلطة الفرنسية إلا أنه رباهم تربية مسيحية ونصرهم².

* مساعدة المقبلين على الزواج:

حرص المنصرون على تكوين أسر من المتنصرين الجزائريين فقد أدركوا أن غرس جذور المسيحية في الجزائر لا يمكن أن يتم إلا عن طريق أبناء البلاد وذريتهم، لذلك لم يتوانوا في مساعدة الشبان المتنصرين المقبلين على الزواج،

¹Baunard, op. cit, T2, pp 470- 471.

²- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص91.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

وتوفير كل الوسائل المعيشية لهم، كالبحث عن خطيبة وتقديم المهر لأولياؤها، وكذلك توفير السكن، إضافة إلى تقديم مساعدات مالية للمتزوجين¹.

*تقديم الهدايا للجزائريين:

كثيراً ما كان المنصرون يقدمون هدايا للجزائريين خاصة في أعياد الميلاد، وتمثلت هذه الهدايا في قمصان وشاشيات ومناديل وفساتين وصور للمسيح وغيرها من الهدايا التي كانوا يغرون بها الجزائريين².

*المساعدات المالية:

كانت المساعدات المالية تقدم للمحتاجين وغير المحتاجين على شكل هبات أو على شكل مرتبات للجزائريين الذين يشتغلون في مدارس المنصرين أو مستشفياتهم أو غيرها³.

*وسائل أخرى:

من الوسائل الأخرى التي استعملها المنصرون في العمل التنصيري نذكر مثلاً: إقامة المراكز التنصيرية خاصة المدارس في القرى التي تخلو من المدارس القرآنية لأنها لن تجد منافسة لها من طرف المدارس القرآنية، كما حدث في منطقة القبائل، إضافة إلى إقامة المدارس التنصيرية في أحياء الفقراء كما حدث في غرداية، وعندما يبدأ التأثير على السكان يوتي ثماره تنتقل المدرسة إلى حي الأغنياء لأنهم حسب اعتقادهم إذا سيطروا على الطبقة الميسورة يستطيعون

1- محمد الطاهر وعلي، نفسه، ص92.

2- نفسه.

3- نفسه، ص 93.

الفصل الثاني = أساليب المنصرين في العمل التنصيري

السيطرة على كل السكان، كما أنهم كانوا يتخلون عن المناطق التي لا يمكنهم التأثير على سكانها في كثير من الأحيان¹.

هذا بالإضافة إلى محاولتهم تحريف فهم القرآن الكريم، واستخدام الآيات التي تكرم المسيح وأمه في إدخال المفاهيم المسيحية، كما أدركوا خطورة الإعلام واستغلوا الصحافة والطبع والنشر في الترويج لأفكارهم، زيادة على ذلك محاولتهم إثارة الفتن الداخلية وتمزيق وحدة المسلمين، والتركيز على المرأة المسلمة، فضلا عن بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها، وغيرها من الوسائل التي وإن اختلفت طرقها فمساهاها واحد، يرمي إلى تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم².

مما سبق يتضح لنا أن المنصرين في الجزائر انتحلوا شخصيات عديدة، وصفات مختلفة، فكان منهم الطبيب والمعلم وفاعل الخير.... كل هذا من أجل الوصول إلى الغرض المطلوب، وفي هذا يقول لافيجيري: "عندما نربح ثقة الشعوب بواسطة الأعمال الخيرية وتعليم الأطفال، فإن كل شيء سيكون على ما يرام عندما يحين اليوم الموعود كالثمرة الناضجة تسقط وحدها بدون أية هزة من الإنسان أو غيره لكي يهب نفسه إلينا"³.

1- محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 98.

2- أحمد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 191.

3- نفسه، 99.

الفصل الثالث:

نشاط المؤسسات الكنسية

والمراكز الدينية

بالصحراء الجزائرية

* المبحث الأول: نشاط الكاردينال لافيغري
* المبحث الثاني: نشاط فرقة إخوان الصحراء
المسلحين

* المبحث الثالث: نشاط الأب شارل دوفوكو

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

تمهيد:

لقد عملت الكنيسة الكاثوليكية¹ كل ما في وسعها لتحقيق هدفها المتمثل في نشر المسيحية في الجزائر عامة والصحراء الجزائرية خاصة، لاسيما وأن أوج نشاطها التصيري تزامن مع الحركة الاستعمارية الفرنسية للمنطقة، ونشير إلى أنه في البداية لم تخاطر فرنسا بعملية التصير علناً في أوساط الجزائريين خلال السنوات الأولى من الاحتلال لتخوفها من ردود الأفعال خاصة مع اشتداد حركة المقاومة الشعبية، واهتمامها بسياسة التوسع.

وفي شهر أوت من سنة 1838م اتفق البابا غريغوار السادس عشر (1831م - 1846م)، والملك لويس فيليب (1830م - 1848م) على تأسيس أسقفية الجزائر، وتعيين أنطوان أودلفدوبوش Audolphedupuch أول أسقف بالجزائر بأمر ملكي بتاريخ 25 أوت 1838م²، وهذا ما يعتبر إيدان رسمي بمباشرة العمل التصيري في الجزائر، حيث شرع هذا الأخير في عمله لمدة ثماني سنوات، وقد ركز في عمله على مبادئ وهي:

1- تكثيف نشاط الإرساليات التصيرية المسيحية عن طريق الجمعيات الدينية التي توافدت على الجزائر تباعاً.

2- التركيز على تنصير الأطفال اليتامى بعد ما فشلت المحاولات لتنصير الكبار.

1- تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الأصل الذي تفرعت منه معظم الكنائس العالمية، حيث انفصلت عنها الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، بسبب الخلاف حول انبثاق روح القدس، ثم خرجت الكنيسة البروتستانتية إثر حركة الإصلاح الديني بزعامة مارتن لوثر، أنظر: محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ط4، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، الرياض، 1404هـ، ص 154.

2- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص50.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

3- ممارسة التبشير في المستشفيات.

4-إنشاء الكنائس Eglises لاستقطاب السكان¹.

إن الجدير بالذكر أن دوبوش سخر نفسه وجهده للقيام بمهمة التنصير في الجزائر إلا أن ذلك لم يدم طويلا، إذ قدم استقالته سنة 1845م²، ليخلفه بعد ذلك الأسقف لويس أنطوان أغسطين بافي بموجب مرسوم ملكي بتاريخ 26 فيفري 1846م، حيث عرف عهده انتشار واسع للمؤسسات الدينية، فأنشأت المدرسة الإكلركية الكبرى بالقبة والمدرسة الإكلركية الصغرى بسانت أوجين (بولوغين)، لتكوين الكهان والقساوسة، على أن أهم عمل قام به هو بناء كاتدرائية السيدة الإفريقية، كما أنه أشرف على نشاط الجمعيات الدينية، فنظم الإكليروس ووضع نظام ديني خاص بتقاعد المبشرين، إلا أنه توفى في نوفمبر 1866م³.

وبوفاته سيخلفه المطران "لافيجري" "Archeveque" بحلول سنة 1867م الملقب ب "أبو التنصير في الجزائر وإفريقيا" نظراً لما قام به من نشاط في هذا المجال، حتى أنه أخذ طابع غزو ديني بل رائداً لسياسة الاستعمار الإستيطاني، فاعتبر بذلك أبرز شخصية دينية في القرن 19م.

من هذا المنطلق حاولنا في هذا الفصل تسليط الضوء على أبرز المنصرين في الصحراء الجزائرية والمتمثلين في الكاردينال لافيغري والأب شارل دوفوكو.

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص108.

2- نفسه، ص109.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص114.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

المبحث الأول: نشاط الكاردينال لافيغري في الصحراء الجزائرية

1- شخصية الكاردينال لافيغري:

يعتبر لافيغري شخصية دينية متميزة وقطب رئيسي لنشاط الإرساليات التنصيرية، التي عملت على بسط نفوذ التواجد المسيحي تزامناً مع النفوذ العسكري والسياسي الفرنسي بالجزائر، بل يعتبر حسب بعض المؤرخين أبرز رجال الدين المسيحيين في القرن 19م، فهو من وضع ركائز استراتيجية دينية مسيحية للتنصير بكامل قارة إفريقيا بالتعاون مع نخبة من الاكليروس والجمعيات الدينية التنصيرية، الأمر الذي جعلنا نحاول التعرف على هذه الشخصية بدراستها والبحث فيها.

2- النشأة والتكوين:

ولد شارل أنطوان مارسيل لافيغري *lavigerie charles antoinnes martial* يوم 31 أكتوبر 1825 بمدينة وير "Huire" قرب بايون "Bayoune" على سفوح جبال "البريني *pyrennes*"¹، وهو الابن الأكبر في عائلته المتكونة من أخ وأختين، كان أبوه ليون لافيغري *lavigerieleon* يشغل منصب مفتش لدى مصلحة الجمارك بالمدينة، وأمّه تسمى لور لاتريل *laure lathrile* وهما من عائلة بورجوازية.

في سن العاشرة من عمره رحل لافيغري مع عائلته من مدينة "وير" وأقام في ضاحية أخرى من المدينة، عرف لافيغري منذ صغره بتوجهه الديني الخالص، حيث كان يحضر بشكل دائم بكتدارئية المدينة، وحتى في أعباه كان

¹- Charles Martial Lavigerie, Archévêque d'Alger et de Carthage, primat d'Afrique, p 504.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

يحب لعب دور الأسقف مع الأطفال في سنه، حيث كان يتوهم إقامة القداس والمراسيم الدينية المسيحية، ويسمع لاعتراقات المذنبين، خاصة مع أطفال الجالية اليهودية المقيمة بمدينته، حتى أنه كان يلجأ لضربهم في حالة رفضهم اللعب معه¹.

هذا الاهتمام الديني جعله يجلب أنظار الكثيرين، حيث أنه لما بلغ الحادي عشر من عمره جُهِز لأداء أول حفل ديني "communion" حسب التقاليد من طرف الأب فرنشتيقي Franchistiguy، مرشد مدينة سان لويس الذي لاحظ فيه سعة الذكاء، هذه المراسيم رسمت لديه معالم حياته الدينية حيث كانت أول شعلة أدت فيه وازعاً دينياً مسيحياً.

لما رأى والده هذا التوجه الديني لدى ابنهما، أدخله معهد الدعاية التبشيرية "سانت لويسدوقوزاني"، "Saint-louisdegauzagne"، ثم المدرسة الإكلركية الصغرى للدراسات الأسقفية ب "لاروسور" "Laressore"، ولما سأله أسقف مدينة بايون حول طموحاته المستقبلية أجاب بقوله: "إنني أريد أن أكون كاهناً بالريف".

لما بلغ الخامسة عشرة من عمره أُدخل المدرسة الإكلركية "سان نيكولا دوشاردوني saint nicolasdechardonet" بباريس تحت إدارة الأسقف دوبنلوب Dupenloup، وهي المدرسة التي أظهر فيها لافيغري قدراته الفكرية حيث كان يتصدر قائمة الأوائل بين أقرانه.

¹- سعيدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر 1867-1892، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص32.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

ونظراً لميولاته وتوجهاته الدينية لم تكن له رغبة في الزواج حيث رفض ذلك بقوله: "من المحتمل أن أصبح قسيساً وسأترك ذلك لمشئته....."¹.

وفي عمره ثمانية عشرة سنة، دخل لافيغري للمدرسة الاكلركية الكبرسان سولبيس بإحدى نواحي باريس ليدرس الفلسفة، كان ذلك في أكتوبر من سنة 1843م، حيث لبس لافيغري في هذا المعهد لباساً دينياً إكليركياً، ووهب نفسه لخدمة الكنسية دون تحفظ².

في سن الثانية والعشرين من عمره، وبالتحديد في أكتوبر 1845م، دخل المعهد الاكلركي لعلم اللاهوت Seminaire de theologie، وفي أكتوبر سنة 1846 التحق بمعهد كارم³.

عين لافيغري في منصب شماس انجيلي (Sous Diacre) شهر ديسمبر 1848م، ثم ارتقى إلى رتبة قسيس "Pretre"، بقرار من الكرسي الرسولي "Saint siege" في يوم 02 جوان 1849م، وهو لم يبلغ سن الرابعة والعشرين من عمره.

وفي نفس الوقت واصل لافيغري دراسته الأكاديمية بمعهد الدراسات العليا بكارم، حيث قدم أطروحتين لنيل الدكتوراه بمعهد الآداب بباريس، الأولى بالفرنسية تحت عنوان: "خواطر حول المدرسة المسيحية بإيداس بالمشرق"، أهداها للسيد "سيبور" مطران مدينة باريس، والثانية باللاتينية حول الكاتب

¹- سعبيدي مزيان، المرجع السابق، ص34.

²-Bauard(Mgr),op.cit, tome2, p17.

³- معهد للدراسات الدينية المسيحية العليا بمدينة كارم (Carmes)

الفصل الثالث—نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

المبشر "هيجيسبيو Hesppepo"¹، أهداها للسيد فيكتور لوكرك مدير معهد الأدب بباريس.

أصبح لافيغري أستاذا للأدب اللاتينية بمعهد كارم في أكتوبر سنة 1850م، وبعد مرور ثلاث سنوات قدم لافيغري أطروحة دكتوراه أخرى في اللاهوت بالتحديد سنة 1854م، منحت له باستحقاق، وفي نفس السنة عين أستاذا محاضرا بجامعة السربون حيث درس التاريخ الكنسي².

نشاطه الديني والسياسي:

بدأت المسيرة التنصيرية الميدانية للافيغري منذ تعيينه مديراً لجمعية مدارس الشرق³ سنة 1861م، حيث كان له دور كبير في مساعدة المارونيين⁴ المسيحيين بالشام، و تذكر المصادر التاريخية الفرنسية أن الدروز اضطهدوا الموارنة وقتلوا منهم أكثر مائتين ألف في كل من سوريا، لبنان، وفلسطين وخربوا ما يقارب من ثلاثمائة وخمسين قرية ومدينة مارونية وإثان وأربعون من أديرة المارونيين، مما جعل المارونيين يفرون إلى الجبال بحثاً عن الأمان⁵، وهنا ظهر دور لافيغري من خلال نداءاته العاجلة والمتكررة لنجدة المارونيين المسيحيين⁶، حيث جمع مجلس منظمة مدارس الشرق وبعث برسالة إلى

1- مبشر القرون الأولى المسيحية بالمشرق، وأول الكتاب المبشرين.

2- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص37.

3- هي جمعية أسسها عدد من المسيحيين الكاثوليك سنة 1855م، هدفها نشر المسيحية بالمشرق عن طريق المدارس التنصيرية المسيحية. أنظر: سعدي مزيان، المرجع السابق، ص38.

4- حدثت فتنة طائفية في الشام بين طائفة الموارنة المسيحية وطائفة الدروز المسلمة سنة 1860.

أنظر: سركيس أبوزيد، تهجير الموارنة إلى الجزائر، ط1، دار أبعاد للطباعة والنشر، بيروت،

1994، ص 12.

5- سركيس أبوزيد، نفسه، ص 34.

6- Georges Goyau, op. cit, p51.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

الكليروس بباريس يحثهم على جمع المعونات والتبرعات لمساعدة إخوانهم، وأهم ما جاء فيها: "يجب أن نعجل في الأمر لأن كل تأخر من شأنه أن يجر الخيبة والندم وبعدها ستعم الإبادة"¹.

وبعمله هذا كسب عاطفة الأساقفة والآباء وكتب إلى رجال الدين بانجلترا، ألمانيا، اسبانيا، وايطاليا وغيرها، وجمع ما يقارب ثلاثة ملايين فرنك فرنسي². على هذا الأساس بعثت الحكومة الفرنسية بحملة عسكرية لإنقاذ المارونيين المسيحيين، وبعثت مدارس الشرق بمديريها لافيغري إلى عين المكان لإنقاذ الموارنة كونه هو الأنسب لحل القضية حسب المنظمة.

أقلع لافيغري في سبتمبر 1860م، على متن باخرة من مرسيليا، وصلت إلى بيروت في 13 أكتوبر سنة 1860، حيث مكث في المنطقة مدة ثلاثة أشهر، قام فيها بتشكيل لجان لتوزيع الهبات والمعونات على المسيحيين الموارنة، كما عرضت الهجرة على الموارنة نحو الجزائر حيث كان قنصل فرنسا بالاسكندرية من الأوائل الذين دعوا لذلك.

وفي هذا الإطار نشر السيد فايسات "Faycette" كتيب بعنوان: "لننقذ الموارنة بالجزائر ومن الجزائر"³، يشجع فيه على هجرة الموارنة نحو الجزائر وكيفية تنظيمها على شكل جمعيات عمالية فلاحية، إلا أن ذلك فشل لكونه لا يخدم مصلحة فرنسا .

1- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص38.

2- نفسه، ص39.

3- يتكون الكتاب من 65 صفحة طبع بباريس سنة 1870.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

وتجدر الإشارة إلى أن مكوث لافيغري بالشام جعله يلتقى صدفه بالأمير عبد القادر الجزائر الذي نفي إلى دمشق بعد فشل مقاومته - لاسيما وأن الأمير عبد القادر قام بعمل نبيل كسب عاطفة المسيحيين، حيث جمع الأسر المسيحية في قصره (أكثر من 1000 مسيحي تقريباً) وقال عنه لافيغري: "لقد وجدت فيه كل معاني السماحة والشهامة والرزانة في القول"¹.

بعد ثلاثة من أشهر العمل قضاها في مساعدة إخوانه المارونيين المسيحيين بالشام، عاد لافيغري إلى باريس يوم 21 ديسمبر 1860م حيث استقبله البابا، واعترفت الحكومة الفرنسية بدوره في خدمة السياسة الفرنسية في العالم الإسلامي فكرمته بوسام الشرف الفرنسي في 8 ديسمبر 1861م².

تدرجه وارتقاؤه في المناصب الدينية العليا:

انطلاقاً مما سبق وبناء على أعمال لافيغري وخدماته للمسيحية عين Auditeur de rote ، كان هذا سنة 1861م وفي الفترة الممتدة من 1863م إلى 1866م أصبح مطرانا Archeveque على مدينة نانسي، وبحلول عام 1867م عين مطرانا على أسقفية الجزائر، وفي سنة 1868م أصبح لافيغري مندوباً رسولياً بابوياً لمنطقة الصحراء وإفريقيا الغربية، ثم للمنطقة الاستوائية بداية من سنة 1878م، ثم مديراً رسولياً لأساقفة تونس سنة 1881م، وابتداء من سنة 1884م عين على كنيسة قرطاج وتونس، وبعدها أصبح مقدماً لأساقفة إفريقيا³.

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص43.

²- الجنحاني الحبيب، "حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن 19م"، الأصالة، ع/16، السنة الثالثة شعبان- رمضان 1393هـ، سبتمبر-أكتوبر 1973م، ص29.

³- سعدي مزيان، ص46.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

وفي ضوء هذا ترقى لافيغري من سنة 1882م إلى منصب كاردينال بموجب مرسوم بابوي، حيث أقيم على شرفه حفلاً بحضور رئيس الجمهورية الفرنسية الذي خاطبه بقوله بعد أن منحه قلنسوة حمراء كاردينالية: "أهنئ نفسي سيدي الكاردينال بمنحك هذه القلنسوة ومعها المعطف الكاردينالي تتويجاً للفضائل التي تزينكم ولخدماتكم الجليلة التي أسديتموها لبلدنا"¹.

على هذا الأساس استقبل لافيغري بروما في شهر جويلية 1882م أين منحه البابا قبة الكاردينالية، مما زاد في علو همته فازداد حماساً لمضاعفة نشاطه التبشيري بكامل قارة إفريقيا، حيث كتب إلى وزير الشؤون الدينية فالبيير Faallires رسالة جاء فيها: "ابتداء من حدود الجزائر ونهاية بحدود المستعمرات الانجليزية والهولندية برأس الرجاء الصالح، فإن كل الأقاليم الداخلية لإفريقيا هي الآن من وجهة نظر دينية تحت سلطة روحية فرنسية"².

بداية نشاطه التنصيري بالجزائر:

بوفاة الأسقف بافي سنة 1866م، اقترح الحاكم العام مكماهون على لافيغري أن يخلفه على أسقفية الجزائر، ولم يتردد لافيغري للحظة حيث كتب في رسالة إلى مكماهون يؤكد له قبوله للمنصب: "إنكم تعرضون علي مهمة صعبة، شاقة وجادة منصب ديني أدنى من الذي أنا فيه والذي من شأنه أن يجرنني إلى الهجرة وترك ما هو غال علي، إنكم تعتقدون أنه بإمكانني فعل خير أكثر من أي إنسان آخر³، إن أي أسقف كاثوليكي لا يمكنه إلا أن يبوح بقولي:

¹ - L'able Félix Klein, Le Cardinal Lavigerie et ses œuvres d'Afrique, Alfred mame et fils éditeur, 1896,p289.

² - سعيد مزيان، المرجع السابق، ص48.

³ - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص106.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

إنني أقبل بهذه النصيحة الأليمة، حتى وأن كان الإمبراطور نابليون الثالث قد أقر بإخلاصي الكبير وتقاني في خدمة ديني فأني لن أتردد إطلاقاً ومهما كلف الأمر، ومن هنا أكلفكم بإبلاغ قبولي لهذا الأمر العظيم لحضرة الإمبراطور"¹.

بعد هذا التعيين بعث له البابابايوس التاسع رسالة تشجيعية كما كتب له الأسقف ماري (MARET) رسالة مماثلة جاء فيها: "إن غياب كل محاولة لتمسيح الجزائر منذ أمد طويل.....يعتبر عار على فرنسا، ومن ثم فأني لا أتصور رجلاً غيركم من مجموع رجال الدين بفرنسا بإمكانه أن يقطع السبيل أمام هذه الوضعية"².

منذ ذلك الحين أبحر لافيجري نحو الجزائر ليصل إليها يوم 16ماي 1867م، فكان دخوله الجزائر حدثاً تاريخياً بارزاً لفرنسا والكنيسة الكاثوليكية.

وقد استقبل لافيجري عدد كبير من المستوطنين وعدد من الجزائريين ومن رجال الدين الإكليروس، وممثلي الجمعيات الدينية المسيحية بالجزائر، الأمر الذي كان له دور كبير في رفع معنوياته وتحديد أولويات نشاطه التنصيري بالجزائر"³.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة هدف أساسي جعل لافيجري يقبل بكرسي أبرشيته الجزائر ويتخلى عن رئاسة أسقفية هامة في مدينة نانسي إضافة إلى تقلده مناصب هامة، كمستشار الحكومة الفرنسية في مسألة تعيين الأساقفة، إذ

¹- سعبيدي مزيان، المرجع السابق، ص49.

² - Georges Gouyau, op.cit, p68.

³- سعبيدي مزيان، المرجع السابق، ص52.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

يمكن القول أن لافيغري كان يعتبر نفسه رسولا للمسيحية على أرض إفريقية ومفوضاً من السيد المسيح لنشر المسيحية، وهذا ما تؤكد رسالته التي كتبها إلى رجال الدين المسيحيين بالجزائر قائلاً: "لقد جئكم في ساعة حاسمة في إفريقيا المسيحية، وفي الوقت الذي أحييت فيه سلطات الكنيسة في هذه الأرض المسقية بدماء شهداء المسيحية، فإن الكنيسة وفرنسا اتحدتا من أجل إعادة أمجاد الماضي، وكلاهما أرسلني إليكم كرسول للحقيقة، للبيان، للسلام، والسلام"¹.

وفي رسالة أخرى وجهها لزملائه في أسقفية نانسي يقول فيها: "إن مهمتنا هو إدماج هؤلاء الجزائريين في أوطاننا بجلبهم إلى حضارتنا التي كانت سلفاً حضارة آبائهم، وأقصد بذلك حضارة الشعوب البربرية، وأضاف قائلاً: "إن الجزائر باب مفتوح بفضل العناية الإلهية على قارة يقطنها مائتي 200 مليون نسمة، إنه الأفق الذي يجلبني"².

ظروف مجئ لافيغري إلى الجزائر:

وصل لافيغري إلى الجزائر في فترة كانت أقسى ما يكون على الجزائريين، وهي الفترة الممتدة من 1866م إلى 1868م، حيث عرفت فيها الجزائر نكبات وأوضاع مزرية منها: الزلازل، هجوم الجراد، الجفاف، الأوبئة، مجاعة سنة 1867م، وفي ظل هذه الظروف وأمام عجز حكومة الاحتلال عن إيقاف المجاعة ظهر دور الكاردينال لافيغري الذي استغل هذه المأساة ليفتح باب التنصير على مصراعيه، فجمع ما يقرب من ألف وثمانمائة طفل بين

1- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص52.

2- نفسه، ص53.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

مشرد ومريض تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعاشرة وزعمهم على مختلف المراكز والملاجئ التي أنشأها في بوزريعة، بولوغين، بن عكنون، الأبيار، القبة، وذلك بعد حصوله على مساعدات من بعض رجال الدين بفرنسا وبعض العسكريين في الجزائر، إضافة إلى المساعدات التي تلقاها من المعمرين¹.

ونتيجة لهذه الأوضاع هلك الكثير من الأطفال رغم الجهود المبذولة لإنقاذهم، مما جعل لافيغري يعمد الكثير منهم ساعة الاحتضار، وهذا أما آثار مخاوف وقلق أسر الأطفال فطالبت باسترجاع أبنائها، حيث فرّ من تمكن منهم، عندما أدركوا الحقيقة ولم يبقى منهم سوى 378 طفلاً و 342 بنتاً، أراد لافيغري الاحتفاظ بهم ليجعل منهم رجالاً مسيحيين ويكونوا نواة التنصير في الجزائر، مما أثار مخاوف الحاكم العام مكماهون واستياء الأهالي الذين طالبوا باسترداد أبنائهم، وقد رفض لافيغري إعادتهم معلناً أن القضاء عليهم أفضل ألف مرة من بقائهم عند آبائهم، وكان لا يمل من إنشاء المزيد من الملاجئ والمدارس والمستوصفات بكامل التراب الجزائري².

من خلال ما سبق يتجلى لنا أن لافيغري كان يسعى لنشر تعاليم المسيحية وجعل الجزائر مهد أمة مسيحية كبيرة، وفرنسا أخرى جديدة، إضافة إلى مد النفوذ المسيحي إلى ما وراء الصحراء وكذا ربط إفريقيا الشمالية بإفريقيا الوسطى ودمجها وسط حياة المسيحيين.

1- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص101-109.

2- عبد الجليل التميمي، " دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830-1881"، الأصالة، ع/29-30، محرم-صفر 1396هـ، جانفي- فيفري 1976م، ص59.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

وقد ارتكز منهجه في نشر المسيحية على محورين أساسيين هما:

- 1/تنظيم أسقفية الجزائر لتأطير العمل التصيري وجعله في المسار الصحيح.
- 2/إدماج المجتمع الجزائري عن طريق التعليم، وتوفير الرعاية الصحية وأعمال البر والإحسان.

على هذا الأساس، أعطى لافيغري اهتماماً بالغاً لمسألة بناء المؤسسات الدينية المسيحية بالجزائر¹، فمنذ وصوله للجزائر إلى غاية سنة 1878م أنشأ 49 كنيسة و25 خورينة (aroisses) أهمها: كنيسة سان جوزيف بباب الواد، كنيسة سان شارل بأغا، وقد ضاعف من مجهوداته حتى وصل عددها سنة 1888م إلى 68 كنيسة، وعند موته سنة 1892م وصل عدد الكنائس إلى 121 كنيسة، كل هذا بهدف محو الصبغة الإسلامية للجزائر وطمس معالمها الحضارية إضافة إلى المساهمة في النشاط التصيري بشكل فعال وتعميمه على مستوى المدن والقرى والمداشر².

على أن أهم مركز ديني اهتم به لافيغري هو كاتدرائية السيدة الافريقية التي وضع أساسها الأسقف بافي (1846-1866م) منذ سنة 1857م وأكمل لافيغري بناءها، ليختار تاريخ 02 جويلية 1872م يوماً عظيماً لتدشينها، حيث أقام حفلاً حضره جمهور غفير ملأ ساحة الكاتدرائية إضافة إلى الإكليروس،

1- يذكر أن لافيغري عندما حل بالجزائر سنة 1867م وجد بها أسقفية رئيسية عمرها ثلاثون سنة، و83 كنيسة، 140 أب وكاهن، 04 جمعيات دينية للنساء، المدرسة الإكلركية الصغرى بسانت أوجين (بولوغين) والمدرسة الإكلركية الكبرى بالقبة، إضافة إلى كاتدرائية السيدة الأفريقية التي كانت في طور الإنجاز. أنظر: سعدي مزيان، المرجع السابق، ص63.

2- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص63.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

الجمعيات الدينية المسيحية، الضباط العسكريين، وفي نفس اليوم ارتدى الآباء والأخوات البيض لباسهم الديني الرسمي¹.

أما من حيث المعاهد والمدارس الدينية فقد نظم لافيغري طريقة الدراسة في معاهد تكوين المنصرين كما يلي:

- 1) المدرسة الاكلركية الصغرى في سانت أوجين (بولوغين) بمثابة ثانوية.
- 2) المدرسة الاكلركية الكبرى بالقبة بمثابة كلية اللاهوت، أنشأ لافيغري مدرسة مثيلة لها في وهران وقسنطينة.
- 3) ثلاثة معاهد للمنصرين المبتدئين: الأول للذكور بالحراش، الثاني للإناث بالقبة والثالث للإناث بقرطاج في تونس، يتخرج من هذه المعاهد الإخوان المنصرين والأخوات المنصرات.
- 4) معهدان لإعداد الآباء المنصرين واحد بتيباز والآخر بقرطاج في تونس.
- 5) مدرستين دينيتين أنشأهما لافيغري لأبناء المستوطنين الأولى بمدينة الجزائر مدرسة سان لويس (Saint louis)، ومدرسة أخرى بالبليدة (College st charles).²

كتاباته:

ترك لافيغري مؤلفات عديدة ذات قيمة تاريخية هامة نذكر منها على وجه الخصوص³:

1-Œuvres choisies de son eminece le cardinal lavigerie.2-Vingt cinqAnnés d'epriscopat en France eten Afrique.

¹- سعبيدي مزيان، المرجع السابق، ص66- 68.

²- نفسه، ص70.

³- نفسه، ص98.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

3-l'archeveque d'Alger et l'adminstration Algérienne.

4-Discour sur l'armée et la mission de la France en Afrique.

وفاته:

أحس لافيغري في سنواته الأخيرة بتمكن المرض في جسده خاصة بعد تجسيده لكتدرائية سان لويس بقرطاج في الفاتح من أفريل سنة 1890م، حيث بارك قبره الذي حدده بنفس الكتدرائية قرب المحراب الأسقي، فجمع الكهنة وقال: "إني أخشى أن أخبركم بما سأقول يا أبنائي الأعزاء إني أفكر في الموت دائماً خاصة وأن صحتي تتدهور بالتدريج، إن الموت يناديني، فمع مرور الوقت كل هذه السنين أحس بدنو هذا الموعد الأزلي الذي يلازمي الآن في تفكيري وخليدي"¹.

بعد عودته للجزائر أنهك المرض جسده خاصة وأن زيارته المتكررة لبسكرة قصد تخفيف آلام الروماتيزم لم تجدي نفعاً، وازداد الأمر سوءاً عندما صدر قرار حل فرقته التنصيرية العسكرية في أوائل نوفمبر 1892م الذي كان بمثابة فاجعة ألمت به وأثرت على صحته جسدياً ونفسياً، فأصبح مشلولاً منذ الرابع والعشرين من شهر نوفمبر 1892م، مما جعله يلزم الفراش إلى أن توفي في السادس والعشرين من شهر نوفمبر سنة 1892م عن عمر يناهز سبعة وستين سنة².

نقل جثمانه إلى كنيسة السيدة الإفريقية أين أقيمت عليه النظرة الأخيرة ونظمت له مراسيم جنائزية مهيبة من طرف السلطات الفرنسية ثم نقل إلى مثواه

¹- سعبيدي مزيان، المرجع السابق، ص100.

²- Baunard(MGR), op.cit, p670.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

الأخير بقرطاج في كندرائية سان لويس، وعرفاناً بمجهوداته وضع له نصب تذكاري في مدينة بايون أين ولد، وبالجزائر في ساحة كنيسة السيدة الإفريقية أين توفي، وبقرطاج في تونس أين يتواجد جثمانه¹.

2-النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الصحراء الجزائرية:

ارتكز النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الصحراء الجزائرية على ضرورة إيجاد مراكز تنصيرية متقدمة تمكنه من الاطلاع على طبيعة المنطقة وسكانها، فكانت البداية بإرسال ثلاثة من الأخوات البيض نحو الأغواط في ديسمبر 1870م إلا أنهن مرضن لعدم تأقلمهن مع قساوة الطبيعة فأمرهن لافيغري بالعودة، بعدها أرسل لافيغري اثنين من الأباء اليسوعيين لنفس المكان هما الأبوان روشي Rocher و أوليفي Olivier اللذان أثبتا تمكنهما من اللغة العربية، وكان هدفهما الأساسي من هذا هو ضمان الممارسة الدينية المسيحية لدى المستوطنين الفرنسيين ومختلف العائلات الأوروبية إضافة إلى محاولة الاحتكاك بالقبائل العربية الجزائرية بالمنطقة مع التحضير لإنشاء مراكز تنصيرية في الواحات والصحراء الكبرى².

بناء على هذا قام لافيغري بزيارة للباباببوس التاسع الذي أصدر تعليمة تنص على تعيين الأب شارموتا (Charmetain) رئيساً لمركز الأغواط الذي اعتبر مقر لبداية إرسالية تنصيرية واسعة اتجاه الصحراء، وإفريقيا السوداء، حيث صرح لافيغري قائلاً: "إن هذه المنطقة هي هدف إرسالياتنا المستقبلية، إننا نريد انطلاقاً من الجزائر أن نعمل عملاً مثيلاً لما قام به الدكتور

1 - سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 103.

2- حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص141.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

ليفنستون(1813-1873م)¹ Livengstone، فمهمته استكشافية جغرافية ومهمتنا نحن تركز على غزو الأنفس وإدخالها المسيحية².

على هذا الأساس اتجه الأب شارموتان من الأغواط سنة 1872م نحو ميزاب في رحلة دامت شهراً كاملاً، تعرف من خلالها على نظام حياة السكان بالمنطقة وتعاملاتهم التجارية مع سكان توات والسودان الغربي، كما تعرف على عاداتهم وتقاليدهم من كرم الضيافة وصيدهم للغزال والنعامة، وكذا محافظتهم على أداء الصلوات والتسبيح بالسبحات المنتظمة لتسعة وتسعين قطعاً توافقاً مع أسماء الله الحسنى، وبهذا استطاع شارموتان إقامة علاقات وطيدة مع الشعانبة³ الذين تعاملوا معه وفقاً لمبادئ الدين الإسلامي، كما تمكن من كسب ثقتهم لدرجة أن زعيمهم ضمن له السلامة والصدقة وعرض عليه خيمته وجماله، وعرفه بزعماء التوارق الذين بسطوا نفوذهم على المنطقة الممتدة من غدامس إلى فزان⁴.

أعجب لافيغري بعمل الأب شارموتان فقرر إرساله مرة أخرى بصفة كاهن إلى الأغواط رفقة اثنين من الآباء البيض وهما الأب بوشان Bouchaned وبولميي Paulmier، كان هدفهم في هذه الرحلة هو الوصول إلى بسكرة، ومن جهة أخرى أرسل لافيغري الأب ريتشارد Richard نحو تقرت و ورقلة، والأب باسكال Pascal نحو البيض، وقد استعملوا في إرساليتهم هذه

¹- مبشر ومستكشف اسكتلندي طمع في فتح إفريقيا أمام التجارة المسيحية والتنصير.

²-Baunard(MGR), op. cit, p391.

³- الشعانبة من القبائل الصحراوية خاصة الصحراء الشرقية، أنظر: M.L'abbéBargés, Sahara et le soudan,justrouvier libraire- editeur, 1853, Paris, p 16.

⁴- تقع على الحدود الجزائرية الليبية. أنظر: حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص 142.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

كل الوسائل لكسب ثقة السكان فكان أول عمل قاموا به هو فتح مستوصفات لمعالجة المرضى مجاناً، حيث بلغ عدد المعالجين 4000 مريض سنوياً¹.

وفي 31 ديسمبر 1875 بعث لافيغري ثلاثة مبشرين وهم الأب ألفريد بولمي Alfred paulmier من أسقفية باريس، والأب بياربوشان Bouchand Pierre من أسقفية نانت، اصطحب معهم هؤلاء خمسة من التوارق كمرشدين لهم، انطلقوا من متليلي نحو بلاد التوارق بهدف الوصول إلى تمبكتو، حيث قال لافيغري: "في هذه الساعة يوجد ثلاث من المنصرين من رجالنا في بلاد التوارق، وعما قريب سوف يدخلون إلى تمبكتو في عزم وتصميم ليستقروا في عاصمة السودان أو يلقوا فيها حتفهم حياً في التضحية الدينية"².

من هذا نستشف أن لافيغري كان يرمي إلى الاستقرار في تمبكتو قصد نشر المسيحية في كامل السودان الغربي، ثم تكوين أفارقة في هذا المجال ليقوموا بعملية التنصير تحت رعاية هؤلاء الآباء، على اعتبار أن سكان المنطقة أكثر تأقلاً بها وأدري بخباياها.

إلا أن القدر كان أسبق من تحقيق ذلك، حيث لقي الآباء الثلاثة حتفهم على يد التوارق الذين رافقوهم، فنظم لهم لافيغري قداساً بكتدرائية الجزائر بحضور جمع من الأساقفة حيث نعتهم بشهداء المسيحية وكتب إلى ذويهم رسالة مطوية يعزيهم فيها.

ورغم ما حدث إلا أن الآباء لم يأخذوا العبرة، حيث ثارت ثائرتهم وظهرت عليهم أعراض الحمى الدينية، فطالبوا بإرسال كل واحد منهم في مهمة عبر

¹- سعبيدي مزيان، المرجع السابق، ص142.

²- Baunard, op. cit, p502.

الفصل الثالث—نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

الصحراء، فلم ينقطع نشاطهم بعد ذلك في الصحراء الجزائرية، والذي تمثل في تقديم أعمال الخير لتليين القلوب وكسبها، إذ عملوا على استمالة الأطفال للقدوم إلى مدارسهم بتقديم الهدايا، ومن جهة أخرى نظموا دروساً للكبار بهدف تغيير الصورة السلبية التي طبعت أذهانهم عن الآباء¹.

لم ييأس لافيغري أمام فشل الحملة التنصيرية الأولى فأمر الأب ريتشارد Richard- رئيس البعثة الدينية بورقلة- بالانتقال إلى غدامس² ليستقر هناك خاصة وأنه عرف بإتقانه اللغة العربية وبمهارته في ركوب الخيل.

استغل الأب ريتشارد مظاهر الفقر التي تسود المنطقة ليثبت مهارته في توزيع الموارد الغذائية، وهذا بهدف ضمان مسالمة الشعانبة وكسب صداقة بعض رجال التوارق، بعد مدة قام ريتشارد برحلة استكشافية دينية عبر الصحراء انطلق من غدامس رفقة رجلين من التوارق و واحد من قبيلة الشعانبة، اتجه نحو تاسيلي ناجر ثم إلى تامسفين وتمكن من التجول في بلاد التوارق دون أن يقع له مكروه، وقد اعتبر ذلك فتحاً مبيناً، ما بقي أمامه إلى أن يضع أسس قواعد التنصير بالمنطقة ويرسل البعثات التنصيرية لهذا تمثلت الخطوة الموالية في إرسال بعثات تنصيرية إلى غات³ مما يعني زيادة التوغل في قلب الصحراء، إلا أن حادثة مقتل الكولونيل فلاترس⁴، ستضع حداً مؤقتاً لنشاط حركة التنصير بالمنطقة حيث رأى لافيغري أن يوقف البعثات التنصيرية للمنطقة

1- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص346.

2- لم يكن بإمكان المنصرين الدخول إلى السودان عبر صحراء الجزائر، فحاول لافيغري بعث الآباء عن طريق الصحراء الشرقية أين تتواجد المراكز الفرنسية المتقدمة في الجزائر.

3- تقع غات على الحدود الليبية الجزائرية، أنظر: اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص111.

4- الغالي غربي، المرجع السابق، ص ص97-117.

الفصل الثالث—نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

حتى تهدأ الأوضاع لكن حماس الآباء البيض جعله يسمح لهم بالرجوع مرة أخرى، فبعث الأب ريتشارد مع الأب مورا Mora والأب بوبلار Pouplard بداية من الفاتح ديسمبر 1881م باتجاه مدينة غات، وبعد ثلاثة أيام من السفر وقع الثلاثة في كمين نصبه لهم التوارق في مكان غير بعيد من غدامس، هذا ما جعل الآباء يغادرون مراكز غدامس وطرابلس التي غلقت ولم تفتح إلا بعد مرور 14 أربعة عشر سنة، أي إلى غاية سنة 1894م¹.

وهكذا واصل المنصرون نشاطهم التصيري تزامناً مع إستمرار الزحف العسكري الفرنسي، مثبتين ذلك ببناء مراكز دينية في كل منطقة يحلون فيها فوصلوا إلى غرداية ثم إلى تمبكتو، فتم تعيين الأب تولوت Tulotte على مركز الآباء البيض بغرداية وأصبح مرشد الإرساليات بالصحراء والسودان بداية من 1884م، منذ ذلك الحين استعمل الآباء البيض رفقة الأخوات البيض كل الوسائل والطرق لبث نشاطهم التصيري في المنطقة².

ففي غرداية فتح الآباء مدرسة تكوينية لتعليم الشباب صناعة الجلود وفي ورقلة فتحت الأخوات البيض مركز تكويني لتعليم الفتيات الطرز ونسيج الصوف، كما فتح الآباء ورشة لصناعة الاسمنت والخزف، وفي الجلفة تم فتح مصنع للحلفاء وورشة لصناعة السلال والقفف³.

كما تم تأسيس ملجأ للأيتام بالقلعة خاصة بالفلاحة الصحراوية، وحفرت بئر ارتوازية تكونت من خلالها بركة مائية جعلت الأب مارشال Marcheal

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص348.

²- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص113.

³- L'Abbe Félix Klein, op. cit, p 141.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

يجلب الأسماك لتربيتها سنة 1822م، ويعتبر الآباء البيض أول من أدخل ناعورة بمحرك إلى الصحراء الجزائرية خاصة إلى غرداية، إضافة إلى ذلك اهتم الآباء والأخوات البيض بالمدارس الصناعية المخصصة لصناعة الزرابي والمنتشرة بكل من غرداية وورقلة، الجلفة وعين الصفراء¹.

وتجدر الإشارة إلى أن لافيغري اتخذ من بسكرة مركزاً رئيسياً تنطلق منه الدعاية التنصيرية للصحراء الجزائرية والسودان الغربي، كما كانت مركز إقامته الشتوية منذ أن زارها سنة 1886م، وما كان يميز بيته فيها هو تواجد الصليب على بابه وفيها وضع دعائم جمعية دينية لها طابع ديني عسكري والمعروفة بفرقة إخوان الصحراء المسلحين².

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 130.

2- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص367.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

المبحث الثاني: نشاط فرقة إخوان الصحراء المسلحين في الصحراء الجزائرية

أشرنا في المباحث السابقة إلى أن فرقة إخوان الصحراء المسلحين هي الفرع العسكري لجمعية مبشري السيدة الإفريقية أو الآباء البيض، تأسست في الصحراء الجزائرية وبالتحديد في مدينة بسكرة سنة 1891م بمكان يسمى "مسالة"، على بعد 1500 م من بسكرة، وهي سابقة في تاريخ النشاط التنصيري بالصحراء الجزائرية خاصة والجزائر عامة، حيث أراد لافيغري من خلالها جعل بسكرة زاوية مسيحية على رأسها الأب تولوت (Tulotte)، والآباء البيض مقدمين لها والإخوان المسلحين أتباعاً للزاوية¹، كما تم إنشاء مستشفى بالمركز سماه "بيت الله"، بهدف تقديم المساعدة الطبية لسكان الصحراء وعابري السبيل بالتوازي مع نشر تعاليم المسيحية في الصحراء والسودان².

إن تأسيس هذه الفرقة يكشف عن الوجه الحقيقي للتنصير الذي يعتبر فرعاً من الاستعمار، فهما متكاملان وعلاقتهما وثيقة³، لهذا جاءت فكرة لافيغري في تأسيس هذه الفرقة مدعياً أن هدفه من ذلك هو محاربة أعمال الرق التي يمارسها المسلمون في حق السود، فقد وضح لافيغري أن تجارة العبيد كانت تمس 400 ألف عبد سنوياً، وفي واد ميزاب وحدها كان يُشترى بها ما يقارب الألف سنوياً، لذلك كان لافيغري من أكبر المؤيدين لقرارات مؤتمر بروكسل⁴ الذي دعا إليه الملك البلجيكي ليوبولد الثاني سنة 1876م، ونتج

1- مصطفى خالدي وعمر فروخ، المرجع السابق، ص 126.

2- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 353.

3- بلقاسم الحناشي، المرجع السابق، ص 115.

4- دعى الملك ليوبولد الثاني ملك بلجيكا إلى عقد مؤتمر استعماري جغرافي في قصره ببروكسل في 12 سبتمبر 1876، لاكتشاف مجاهل إفريقيا بدعوى أن هذه الاكتشافات تساهم في مكافحة الرق والقضاء على تجارته التي يمارسها العرب، ووافق المؤتمر على أن يتحول الأمر إلى جمعية دولية

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

عنه تأسيس "الجمعية العالمية لاستكشاف إفريقيا"، وهنا تساءل لافيغري ما الذي يمكن للكنيسة أن تفعله حتى تنشر الإنجيل والمسيحية بكامل القارة الإفريقية¹.

أبدت هذه الجمعية استعدادها الكلي لمساعدة المنصرين المسيحيين مادياً وأمنياً دون تمييز بين المذاهب المسيحية، وفي هذا الصدد قال لافيغري: "إن هدفنا ليس في جعل الأفارقة أوروبيين ذوي بشرة سوداء ولكن تركهم يسايرون نمط معيشتهم وتسريب الروح المسيحية إلى أجسادهم، فلنستعمل الأهالي الأفارقة الذين سيربهم المنصرون لنجعل منهم أطباء مسيحيين يتولون بدورهم أمر نشر تعاليم المسيحية وسط إخوانهم، إن شراء العبيد السود وتمسيحهم وإعلان إلغاء الرق تعتبرها الكنيسة من مراميها الأساسية"².

بناءً على هذا، اغتتم لافيغري مشكلة القحط الذي حل بسكان بسكرة سنة 1889م، ليوزع مبلغ 6000 فرنك على 3000 من مجموع سكان بسكرة المقدرين آنذاك بـ 10 آلاف وكلف الأب ديلاتر رفقة ملازم من المكتب العربي واحد أعيان منطقة الزيبان بتوزيعها.

وأول عبد استقبله في حملته التبشيرية بالصحراء غلام اشتراه الأب شارمتان في الأغواط من الشعانبة بمبلغ 300 فرنك، أدخله للمدرسة الكليريكية

هدفها قمع تجارة العبيد والنفوذ إلى إفريقيا الوسطى، وقد انتخب الملك ليوبولد رئيساً لهذه الجمعية.

أنظر: Le Cardinal Lavigerie, Document sur la fondation de l'œuvre antiexlavagiste, saint- Cloud, 1889, pp 15- 174.

¹- Le Cardinal Lavigerie, Documents sur la fondation l'œuvre antiexlavagiste, p7.

²- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص354.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

الصغرى بسانت أوجين، وبمساعدة جمعية إسعاف الطفولة البارسية التي منحت له 15000 فرنك، استطاع شراء 20 عبد آخرين.

في شهر ماي من سنة 1888م، سافر لافيغري إلى روما للقاء البابا رفقة بعض العبيد السود الذين كونهم، حيث بارك البابا عمله هذا، وأمره بالبدء في حملته الصليبية الجديدة مساعداً إياه بمبلغ 300000 فرنك.

وحتى يكسب الأوربيين ويغير الرأي العام الأوربي لصالحه قام بجولة في أوروبا من أجل جمع المال والدعاية لعمله هذا، حيث عقد مؤتمر في 01 جويلية 1888م بكنيسة سان سولبيس بباريس، رسم فيه لوحة مأسوية لمعاناة السود من جراء متاجرة العرب المسلمين بهم، وطالب بضرورة التحرك بواسطة عمل مسلح لوقف هذه العملية اللاإنسانية، لذلك رأى لافيغري ضرورة تأسيس جمعية عسكرية دينية لها مهامها المحددة¹.

والواقع أن دعوة لافيغري لمحاربة الرق عند المسلمين لها عدة أسباب نذكر منها:

- 1- منافسة البروتستانت له في إفريقيا.
- 2- رغبته في إنشاء مملكة مسيحية بإفريقيا السوداء وإبعاد الخطر السنوسي الذي رأى فيه عقبة أمام تسرب الإنجيل إلى الصحراء والسودان ثم إفريقيا.
- 3- منافسة الانجليز الذين سبقوه في مقاومة الرق فأسسوا جمعية مقاومة تجارة العبيد سنة 1799م².

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 355-356.

²- Le Cardinal Lavigerie , Documents sur la fondation l'œuvre anti-exlavagist, p46.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدول الأوروبية مارست تجارة الرقيق لمدة أربعة قرون كاملة من القرن 15م إلى القرن 19م، امتصت خلالها من دماء الأفارقة الكثير، لذلك فإن مسألة محاربة الرق التي جاء بها لافيجري جاءت بعد أن عرفت الدول الاستعمارية تقدماً وتطوراً في مجال التصنيع فحلت الآلة محل الإنسان، ولم تعد الدول الأوروبية في حاجة للسود، ومن جهة أخرى لا بد لهذه الدول من ترويج منتجاتها في البلدان الإفريقية، وهنا التقت المثالية والعواطف الإنسانية بالمصالح الاقتصادية والسياسية القومية الفرنسية¹.

على هذا الأساس كان لافيجري من المؤيدين لفكرة إنشاء سكة حديدية عابرة للصحراء انطلاقاً من بسكرة بل رآها ضرورة ملحة لضمان الأمن وربط المستعمرات الإفريقية ببعضها، خاصة بعد الاغتيالات التي كان يتعرض لها الآباء أثناء القيام بأعمالهم التنصيرية في الصحراء، كما رآها وسيلة مساعدة لمقاومة تجارة العبيد دون عراقيل، وفرقة إخوان الصحراء المسلحين ستكون بمثابة المستقبل للعبيد والمكرم للمسافر وعابر السبيل والكافل لمسألة التعايش السلمي مع سكان المناطق الصحراوية².

من هذا نستخلص أن لافيجري كان يرى ضرورة استعمال كل قوى فرنسا الضرورية لتحقيق مشاريعها في الصحراء وهي:

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص358.

2- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص147.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

- (1)-استعمال قوة السلاح عن طريق الجيش الفرنسي.
- (2) -استعمال قوة الصناعة والتجارة عن طريق مد السكة الحديدية العابرة للصحراء.
- (3) -استعمال قوة التنصير وروح التضحية الدينية عن طريق فرقة إخوان الصحراء المسلحين¹.

عموماً فإن مسألة محاربة الرق ما هي إلا مراوغة أو وسيلة يغطي بها لافيجري عن هدفه الأساسي من تأسيس فرقة إخوان الصحراء المسلحين، وهو حماية المنصرين في الصحراء خاصة من التوارق، إضافة إلى فتح الطريق لقوات الاحتلال لتسهيل مهمتها في الصحراء الجزائرية.

إنطلاقاً من هذا أقيم مركز الإخوان المسلحين بالصحراء بما فيه المستشفى على بعد 1500م من بسكرة بمسالة "Mssalla"، بني بمساعدة الجيش الفرنسي بالمنطقة، كان نصفه عبارة عن دير ونصفه الآخر عبارة عن ثكنة عسكرية مخصصة لإيواء فرقة إخوان الصحراء المسلحين².

وقد وضع لافيجري قوانين أساسية تدير عليها فرقة إخوان الصحراء المسلحين جاءت كما يلي:

أولاً: الأعمال الرئيسية خاصة بما يلي:

-التطهير النفسي والالتزام بالوجبات الدينية المسيحية.

-إسعاف المرضى.

- العمل الزراعي الصحراوي.

¹- سعبيدي مزيان، المرجع السابق، ص365.

²- Bounard, op. cit, p598.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

- إتقان استعمال الأسلحة.

- المساهمة في إلغاء الرق.

ثانياً: الحياة المادية في أوساط الفرقة خاصة بما يلي:

-التغذية.

-اللباس.

-المسكن.

ثالثاً: طبيعة الفرقة والتزاماتها

رابعاً: نظام تسييرها

خامساً: النظام اليومي للفرقة¹

كما وضع لافيحري شروط وقوانين لكل من يريد الالتحاق بالفرقة منها:

1/دراسة الرهينة لمدة ثلاثة أشهر.

2/دخول معهد التنصير للمبتدئين لمدة عام واحد يتعلم خلالها اللغة واللهجات

المحلية.

3/التأقلم مع المناخ الصحراوي.

4 / إتقان الأعمال الزراعية كالتمور، الخضر والفواكه.

5/تجنيد ثان مؤقت لمدة خمس سنوات في نفس الظروف.

6/تجنيد ثالث ورابع متتالين وفي نفس المدة.

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 369.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

ترسل طلبات الانضمام إلى بسكرة مرفقة ببيان للسيرة الذاتية على ألا يتجاوز عمر المترشح خمسة وثلاثين سنة، كل هذا لإثبات الولاء التام وروح التضحية والتحدي.

وفيما يخص نظام تسييرها فقد كانت الفرقة تحت الرئاسة الروحية للآباء البيض والرعاية القانونية لرئيس البعثات التنصيرية بالصحراء وهو الأب تولوت، وحدد لافيجري قيادة كل مركز ينشئه الآباء والإخوان مستقبلاً كما يلي:

- قيادة المركز لأحد الآباء والإخوان البيض برتبة Commandant.

- يساعده ملازمان اثنان يعينهم رئيس البعثات التنصيرية بالصحراء الملازم الأول مكلف بالجانب المادي والفلاحي للفرقة، والملازم الثاني يهتم بالجانب العسكري.

وبهذا فهي متصلة بجمعية المبشرين إضافة إلى جماعة من المرشدين مكلفين بإدارة كل فرقة من الفرق الآتية¹:

-فرقة الممرضين.

- فرقة الفلاحين.

- فرقة الحرفيين.

- فرقة الصيادين.

- وبخصوص النظام اليومي للفرقة فيشترط إقامة الواجبات الدينية صباحاً ثم الالتحاق بطبيعة العمل، حسب الانتماء للفرقة لمدة ثمانية ساعات مع ساعتين ونصف للراحة الجماعية.

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص370.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

-النوم شتاء يكون على الساعة الثامنة مساءً.

-النوم صيفاً يكون في حدود الساعة التاسعة مساءً.

- كما أنه أقر نظاماً لحظر التجوال ابتداء من العاشرة مساءً عند الضرورة.

ويعتبر الأب كومب أقدم الآباء البيض من الأوائل الذين باركوا تأسيس

الفرقة في 21 ديسمبر 1891م¹.

وحتى يكسب لافيغري سكان المنطقة أعلن عن إجراء سباق للمهور على

حسابه الخاص في سنة 1891م من ورقلة إلى بسكرة على مسافة 420 كلم

وحددت جوائز قيمة للأوائل، مع مرور الوقت وصل الأمر إلى توات وقورارة

وعين صالح ممل جعل كل الأنظار تصب نحو بسكرة انتظاراً لساعة السباق،

ومن جهة أخرى أقام لافيغري حفلاً بهيجاً "بمسالة " حضرة عدد كبير من

الفرنسيين والأهالي الجزائريين إضافة إلى القيادات العسكرية والمدنية، ووزعت

خلاله الجوائز على الأوائل إلى جانب بعض المواد الغذائية فوصلت الأخبار

إلى جميع الواحات الصحراوية².

وفي أبريل من سنة 1891م أقام لافيغري حفلاً دينياً لإخوان الصحراء

المسلحين ارتدوا من خلاله اللباس الديني العسكري الذي كان عبارة عن جلابة

بيضاء نصفها رهباني والآخر عسكري مزينة بصليب أحمر على صدرها،

وشاشية عليها قبعة يعلوها صليب بارز، وأثناء الحفل عين الأب أوغسطين

هاكار Augustin Hacquard رئيساً للفرقة³.

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 370.

²- نفسه، ص371.

³- مصطفى خالدي وعمر فروخ، المرجع السابق، ص126.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

من خلال ما سبق يتضح لنا أن تأسيس فرقة إخوان الصحراء المسلحين، يعتبر فعلاً سابقة في تاريخ التصير بالصحراء الجزائرية خاصة، فهو يعبر عن المغزى الفعلي لهذه الفرقة، كما يؤكد العلاقة الوطيدة بين الاستعمار ومحاولة نشر المسيحية في الصحراء الجزائرية.

*دور فرقة إخوان الصحراء المسلحين بالصحراء الجزائرية:

بتأسيس الفرقة، شرعت مباشرة في تحقيق أهدافها الدينية توازياً مع الأهداف العسكرية، حيث كانت المهمة الأساسية آنذاك هي التقدم والتوغل نحو المناطق الداخلية باتجاه تيماسين وامقيد إلا أن التوارق والشعانية حالوا دون تقدمهم إلى هذه المناطق، فكان لابد من استخدام الفرقة في حملة على أقاليم توات وقورارة من أجل التقدم نحو الجنوب الغربي، ورأى فليبير المسؤول عن الحملة العسكرية على هذه المناطق ضرورة فتح مركز للإخوان المسلحين قرب إيغلي المتواجدة في الطريق المؤدية إلى عين صالح، إذ أن هذا المركز من شأنه أن يضمن تقدمهم في حالة استتباب الأمن في المنطقة، إلا أن لافيغري تحفظ من إرسال الإخوان نحو الغرب، لكون مركز الإخوان بمسالة كان يضم عدداً قليلاً من الإخوان المسلحين ولا يمكن تفرقتها على جميع مناطق الصحراء الجزائرية، كما اقترح النقيب قوردن Gordon، فكرة إنشاء مركز للإخوان بالقليعة، وفي هذا الإطار قام الحاكم العام كامبون بزيارة لبسكرة، بهدف تشجيع رئيس الإرساليات التصيرية بالصحراء الأب تولوت للمضي قدماً دون تأخر، مما يشكل دعماً للنشاط التصيري بالصحراء الجزائرية¹.

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص374.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

في ماي سنة 1892م وعند زيارة جول فيري للجزائر، اتجه هذا الأخير برفقة الحاكم العام كامبون لزيارة لافيغري بمقر إقامته بسانت أوجين، وأثناء المحادثات أعجب جول فيري بثقافة لافيغري وسعة فكره وحدثه عن فرقة الإخوان المسلحين، كما أبدى له أهميتها في المساهمة ببسط النفوذ الفرنسي بالصحراء الجزائرية، وضرورة استخدامها في حملة على إقليم توات خاصة عين صالح¹.

إلا أن السلطات الفرنسية الاستعمارية عارضت فكرة اشراك الفرقة تبعا للمعاهدات الدولية، ولكون أعمالها العسكرية قد تثير غضب السكان وبالتالي الرأي الأوروبي والعالمي².

وفي حقيقة الأمر فإن مشاركة الفرقة في الحملات العسكرية سينعكس سلباً على الضباط الفرنسيين لأنهم سيحرمون من التشريفات والامتيازات الهامة التي قد يتحصلون عليها بعد نجاح حملاتهم العسكرية³.

ونظراً لأن أصل نشاط الفرقة ديني، فإن استعمال السلاح في أوساطها أثار ضجة بالنسبة للرأي العام بين مؤيد ومعارض لعملها العسكري، فمن المؤيدين نذكر: وزير الخارجية ريبولي Ribolet الذي رأى أن الفرقة تتوافق مع قرارات مؤتمر بروكسل، لكنه طالبها بأن تحافظ على طبيعتها السلمية الإحسانية، واقترح تغيير اسمها إلى: "روادا" Pionniers، فضلا عن وضعها تحت وصاية مباشرة لوزارة الحربية، كما رحبت الصحافة الجمهورية بالفرقة الناشئة، واعتبرتها

¹- TornierChnoine Jules, Le Cardinal Lavigerie et son action politique(1863-1892), libraires académique, Paris, 1913, p57.

²- سعبيدي مزيان، المرجع السابق، ص 375.

³- TornierChnoine Jules, op. cit, p57.

الفصل الثالث—نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

موجهة للقيام بأعمال إنسانية، وهي مطابقة لقرارات مؤتمر بروكسل 1889م، ووصفت لافيغري بأنه شخصية مفعمة بالطاقة يناسبها الدرع الحربي تماما مثلما يناسبه الثوب الكهنوتي، وتناسبه الخوذة مثلما تناسبه القلنسوة¹.

ومن جهة أخرى فإن الحاكم العام كامبون، كان من المعارضين لهذه الفرقة ورأى فيها عدم جدوى خاصة وأن قاعدتها في الصحراء، فلن يكون لها نشاطا مثمرا، كما عارضتها الصحف الملكية ورأت فيها خطرا للتعقيدات الدبلوماسية التي ستحدثها بعض التصرفات الغير مراقبة للفرقة من طرف السلطات الفرنسية، وأضافت أن تأسيسها يعتبر بداية عهد تنصير باستعمال قوة السلاح، بينما اعتبرت صحف أخرى مثل: صحيفة كلمة النظام Le mot d'ordre، فرقة لقطاع الطرق².

لذلك صدر قرار في نوفمبر 1892م يقضي بحل الفرقة، وكلف "جول كامبون" الحاكم العام للجزائر آنذاك بإبلاغ لافيغري، إزاء ذلك التحق أعضاء الفرقة بجمعية الآباء البيض لاستكمال نشاطهم التبشيري العادي ضمن طاقم الإرساليات التنصيرية في الصحراء الجزائرية والسودان الغربي³.

كان هذا بمثابة الصدمة للافيغري، جعلت بعض أنصاره يشكّون في مواقفه مثل البابا ليون الثالث عشر، إضافة إلى ذلك قطعت عنه بعض المنظمات مددها فلزم بيته منذ ذلك الحين، إلى أن توفى في ديسمبر 1892م، واعترفاً بجميله أقامت له السلطات الاستعمارية تمثالاً في إحدى ساحات بسكرة

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص379.

²-Bunard(Mgr), op. cit, p 600.

³- Tournier, op. cit, p57.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

واضعاً على رأسه التاج اللاهوتي وحاملاً عصا الأسقفية متظاهراً برميها اتجاه الصحراء ما يدل على نشر المسيحية في الصحراء انطلاقاً من بسكرة¹.

وتجدر الإشارة إلى أن اختيار بسكرة مركزاً للتصير نحو الصحراء وإفريقيا لم يكن عفويّاً، إنما له دلالة هامة، فهي بوابة الصحراء ولها علاقة بالفتح الإسلامي، إذ تعتبر مكان استشهاد عقبة بن نافع الفهري، أشهر قادة الفتح في بلاد المغرب وموطن قبره الشاهد على جهاده في المنطقة، ومنها انتشر الإسلام في الصحراء الجزائرية، لهذا فإن اختيار لافيغري لهذه المنطقة يهدف إلى محو الصبغة الإسلامية لها وتجسيد عودة المسيحية إلى هذه المناطق.

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص381.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

المبحث الثالث: نشاط الأب شارل دو فوكو في الصحراء الجزائرية

*مولد شارل دو فوكو ونشأته:

ولد شارل دو فوكو يوم 15 سبتمبر 1858م، في بيت يقع في حي برولي بمدينة ستراسبورغ الفرنسية، من عائلة مسيحية، كانت أمه مسيحية تقية زرعت في قلبه وقلبه قلب أخته ماري حب الله منذ الطفولة توفى أبواه وعمره 6 سنوات، الأمر الذي سبب له ألماً كبيراً، فاهتم به جده الذي غمره بحبه وحنانه، كان شارل دوفوكو طفلاً نكياً أحب القراءة منذ نعومة أظافره، أخذ الفضول إلى البحث في علوم الفلسفة حتى وصل إلى مرحلة المراهقة، مات جده وهو لا يزال شاباً في العشرين من عمره سنة 1878م¹، كان آنذاك في السنة الثانية من مدرسة الضباط في سان سير، وفي هذا يقول: "آه لو تسنى لي أن يكون لي عشر سنوات أكثر، لما كنت بالأحرى في الخدمة من بعد، ولبدأت حياة ولد كبير، فأعيش في الريف في منزل صغير، إنه لمن اللذيذ أن يكون الإنسان حراً وهادئاً، ولكنه لأمر صعب أن يكون الإنسان وحده، ومع هذا فإن مصيري هكذا حتماً وخلال هذا الوقت ستكون أنت سعيداً وهادئاً في عائلتك، أما أنا فلست هكذا ومن المحتمل ألا أكون هكذا قط، ولكن من يعلم؟ ربما سيكون لي أوقات لذيذة، ومهما يكن من أمر أحسب أنه لن تكون لي أوقات ألد من تلك التي سأمضيها بقربك"²، وهو من خلال هذه المشاعر يعبر عن حالة الضجر التي يعيشها، وكل ما سيفعله يهدف إلى طرد هذا الضجر، وإلى التلهية والإستئناس

¹- René Bazin, Charles de faucauld, libraire plon, Paris, 1921, p 20.

²- أنطوان شاتلار، شارل دي فوكو الطريق إلى تمناست، تر: الأب ألبير أبونا، دار نجم الشرق، بغداد، 2005، ص25.

الفصل الثالث—نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

ترك له جده ثروة كبيرة، عاش فترة شبابه في طيش كبير يصفها ب: "انحدار نحو الموت"¹، مما جعله يبتعد عن الله شيئاً فشيئاً، ترك الممارسة الدينية وجميع الالتزامات، تخلى عن الصلاة وأصبحت حياته بلا معنى، وفي نفس الوقت كان يشعر بفراغ مؤلم في أعماقه، جعله يتساءل عن إيمانه²، أُعجب بالإسلام لدرجة أنه فكر في اعتناقه لكنه عدل عن رأيه لأن الإسلام بدا له بعيداً عن التصوف الذي يريده هو، ومع هذا قرر أن يتعلم اللغة العربية حيث اطلع على كتب المستشرقين خاصة كتب صديقه " هنري دي كاستري"³، الذي قال له في رسالة: " نعم كان الحق معك، لقد أثر الإسلام في نفسي تأثيراً عميقاً."⁴ إلا أنه أظهر عداوته للإسلام فيما بعد خاصة بعد تنصيبه قسيساً فأصبح المسلمون في نظره كفاراً يجب تنصيرهم.

نظر شارل دوفوكو إلى حياته فوجد أن كنزه الثمين هو يسوع الذي يحمله في قلبه، فقرر أن يكرس حياته للصلاة والعبادة، حيث دخل دير " الترابيست (سيده الثلوج)" بفرنسا تاركاً كل شيء وراءه مسلماً حياته ليسوع المخلص، عاش شارل على مثال يسوع في التواضع والفقر، عاش حياة يتجلى فيها سر الله وسر حبه لكل إنسان، بروح تعطي محبه بلا حدود وفرح لا ينزعه أحد، وخدمة مجانية

1- أنطوان شاتلار، المرجع السابق، ص23.

2 - Robert Ellsberg, Charles de Foucauld, orbis books, maryknoll, 1998, p17.

3- هنري دي كاستري كان ضابط في المكتب العربي بناحية أفلو في فترة مقاومة الشيخ بوعمامة سنة 1881م، وقد شارك فيها دوفوكو كضابط في الجيش الفرنسي.

4- أبو عمران الشيخ، " شارل دي فوكو في تماراست 1905-1916"، مجلة الثقافة، ع/16، يوليو- أغسطس 1981، ص 83.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

مقدمة للجميع، كانت لديه قناعة راسخة أن يسوع حاضر في كل إنسان يعاني من وطأة الفقر أو الاضطهاد، فأراد أن تكون هذه الطريقة نهجا لحياته¹.

وحتى يتعرف أكثر على المسيحية قصد أحد الكهان، وهو الأب " هوفلان" كاهن الرعية التي تصلي فيها عائلة شارل دوفوكو، فطلب منه أن يركع ويعترف لأن حاجته الحقيقية ليس لها علاقة بالعلم ولا بالفلسفة، بل باللقاء الحي بالله، كان هذا بمثابة اهتداء لشارل دوفوكو غير له حياته كلها وأعادته من جديد لحضن المسيحية، خاصة وأنه كان دائما يردد هذا الدعاء: "يا رب إذا كنت موجوداً حقاً أجعلني أعرفك"².

*تعليمه:

تلقى شارل دوفوكو تعليمه الابتدائي في أسقفية سانت أربوقاست بمدينة ستراسبورغ، ثم بثانوية أمبريال بمدينة نانسي إلى غاية سنة 1870م، حيث توقفت الدراسة بهما بسبب الحرب الفرنسية- الألمانية، بعد ذلك واصل دراسته بثانوية ناسيونال التي ظل بها إلى أن حصل على شهادة البكالوريا، وكان أول تقرب له بالكنيسة سنة 1872م، بكنيسة نانسي، حيث يقول في رسالته إلى الجنرال سيسيبال Susbielle: ".....وفي نفس الكتدرائية بمدينة نانسي تناولت القربان لأول مرة في سنة 1872م، حيث استقر المقام بجدي في مدينة نانسي بعد حرب سنة 1870م"³.

¹- Jean Jacques Antier, Charles de Foucauld, librairie académique Perrin, 1997, p23.

²- Annie of Jésus, Charles de Foucauld, preface by Ianlathan, original French edition, 2001, p16.

³- عمير اوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص112.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

بعد حصوله على البكالوريا التحق بمدرسة سان سير العسكرية، وبتخرجه منها انضم سنة 1878م للمدرسة العسكرية للفرسان بسومير، ثم أرسل كعسكري برتبة ملازم لمنطقة سطيف بالجزائر، ومنها انتقل للمشاركة في الحرب ضد مقاومة الشيخ بوعمامة بعد اندلاعها بالجنوب الغربي الجزائري سنة 1881م¹.

*رحلته إلى المغرب من سنة 1883 م إلى سنة 1884م:

بدأ شارل دوفوكو في التحضير لرحلته إلى المغرب بدراسة الخرائط الجغرافية والمراجع التي تتضمن معلومات عن سكان المنطقة عاداتهم وتقاليدهم، لغاتهم ولهجاتهم وغيرها، كما تعلم اللغتين العبرية والعربية لكون سكان المغرب من المسلمين وأقلية يهودية، عند دخوله للمغرب تنكر في شخصية يهودي، كما استعمل اللكنة اليهودية، وقلد اليهود في عاداتهم وطباعهم وتقاليدهم الدينية فصار كأنه يهودي أصيل، وقد أشار شارل دوفوكو إلى سبب اختيار التنكر في شخصية يهودي دون غيره، لأنه رأى أن التنكر في شخصية مسلم أصعب من التنكر في شخصية يهودي، حتى لا يفتضح أمره، إذ استغل اليهود لتزويده بمعلومات دقيقة عن المنطقة، كما أن دليله في هذه الرحلة كان يهودياً وهو "الحاخام مردوخ"، الذي كان خبيراً بأحوال المغرب سكاناً وجغرافية، وذلك مقابل مبلغ مالي معتبر².

انطلقت رحلة شارل دوفوكو إلى المغرب يوم 10 جوان من سنة 1883م، انطلق من الجزائر العاصمة إلى مدينة وهران ثم أبحر إلى طنجة

¹ - Bonnie Thurston, Hidden in god discovering the desert vision of Charl de Foucauld, paperback, 2016, p13.

² - شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، تر: المختار بلعربي، ج1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1999، ص 5.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

بالمغرب، ومنها بدأت الرحلة مشياً في منطقة الريف، ومنها إلى فاس وتازة، ثم إلى الجنوب باتجاه المحيط الأطلسي وانتهى به المقام في أغادير وموقا دور، أين بقي شهراً كاملاً، ثم عاد عن طريق الاطلس الصغير، وقد استغرقت عودته مدة شهرين كاملين قبل وصوله إلى وهران في 23 ماي 1884م¹.

وفي خلال هذه الرحلة كان شارل دوفوكو يسجل ملاحظاته ومعلوماته خفية، حيث قدم للسلطة الفرنسية معلومات قيمة عن كل ما يتعلق بقبائل المغرب، عاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم ولهجاتهم وطباعهم وطرق تفكيرهم، وحتى عن ثروات السكان وإمكانياتهم المادية والدفاعية وثروات المنطقة من وثائق ومخطوطات، إضافة إلى معلومات عن جغرافية المناطق وتضاريسها المتنوعة، حيث كان يرسم مخططات طبوغرافية لها لدرجة أنه وُصف برجل حرب، ورسام ذي ذوق عال، كما تم تشجيعه وتكريمه في أفريل من سنة 1885م من قبل المؤسسة الجغرافية في باريس مقابل الخدمة الجليلة التي قدمها للسلطة الفرنسية آنذاك، حيث كانت الخرائط والطرق المعابر التي رسمها دليلاً اعتمد عليه الجيش الفرنسي لاحتلال المغرب سنة 1912م².

مما يتضح جلياً العلاقة الوطيدة لشارل دوفوكو بالاحتلال وأهدافه الخفية من رحلته هذه، وهو الأمر الذي تجسد فعلياً في الصحراء الجزائرية أثناء استقراره بها.

1- شارل دوفوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، ج1، ص6.

2- نفسه، ص5.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

*رحلته إلى بلاد الشام:

اتجه شارل دوفوكو إلى فلسطين سنة 1888م ومن سنة 1897م إلى سنة 1900م، زارها من أجل تطهير نفسه واستجابة لطلب قس كنيسة سانت أوغستين Saint augustin الذي ألح عليه كثيراً لزيارة مهد المسيح، فوصل مدينة بيت لحم مسقط رأس المسيح عليه السلام سنة 1888م أيام أعياد الميلاد ومكث فيها مدة ثلاثة أشهر، حيث كان يزور القدس من حين لآخر، ثم عاد إلى فرنسا¹.

وفي سنة 1890م، اتجه إلى سوريا وانضم هناك إلى إحدى المجموعات الدينية المسيحية، ومن خلال علاقته بالعائلات المسيحية عايش أوضاعهم الفقيرة والصعبة فأراد أن تكون حياته الرهبانية أقرب إليهم، وظل هناك يقوم بالأعمال الشاقة لكي يطهر نفسه حسب اعتقاده، ومكث على هذه الحالة إلى أن غادر سوريا سنة 1896م.

عاد مرة أخرى إلى فلسطين سنة 1897م، وزار عدداً من مدنها مثل: بيت لحم، القدس، رام الله، واستقر في مدينة قرية جات، حيث وجد عملاً متواضعاً في الكنيسة، وفي فناء الكنيسة اتخذ كوخاً صغيراً من الخشب جعله بيته وديره للعبادة، وفي فلسطين ظل ينتقل بين مدينتي قرية جات والقدس إلى أن عاد إلى فرنسا في أوت سنة 1900م².

¹- عمير اوياحميدة وآخرون، المرجع السابق، ص118.

²- René Bazin, op. cit, p61.

***رحلته إلى الجزائر من 1901 إلى 1916:**

كانت أول زيارة لشارل دوفوكو للجزائر سنة 1880م، ضمن فرقة عسكرية فرنسية للخيالة أرسلتها مدرسة سومير Saumur، حيث مكث عدة أسابيع بين مدينتي عنابة وسطيف، كان لتواجده في الجزائر أثر كبير في تغير منهج حياته، حيث قدم استقالته لما عاد إلى فرنسا وتخلّى عن مركزه العسكري سنة 1882م، ليتفرغ لخدمة المسيحية والاحتلال عن طريق عملية التنصير¹.

رجع شارل دوفوكو للجزائر مرة ثانية سنة 1883م، حيث كانت الجزائر نقطة انطلاقه وعودته للمغرب، وفي سبتمبر سنة 1885م عاد إلى الجزائر مرة ثالثة مكث فيها عدة أسابيع زار خلالها مدناً عديدة منها: وهران، الأغواط، غرداية، ورقلة، تقرت، ثم مدينة قابس بتونس، ومنها عاد إلى فرنسا سنة 1886م²، في يوم 09 جوان 1901م، لقب ب"كاهن"، من طرف مونتي بحضور بوني، وفي نفس سنة 1901م عاد إلى الجزائر حيث نزل عند الآباء البيض، ثم اتجه إلى وهران ومنها إلى عين الصفراء عن طريق القطار، ثم أكمل طريقه مع مجموعة من الجنود الفرنسيين الخيول حتى وصلوا إلى بني عباس في 28 أكتوبر سنة 1901م، ويعلن استقراره في الصحراء الجزائرية لمدة خمسة عشر سنة إلى غاية سنة 1916م وهي سنة وفاته³.

1- Jean Jacques Antiar, op. cit, p20.

2- René Bazin, op. cit, p38

3- René Bazin, op. cit, p28.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

*النشاط التنصيري لشارل دوفوكو في الصحراء الجزائرية.

1-في بني عباس:

بني عباس هي مدينة سياحية وإحدى أكبر بلديات ولاية بشار تقع في الجنوب الغربي للجزائر، تتوسط ولايتين من الشمال مقر ولاية بشار بمسافة 250 كلم، وجنوباً ولاية أدرار بمسافة 350 كلم. تعرف بجوهرة الساورة والواحة البيضاء، أصبحت مركز دائرة منذ عام 1956 تبلغ مساحتها حوالي 10.040 كلم مربع، وعدد سكانها 12000 نسمة، بنيت على تلة صخرية على الضفة اليسرى لوادي الساورة، يحدها من الشمال والشرق والغرب العرق الغربي، ومن الجنوب والجنوب الغربي وادي الساورة.

يعتبر واد الساورة هو عصب الحياة الرئيسي لقصور ومدن بني عباس، لكن جريان هذا الوادي أضحى نادراً في السنين الأخيرة بسبب إنجاز سد جرف التربة وسدود مغربية على طول مجرى الوديان المغذية له، وأصبحت الأمطار المحلية التي قلما تهطل وبكميات قليلة المصدر الوحيد لجريانه.

يعود تاريخ تعمير بني عباس إلى فترات ما قبل التاريخ، ويشهد على ذلك رسومات منطقة مرحومة التي تعود إلى العصر الحجري الحديث.

أما القبائل التي سكنت المنطقة فتعتبر قبيلة بني حسان من بني معقل هي أول القبائل التي سكنت المنطقة خلال القرن الثاني عشر ميلادي.

تعرضت بني عباس للاحتلال الفرنسي في 01 مارس 1901م، وفي شهر أكتوبر من نفس السنة وصلها الأب شارل دوفوكو، الذي قرر الاستقرار فيها لعدم وجود رجل دين مسيحي يقوم بالطقوس الدينية وسط الجنود الفرنسيين،

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

وكان جيش الاحتلال قد أقام قبل ذلك مركزاً للجنود وحصناً للمراقبة فقرر شارل دو فوكو الإقامة قريباً منه، بعد حصوله على إذن من الحاكم العام ومن الآباء البيض الذين كانت المنطقة تحت وصايتهم¹، وقد أعجب شارل دو فوكو ببني عباس أيما إعجاب، حيث كانت جولته فيها ذات طابع سياسي وإداري بحت².

أقام شارل دوفوكو في بني عباس ديراً للعبادة بمساعدة الجنود خصص فيه حجرات لاستقبال الضيوف وعلاج المرضى، كما جعل فناءه حديقة صغيرة زرع فيها أنواعاً من الخضر والفواكه وشجيرات النخيل الصغيرة، كانت له علاقات حميمة مع القائد العسكري العام لهذه المنطقة وهو "دي سيسبيال Du susbielle"، الذي كان كثيراً ما يدعوه إلى مائدته مع الجنود الفرنسيين الذين أقبل الكثير منهم على هذا الدير يتبركون ويصلون ويستشفون.

كان لهذا الدير دور كبير في تغير الحياة خاصة للجنود الفرنسيين والحياة الاجتماعية للمنطقة، حيث كان همزة وصل بين السلطة العسكرية الفرنسية والجزائريين بالصحراء³.

وقد وصف لجبريل طورديس حالته المزاجية بقوله: "أعيش من عمل يدي، غير معروف للجميع، فقير، وأتمتع بعمق الظلام، الصمت، الفقر، وتقليد المسيح، فالتقليد جزء لا يتجزأ من الحب أيا كان المحب فهو يريد أن يقلد محبوبه، هذا هو سر حياتي....."⁴

1- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص113.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص37.

3- عمير اوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص121.

4- شارل دوفوكو، كتابات روحية، تر: الأب جرجس موراني، ج3، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دت، ص33.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

تمكن شارل دوفوكو أثناء إقامته ببني عباس من شراء بعض العبيد وتعميدهم، وجعل بعضهم خدماً له، وأول شخص عمده¹ في بني عباس هو طفل سماه عبد المسيح عمره ثلاث سنوات ونصف، كان ذلك في 12 جويلية سنة 1902 م، وفي 15 أكتوبر 1902م، اشترى عبداً أسماه بول "Paul" جعله خادماً له، وآخر في 21 جانفي سنة 1903م، تسمى باسم "Pierre"².

لقد كان تعيين هنري لابرين قائداً على منطقة واحات الصحراء الجزائرية دور في تحقيق حلم شارل دوفوكو، وهو التوغل نحو الجنوب، فكان له ذلك سنة 1904م حيث دامت الرحلة ثمانية أشهر برفقة خادمه "Paul" وصديقه لابرين وجنود فرنسيين، وقد ترك لابرين صديقه شارل دوفوكو عند قبائل الطوارق في مدينة عين صالح لمدة ثلاثة أشهر، حيث عمل كمستكشف مثل ما فعل بالمغرب سجل كل المعلومات عن الطوارق وتعلم لهجتهم، حيث يقول: "إن سكان المنطقة كسكان المغرب يتحدثون لهجتهم المحلية البربرية أكثر من تحدثهم باللغة العربية، هذه اللهجة هي اللغة القديمة لشمال إفريقيا.....لقد تعلمتها سابقاً ونسيتها.....وإنني بصدد تعلمها لأتمكن من التحدث مع الجميع"³.

¹- التعميد هو غطس الطفل الصغير في ماء صلى عليه القسيس فأصبح مباركا، وهو ضرورة عند النصراني حتى يصبح الشخص نصرانيا، أنظر: زينب عبد العزيز، تنصير العالم، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1415 هـ- 1995م، ص 55.

²- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 38.

³- René Bazin, op. cit, p115.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

انتقل شارل دوفوكو إلى غرداية أواخر سنة 1904م، حيث مكث عدة أسابيع عند الآباء البيض، ولاشك في أنه قد يكون تباحث معهم حول مشروع التنصير لسكان الصحراء¹.

عاد شارل دوفوكو إلى بني عباس بعد مروره على مناطق عديدة من الصحراء منها: أولف، أدرار، تميمون وغيرها، حيث كتب لصديقه هنري لابرين يقول: "إننا ننتقل من نبع إلى نبع بين مناطق الرعي التي كثيراً ما يتردد عليها البدو فنقيم بينهم لعدة أيام.....أيامي مشغولة بدراسة لغة هذه المنطقة اللغة البربرية الأصلية وترجمات الإنجيل إلى هذه اللغة"².

وعند إقامته في بني عباس كتب رسائل كثيرة عن "الأخوة الشاملة"، منها الرسالة التي كتبها إلى ماري دي بوندي في 07 يناير 1902 جاء فيها: "لقد طلبتي مني وصف المصلى....إن المعبد.....يدعى "معبد أخوة قلب يسوع الأقدس"، ومنزلي الصغير يدعى "أخوة قلب يسوع الأقدس"، أريد أن أعود جميع السكان من مسيحيين ومسلمين ويهود ووثنيين على النظر إليّ مثل أخيهم - الأخ الشامل.... لقد بدأو بتسمية المنزل باسم "الأخوة" وهذا أمر عذب لي....."³.

ويشرح لصديقه "لاكروا": "لقد اخترت هذا الاسم الذي يشير إلى أنني أخوهم وأخو جميع البشر بدون استثناء ولا تمييز".

1- عميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص122.

2- انطوان شاتلار، المرجع السابق، ص203.

3- نفسه، ص147.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

من هنا نستشف أنه كان يفضل أن يدعى "الأخ شارل"، لكن مهما قال فإن في منطقة بني عباس أو تمنراست كان الناس لا يعرفون سواء اسم "مارابو" بمعنى "مرابط"، وهي لفظ فرنسي ذات أصل عربي تستخدم للإشارة إلى المثقفين في الأمور الدينية، كرجال الدين وأولياء الله الصالحين المتصوفين، فهو كان يتمنى أن يرى الجميع فيه "أخا" دون استثناء ولا تمييز حيث يقول : "صلوا إلى الله كي أكون حقا الأخ لجميع النفوس في هذه البلاد"¹.

2- نشاطه في تمنراست:

تمنراست هي عاصمة الهقار بالجزائر تقع على مسافة 1981 كلم جنوب الجزائر العاصمة، على إرتفاع 1380م فوق سطح البحر، اسمها القديم تامنغست²، تتميز بمناخها المعتدل صيفاً وشتاءً، تتساقط فيها كمية معتبرة من الأمطار في فصل الصيف مما يسبب سيول الوديان، بها أعلى قمة في الجزائر هي "تاهاات أتاكور" بجبال الهقار تبلغ حوالي 3000م، لها حدود مع غرداية و ورقلة من الشمال، مالي والنيجر من الجنوب، ولاية أدرار من الغرب، تعتبر منطقة حدودية بين الجزائر وإفريقيا، وهي نقطة تبادل تجاري وثقافي جد هام مع الدول الإفريقية المجاورة³، يبلغ عدد سكانها حوالي 164.245 نسمة على مساحة تقدر بحوالي 55790.25 كلم مربع.

1- أنطوان شاتلار، المرجع السابق، ص148.

2- المهدي البوعبدلي، " لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية والحضارية والسياسية"، الأصالة، ع/72، رمضان 1399هـ- أوت 1979م، ص ص3-4.

3- عبد الرحمان الجيلالي، " هؤلاء الطوارق الملتهمين"، الأصالة، ع/72، رمضان 1399هـ- أوت 1979م، ص 22.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

يعود تعمير تمنراست إلى فترات قديمة ترجع لحوالي 8000 سنة، تشهد على ذلك الرسومات والنقوش الحجرية التي اكتشفت بطاسيلي الهقار، ظلت بعد ذلك تمنراست تستقطب اهتمام الشعوب خاصة البربر (الطوارق)، عرفت حركة جد نشيطة عندما استقر الرومان بشمال إفريقيا جعلوا منها مسلكاً وقطبا تجاريا مهما، تحولت إلى ملتقى قوافل تجارية من أوروبا إلى إفريقيا، وخلال الفتح الإسلامي استقر بها الشرفاء والمرابطين من تافيلالت والساقية الحمراء¹، كما عرفت نشوب العديد من المقاومات والثورات الشعبية في فترة الاحتلال الفرنسي أهمها : ثورة الشيخ أمود.

شارل دوفوكو في تمنراست 1905م-1916م:

قرر شارل دوفوكو الإقامة في تمنراست منذ سنة 1905م، وكان عمره آنذاك 47 سنة، حيث أقام بدير على قمة جبل الإسكرام، وهو جبل صخري يقع على بعد 80 كلم شمال شرقي تمنراست، يبلغ ارتفاعه حوالي 2700م، اختاره شارل كموقع لخلوته بحكم موقعه الاستراتيجي، وقربه من السكان الذين كانوا ينصبون خيامهم المجاورة من أجل مراقبتهم وإخضاعهم وتبشيرهم²، وقد اختار شارل دوفوكو هذه المنطقة لعدة أسباب³ نذكر منها:

1- أنها توجد في منطقة جبلية بقلب الهقار، وفيها تعيش أهم قبيلة من قبائل الطوارق وهي قبيلة "داق رالي".

¹ - عبد الرحمان الجبلاي، المرجع السابق، ص26.

² - حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص81.

³ - Bonnie Thurstone, op. cit, p12.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

2-كونها منطقة بعيدة عن الشمال معزولة عن القرى الهامة، وعدد سكانها قليل إذ لم يتجاوز آنذاك عشرين أسرة أي مائة نسمة تقريباً، كما أنها منطقة آمنة¹.

3-تشجيع صديقه "لابرين" له، حيث شجعه على زيارة الهقار والاهتمام به.

4- اعتقاد شارل دوفوكو أن الطوارق أكثر استعداداً لقبول دعوته، فهم في نظرة أقل تعلقاً بالإسلام ولا يعرفون اللغة العربية، فهم كما قال: "إن طوارق الهقار ليسو مسلمين إلا بالاسم"²، فلن يتأثروا بدعوة المرابطين والأولياء ومشايخ الطرق الصوفية، وهذا ما سيسهل عمله في المنطقة³.

على هذا الأساس شرع شارل دوفوكو في تأليف كتاب في النحو ومعجم طارقي - فرنسي، وفرنسي-طارقي، مستعيناً بخبرة صديقه "موتلينسكي"، الذي عاش معه في تمارست عدة أشهر، كما جمع شارل فوكو العديد من القصائد الشعبية المحفوظة، وترجمها إلى اللغة الفرنسية، زيادة على ذلك ترجم الأناجيل، وبعض النصوص المسيحية إلى اللغة الطارقية، وهذا كله لتسهيل عمل المنصرين والاتصال المباشر بسكان المنطقة⁴.

وتتلخص مهمة شارل دوفوكو في أمرين أساسيين هما:

1-نشر النفوذ الفرنسي في الهقار.

2-تنصير السكان وإدماجهم في الحضارة الفرنسية - كما يعتقد - وحسب رأيه فإن العملين متكاملين، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وفي هذا يقول شارل

¹- المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 4-6.

²- René Bazin, op. cit, pp 128- 129.

³- انطوان شاتلار، المرجع السابق، ص 299.

⁴- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 115.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

دوفوكو: "الأمر الأول هو إقامة النظام الفرنسي والحضارة الغربية في إمبراطوريتنا بالشمال الغربي الإفريقيوالأمر الثاني هو التصير"¹.

لهذا رأى شارل دوفوكو أن يحسن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للسكان في تمنراست، فاقترح مساعدتهم ببستاني خبير وحافر للآبار وطبيب، كما اقترح تعليم النساء النسيج وفتح بعض المتاجر، فاتصل برئيس الطوارق "الأمينوكال" موسى آق أمستان، وأكد له ضرورة توفير ثلاثة أشياء لتحسين وضع السكان² وهي:

*تربيتهم خلقيا.

*نشر التعليم الفرنسي بينهم.

*تنشيط الرحل في القرى مع الحفاظ على تربية المواشي.

وفي كل مرة كان التركيز على النقطة الأخيرة وهذا بهدف تحويل السكان من الرحل المتجولين إلى مدنيين مستقرين، فبُنِي القرى وبالتالي الاهتمام بالزراعة والصناعة اليدوية، إضافة إلى توفير البريد والتلغراف تسهيلا للمواصلات، كما اهتم بالسكة الحديدية التي بدأ الخبراء في دراسة إنجازها عبر الصحراء، وهو يرى العلاقة الوثيقة بين تحقيق هذا المشروع والعمل التصيري حيث يقول: "أن السكة الحديدية وسيلة عظيمة لنشر الحضارة، والحضارة عامل قوي للتصير ولا يمكن أن يتنصر الهمج"³.

¹- René Bazin, op. cit, p 408.

²- أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص81.

³- René Bazin, op. cit, p400.

الفصل الثالث—نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

نشير هنا إلى أن هدف شارل دوفوكو يشبه إلى حد ما هدف لافيغري في تنصير القارة الإفريقية انطلاقاً من الصحراء الجزائرية، فهو لم يكتفي بتنصير المسلمين فقط إنما حتى اليهود والمسيحيين المنحرفين ثم بالتدرج كل قارة إفريقيا، كما أنه كان يتحاشى التنصير الصريح والمباشر لأنه كان يدرك صعوبة الأمر بالنسبة للمسلمين، لذلك كانت طريقته في التنصير تدرجية بطيئة وغير مباشرة، وحسب نظره، فإنها الطريقة الأنسب للطوارق حيث يقول: "فلنعمل على أن تكون حياتنا قدوة مثلى لهم وسوف ننصرهم لا محالة"، ورغم ذلك فقد حاول شارل دو فوكو التنصير صراحة في كثير من الأحيان حيث قال: "إنني أقضي أحياناً أياماً كاملة مع الطوارق أشرح لهم كتباً فيها بعض الصور الدينية وأتلو عليهم نصوصاً من الإنجيل المقدس"، وهو يقصد هنا خاصة بعض الفقراء الذين كانوا يترددون عليه ليتصدق عليهم¹.

ولفت انتباه شارل دو فوكو إلى أنه لم يتقدم كثيراً في التنصير وأن السكان لم يتقبلوا دعوته إلى المسيحية، وفسر ذلك بأنه من الصعب أن يتخلى المرء عن اعتقاده وعاداته، ورغم ذلك حاول أن يكسب ثقة الناس وينال حبهم، لأنه يرى أن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تحول الأهالي إلى مواطنين فرنسيين هي أن يصبحوا مسيحيين، ولكن في داخله هو متخوف من الإسلام، لذلك أراد إبعاد الهقار عن الأولياء ومعلمي القرآن الذين كانوا يفدون إلى الهقار من منطقة توات وغيرها².

¹- أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص 83.

²- نفسه، ص 83.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

وتجدر الإشارة إلى أن شارل دو فوكو كان يعتبر الطوارق بسطاء طيبين، شبههم بالأطفال ووصفهم بصفات المزارعين، وهي المثابرة والاقتصاد والاحترار والتحفظ، وهم في نظرة غير متمسكين بالإسلام تمسكاً كبيراً لذلك بداله من السهل تنصيرهم وتمدينهم لكن الواقع كان عكس ذلك، ولإثبات ذلك نورد مثالين على شخصيتين بارزتين من الطوارق كانت لشارل دو فوكو صلة وثيقة بهما.

الشخصية الأولى هي لصديقه الأمينوكال موسى الذي اعتبره شارل دو فوكو في بداية الأمر رجلاً نكياً ومتفتحاً ومسلماً تقياً رغم بعض العيوب، فتقبل موسى إرشاداته وأبدى ثقته به إلا أن شارل دو فوكو غير رأيه بعض الشيء فيما بعد والسبب هو أن موسى كان يريد نشر الدعوة الإسلامية بالهقار، فقرر بناء زاوية ومسجد بتمنراست، وهذا ما لم يحبذه شارل دو فوكو، حيث رأى فيه خطورة كبيرة وتخوف من معاداة السكان للفرنسيين خاصة وأنهم يعتبرونهم من الكفار والهمج¹، رغم ذلك تمسك موسى برأيه ولم يعمل بنصائح شارل دو فوكو كلها، وفضل أن يتجنب المجادلة والمواجهة وهذا للطافة مزاجه، ومن جهة أخرى فهو رئيس الطوارق معروف بمواقفه الحاسمة وشجاعته النادرة، وهذا ما جعل شارل دو فوكو يقترح على السلطة الفرنسية سريراً أن لا يخلف الأمينوكال موسى أحد بعد وفاته، وأن يتولى الضباط الفرنسيون إدارة الهقار مباشرة، لكن اقتراحه لم يلقى تجاوب من طرف السلطات الفرنسية، علم موسى بتصرف شارل دو فوكو هذا ولم يتأثر به وحافظ على صداقته له².

1- حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص 83.

2- أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص 84.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

أما الشخصية الثانية، فيتعلق الأمر بالشاب "أوكسيم" الذي تعلق به شارل دو فوكو كثيراً، وكان أمله أن يكسبه، حيث نظم له سفراً إلى فرنسا وعرفه على أسرته المسيحية آملاً أن يتأثر بذلك ويتحول إلى إنسان متمدن وقد تمت هذه الرحلة سنة 1913م، وكان أوكسيم في الواحد والعشرين من عمره، فذكر شارل دوفوكو أن هذه الزيارة دعمت ثقة أوكسيم به وبجميع الفرنسيين، وهنا يتضح لنا الهدف من هذه الرحلة، تعلم أوكسيم النسيج وعلمه لغيره بعد عودته، لكن رغم كل هذا إلا أن أوكسيم لم يتحول في سلوكه وبقي متمسكاً بأسرته ومجتمعه ومبادئه، فلما اندلعت ثورة الهقار سنة 1917م، التحق أوكسيم بالثوار وذلك بعد شهرين من وفاة شارل دو فوكو¹.

نقف هنا لنؤكد أن موقف أوكسيم ليس موقفاً فردياً فحسب، إنما هو موقف شعب بأكمله يفسره اختلاف جوهري بين ديانتين وحضارتين وثقافتين متباعدتين، وهذا ما يشير إليه أحد المؤرخين المعاصرين لشارل دوفوكو قائلاً: "يختلف كل شيء بين الجزائريين والفرنسيين ليس الأديان فحسب، بل المجتمعات وكيفية التفكير والشعور"².

الجدير بالذكر هنا أن المترجمين الفرنسيين لشارل دوفوكو دائماً يؤكدون على احترام الصحراويين له، ويستشهدون بكلمة لصديقه "ليوتي" أشار فيها إلى تقدير هذا الرجل الذي اعتبره المسلمون في الصحراء ولياً بآتم المعنى، إلا أننا نرى أن هذا التقدير قصد به الرجل المؤمن وليس المنصر، فالطوارق مثل بقية المسلمين الصحراويين كانوا يحترمون أوليائهم لتقواهم وعلمهم، والراهب شارل

1- أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص 84.

2- أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص 85.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

دوفوكو كان في نظرهم ولياً فرنسياً أجنبياً لذا عاملوه بهذه المعاملة "ضيف الله"، وقدروا فيه حياة التقشف، وطيبته واهتمامه بهم، وعندما مرض ساعدوه وتقبلوا منه أحياناً بعض النصائح العملية المتعلقة بالنظافة أو الزراعة أو البناء لأنه كان صاحب ثقافة وخبرة وكرم¹.

وبالرغم من كل هذا، فقد أثبتت تجربة شارل دو فوكو السياسية والدينية أن عمله التنصيري الذي أيدته السلطات الفرنسية كان مصيره الفشل وقد اعترف بذلك هو نفسه حيث قال: "غدا تمر 10 عشر سنوات منذ بدأت أقوم بالقداس بتمنراست ولم أتواصل إلى تنصير شخص واحد"².

والواقع أن طريقة شارل دوفوكو في التنصير بين المسلمين من الطوارق كانت بسيطة، يمتزج فيها التأمل العميق والتفكير في مصير المسيحية بمصير الاستعمار بهذه البلاد حيث يقول عن منهجه في التنصير: "كنت أحاول أثناء جولاتي دائماً أن أقرب من المخيمات السكنية وأن أدخل في علاقات مع الأطفال الصغار، وذلك بأن أقدم لهم السكر، ولكنني لم أسجل نجاحاً في هذه المساعي، فقد كان مرآي عندهم أشبه بمرآي الشيطان نفسه، فكانوا يطلقون سيقانهم هاربين صارخين قبل أن يخنقوا في الخيمة، قد يبدو من الغريب أن ألح على موقف أطفال صغار لا تتجاوز أعمارهم ما بين الخامسة والثانية عشرة، ولكن الأطفال في عملية الاتصال بالسكان هم أشبه شئ بمرآة تعكس تفكير آبائهم،.....ولكنه يمكننا بواسطة الأطفال أن ندخل إلى نفوس الآباء ونهدئ من روعهم، وأنا قمت بتجربة هذه الطريقة عدة مرات، إنها لفرصة لتقريب

1- حفناوي بعلي، المرجع السابق، ص84.

2- أنطوان شاتلار، المرجع السابق، ص284.

الفصل الثالث=نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

المترددين منا، وفرصة للدخول في اتصال مع المتطرفين الذين يبغضوننا، وهؤلاء في العادة يمتازون بقوة الشخصية، إنه لمن الصعب على رئيس سياسي أو ضابط أن يخطو الخطوة الأولى نحو الأهالي الساخطين والذين يلزمون موقف العزلة ولا يبدوون سوى مظهر اللياقة.....وعلى العكس من ذلك، فإنه لمن المسلي ومما لا يحط من قدرنا أن نحاول بث الثقة فينا في نفوس الأطفال....ونوجه إليهم أسئلة ونقدم إليهم هدايا بسيطة، والأمهات تتابعن هذه المحاولات بكل اهتمام، وإذا مررت أمام الخيمة يبتسمن لك ويوجهن لك عبارة طيبة، والأب سيحييك قبل أن يطلب مقابلتك ذات يوم ليشكرك على طيبة قلبك، وبهذا تتحطم الحواجز التي تفصل بيننا وبين الأهالي....والطفل هو المستقبل، والقرية التي يحب فيها الأطفال الضباط ويعتبرونهم آباء....تشعر بسعادة عندما يخيم الجيش في أرضها....وبعد عشر سنوات سيكبر أطفال القبيلة وينمو معهم الولاء لأفكارنا.¹.

مقتل شارل دوفوكو:

في أول شهر ديسمبر من سنة 1916م، احتل برجه المحصن جماعة من الثوار فاعتقلوا شارل دو فوكو، وكلفوا به حارساً واستولوا على السلاح الموجود بالبرج²، واستنطقوه ليعلموا متى سيأتي الجيش الفرنسي إلى تمراسات فلم يخبرهم بشيء، وفي تلك الأوضاع وقع تبادل إطلاق النار بين الثوار و أعوان الجيش الفرنسي، فاضطرب الوضع وأطلق الحارس النار على شارل دي فوكو فأرداه

¹- اسماعيل العربي، المرجع السابق، صص 114- 115.

²- Dominique Casajus, René Bazin et Charles de Foucauld : un rendez-vous manqué ? impacts, Revue de l'université catholique de l'ouest, l'harmattan, archives- ouvertes ,2000.

الفصل الثالث==نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

قتيلاً، وقد تأثر الأمينوكال موسى لوفاته تأثراً كبيراً، حيث قال في رسالة له لأخت شارل دي فوكو: "عندما علمت بوفاة صديقنا أخيك شارل، أظلمت الدنيا في عيني وبكيت كثيراً....."¹.

مؤلفاته:

ترك شارل دوفوكو مؤلفات عديدة منها: كتاب بعنوان " نحو لغة تيفيناغ " وقاموس فرنسي طارقي، كما ترك نصوصاً طارقية مترجمة إلى الفرنسية تشكل مجلدين من الشعر والنثر للطوارق².

خلاصة القول فإن عمل شارل دوفوكو في الصحراء الجزائرية لم يخرج عن إطار المخطط الفرنسي الصليبي الرامي إلى إخراج سكان الصحراء من ديانتهم الإسلامية، لقد عمل أكثر من عشر سنين ما بين بني عباس وتمنراست وما بينهما تحت رعاية المجرم صديقه لابيرين، حيث عمل كل ما في وسعه من مكر وخداع ليضلّ الجزائريين، ولم ينج منه حتى الصغار، كان يسابق الزمن ليحقق هدف فرنسا والكنيسة معاً، حيث قال في رسالة وجهها من تمنراست إلى أحد أصدقائه في باريس سنة 1912م: "إننا إن لم ننصر الجزائريين في مدى خمسين سنة فستكون روح قومية أساسها الإسلام لطرد فرنسا من إمبراطوريتها"³.

وعن تجربته في الصحراء يقول في كتابه "كتابات روحية": " لم اسمح للشيطان بأن يجربني في الصحراء إلا لأجلكم وحباً بكم وتثقيفاً لكم لكي تعلموا

1- أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص 85.

2- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 116.

3- أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص 86.

الفصل الثالث—نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية

أولاً أن الإنسان يجرب في الصحراء أكثر مما في سواها، فلا يفاجأ المنزلون في الوحدة حباً بي، أو تُضعف همّهم كثرة التجارب ولكي تروا بعد ذلك أن التجربة ليست خطيئة لأنني أنا ذاتي جُربت و جُربت بأشياء بشعة وعليه فلا يجب أن تحزنوا أو تخور عزيمتكم عند ما تجربون ولا أن تحتقروا إخوانكم أو تؤنّبوهم عندما يكونون في تجربة.....¹

وعن الصحراء يقول: ".....وفي الصحراء الجزائرية البالغة سبع أو ثماني مرات مساحة فرنسا والآهلة أكثر مما كان يُظن في الماضي لا يوجد إلا إثنا عشر مرسلًا، وإذ لم يظهر لي شعب متروكاً أكثر من هؤلاء، فقد التمتست ونلت الإذن من مدبر الصحراء الرسولي لكي أقيم بالصحراء الجزائرية، عائشاً في العزلة والحصن والصمت في العمل اليدوي والفقر المقدس وحدي أو بصحبة بعض الإخوة بيسوع، من الكهنة أو العلمانيين، متمثلاً قدر الإمكان حياة يسوع المحبوب الخفية في الناصرةوقد تركزت منذ ثلاث سنين ونصف في بني عباس من الصحراء الجزائرية على الحدود المراكشية ذاتها....."²

عموما فإن شارل دوفوكو يعتبر أكبر مستكشف للصحراء وأخطر المنصرين، وخطورته تكمن في أنه خرّيج المدرسة العسكرية سان سير، يحمل في نفسه شعلة متّقدة من الإيمان، لا يملّ الصعوبات والمتاعب.

¹- شارل دوفوكو، كتابات روحية، ص 103.

²- نفسه، ص152.

الفصل الرابع:

مواجهة سكان الصحراء

السياسة الفرنسية التنصيرية

*المبحث الأول: دور الزوايا والطرق الصوفية

*المبحث الثاني: موقف سكان الصحراء

من النشاط التنصيري

تمهيد:

إن الجهود التي بذلها المنصرون في الصحراء الجزائرية -ونخص بالذكر الكاردينال لافيغري والأب شارل دوفوكو- لتتصير سكان المنطقة تجعلنا نتساءل عن النتائج المحققة، فهي المعيار الذي من خلاله نتعرف على مدى النجاح الذي وصلت إليه السياسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية بزعامة الكاردينال لافيغري والأب شارل دوفوكو.

يمكن القول أن المنصرين استطاعوا كسب السكان وجعلهم يقبلون على التعليم والعلاج وغيره، ولكنهم لم يتمكنوا من كسبهم دينياً بالصورة التي رسموها وكانوا يتوقعونها من قبل، فرغم صبرهم وتفانيهم في العمل التنصيري ورغم ما حصلوا عليه من دعم الكنيسة والسلطات الاستعمارية الفرنسية إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، وهذا ما رأيناه في الفصل السابق.

ومن هنا فإن فشل كل من لافيغري وشارل دوفوكو في تحقيق النتائج المرجوة في الصحراء الجزائرية، يعود أساساً إلى رفض سكان الصحراء لهذا العمل وصمودهم ومواجهتهم له بمختلف الوسائل وعلى جميع الفئات، هذا ما سنحاول استجلاءه وتوضيحه في هذا الفصل من خلال التعرف على رد فعل سكان الصحراء اتجاه العمل التنصيري الموجه لهم، وهذا في مبحثين: الأول خصصناه لمعرفة دور المؤسسات الدينية المتمثلة آنذاك في الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية، والثاني سنخصصه للحديث عن موقف عامة السكان ورد فعلهم اتجاه المنصرين والمتنصرين.

المبحث الأول: دور المؤسسات الدينية في مواجهة العمل التنصيري

1- دور الزوايا والطرق الصوفية:

يعود فشل سياسية التنصير في الصحراء الجزائرية إلى الزوايا التي كانت منتشرة بالمنطقة وتمسك السكان بها، حيث كانت مراكز دينية وثقافية للكبار والصغار، ودور لمعالجة وإسعاف المرضى والمعوزين، وملتقى ذوي الرأي، لحث المواطنين على الجهاد وعدم الولاء للكفار، فجمعت بين الجانب الديني، الثقافي، الاجتماعي، السياسي، لذلك سنتعرف في البداية على مفهوم الزاوية ثم نتعرض بالتفصيل لدورها وأهم أنواعها.

مفهوم الزاوية:

الزاوية لغة:

يشق لفظ " الزاوية" من " زوى، يزوي" الشيء إذا جمعه وضمه، ومنه زوى بمعنى سرّه إذا كتّمه وطواه ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري: " لاتزال جهنم تقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط وعزتك، ويُزوى بعضها إلى بعض"، وقوله صلى الله عليه وسلم: " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض".

يقال أيضا: زواه فانزوى أي نجاه ففتحى، وتزوى الرجل وزوى تزويه وانزوى إذا تنحى إلى ركن من بيت أو مسجد¹، ومن ذلك قول لوط عليه السلام لقومه كما ورد في الآية: " لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد."²

¹- ابن منظور، المرجع السابق، ص1894

²- سورة هود الآية 80.

الفصل الرابع = مواجعة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

والزوّ معناه القدر يقال قضي علينا وقدر وزّي أي كتب علينا، ومن مشتقات اللفظ أيضا: " الزوّ" بمعنى الاقتران والصحبة فيقال: " جاء الرجلان زوّاً" أي مقترنان يصطحب أحدهما الآخر¹.

الزاوية إصطلاحاً:

انطلاقاً من المعنى اللغوي للفظ فإن الزاوية اصطلاحاً من الانزواء والانقطاع للعبادة أو العلم والاجتهاد فيهما، وهي مؤسسة دينية اجتماعية وثقافية لها مهام عديدة، كما أنها مكان لتلقي العلم، يقصده الطلبة من كل مكان، وتعرف كذلك بأنها مؤسسة تربوية روحية يجتمع فيها شيوخ الطريقة ومُرِيدوهم لترديد الأوراد². ويقصد بها كذلك، العكوف على العبادة، وعلى تلقي العلم بعيداً عن دنيا الناس ومشاغلم اليومية، وهي أيضا رباط المجاهد في سبيل الله وحافظ الثغور، واليوم هي مراكز تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي، ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية، وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان وأماكن تخرق في صناديقها ورفوفها ذخائر التراث الإسلامي بآدابه وملاحه التاريخية والوطنية، ثم تطور مفهومها فأصبحت تعني مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها المریدون لذكر الأوراد، إضافة لكونها مأوى لطلبة القرآن والعلم والزوار الذين يقصدونها³.

تتكون الزاوية من بيوت عديدة ومختلفة، فهي تحتوي على قاعة مخصصة للصلاة بها محراب، وضريح لولي من الأولياء الصالحين، كما يوجد بالزاوية مكان لتلاوة القرآن وآخر لتحفيظه مع تخصيص مكان لتدريس العلوم المختلفة

1- ابن منظور، المرجع السابق، ص1894.

2- الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط والزاوية في تاريخ المغرب، ط1، منشورات كلية

الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997، ص97

3- عبد العزيز شهبى، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص13.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

إضافة إلى غرف أخرى خاصة بالطلبة، وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية، فضلاً عن تخصيص غرف للمسافرين وعابري السبيل¹.

من هنا يتضح أن الزوايا ظلت مكاناً يتوافد عليه الطلبة والمتعلمين لتلقي العلوم المختلفة وفي نفس الوقت كانت مأوى لمن لا مأوى له.

نشأة الزوايا بالجزائر وصحرائها خاصة:

ظهرت الزوايا بالمغرب الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري كانت تسمى في بادئ الأمر " دار الكرامة"، مثل التي بناها يعقوب المنصور الموحي أواخر القرن 6هـ، 12م بمراكش، ثم أطلق المرينيون على الزوايا التي بنوها في عهدهم خلال القرن 8هـ، 14م اسم " دار الضيف " منها التي بناها أبو عنان المريني خارج مدينة سلا منتصف القرن 8هـ، 14م، وزاوية سلا قرب مدينة الرباط، على أن مصطلح "الزاوية" ظهر في المغرب حوالي القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، مرادفا للرباط أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي ويعيش وسط تلاميذه ومريديه، ومع ذلك فإن الزاوية ليس في كل الأحوال مرادفة للرباط الذي كان له في بداية الأمر طابع حربي ارتبط بالنشاط العسكري².

والمعروف أن للرباط في تاريخ الإسلام مكانة هامة، إذ هو الثكنة التي تحمي الثغور الإسلامية من أي خطر خارجي كالحملات الصليبية، كان الرباط ملتقى لكل من طلق الدنيا ووقف حياته للعبادة والذكر في هذه الرباطات التي كانوا لا يبرحونها إلا لجهاد في سبيل الله أو محاربة أعداء الإسلام، وقد عرفت

1- سرير ميلود وآخرون، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، ج1، ص29.

2- عبد العزيز شهبوي، المرجع السابق، ص 14.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

سواحل المغرب العربي عدة رباطات بعد أن أصبحت عرضة للغارات والهجومات، ومن هذه الرباطات نذكر: رباط بنزرت، بونة، شرشال وغيرها¹. وقد نشطت حركة الرباطات وازدادت قوتها وأصبحت مراكز ينطلق منها الدعاة لنشر الإسلام في القارة الإفريقية، كما كان يتلقى أصحابها والمرابطون فيها تربية روحية عالية تغرس فيهم مكارم الأخلاق وجميل الخصال، وتعودهم على حب التضحية والفداء في سبيل الواجب والتقاني في خدمته، لهذا كانت الرباطات ملتقى الكثير من رجال العلم والمعرفة والأدب، وفي مقدمتهم المتصوفة الذين وجدوا فيها ما يتمنونه من خلوة واعتكاف وانقطاع للعبادة، وبعد انقضاء زمن الجهاد تحولت بعض تلك الرباطات إلى زوايا، وبمرور الوقت أخذ الرباط مفهوم الزاوية ذات النشاط الديني التربوي والتعليمي².

وفي الجزائر ظهرت الزوايا خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، وازداد عددها مع بداية القرن العاشر هجري، السادس عشر ميلادي بمجئ العثمانيين، واستمرت الزوايا في أداء دورها التربوي والتعليمي خلال فترة الاحتلال الفرنسي وامتد نشاطها إلى ما بعد ذلك³.

وفيما يلي أهم الزوايا التي ظهرت في الجزائر تلك الفترة، منها: زاوية عبد الرحمان الثعالبي، زاوية عبد القادر الجيلالي، زاوية سعيد قدورة، زاوية سيدي عبد القادر الجزائري، زاوية القاضي المالكي، في مدينة الجزائر، زاوية ابن علي مبارك بالقليعة، زاوية المربوسي بالأربعاء، زاوية البركاني قرب شرشال وغيرها⁴. كما عرفت منطقة القبائل انتشار كبير للزوايا منها زاوية تيزي راشد، زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية، زاوية الأزهري بآيت اسماعيل، زاوية ابن علي

¹ - صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، بيروت، 2002، ص 322.

² - نفسه، ص 324.

³ - عبد العزيز شهيبي، المرجع السابق، ص 17.

⁴ - نفسه، ص 19.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

الشريف بأقبو، الزاوية الزروقية، زاوية أحمد بن يوسف، وفي مدينة قسنطينة ظهرت زوايا عديدة منها: زاوية سيدي الكتاني، زاوية سيدي مخلوف، زاوية سيدي راشد، الزاوية الملارية، وغيرها، وفي وهران اشتهرت زاوية محمد الهواري، زاوية ابراهيم التازي، زاوية عبد القادر بن الشريف، زاوية القيطنة بمعسكر، زاوية مازونة، وفي تلمسان نشأت زاوية سيدي الطيب الوزاني "الزاوية الطيبية"، زاوية سيدي بومدين، زاوية محمد السنوسي، زاوية عين الحوت، وغيرها¹.

أما في صحراء الجزائر الشاسعة، فقد عرفت عدد لا بأس به من الزوايا التي لعبت دوراً بالغ الأهمية، فهي وإن اختلفت مواقعها وتباعدت أماكنها، فقد توحدت أهدافها وغاياتها المتمثلة في نشر الإسلام والحفاظ على اللغة العربية، ومواجهة حملات التنصير ليس في الصحراء فقط بل تعداه للمناطق المجاورة جنوب الصحراء، كونت العلماء والفقهاء وحفظة القرآن، وقد حظيت هذه الزوايا في أوساط سكان الجنوب بكل احترام وتقدير، وزاد نفوذها الروحي وقويت شوكتها بفضل ما عرف عن شيوخها من العلم والورع والاستقامة والصلاح، ولما اشتهروا به من حب الوطن واستماتة في الدفاع عنه²، وهي كثيرة نقتصر على ذكر أمثلة منها:

في الجنوب الشرقي توجد الزاوية الناصرية والزاوية الرحمانية بخنقة سيدي ناجي³، وزاوية سيدي علي بن عمر بطولقة، والزاوية المختارية بأولاد جلال، وزاوية سيدي سالم بوادي سوف والزاوية التيجانية بعين ماضي وتيماسين، زاوية أولاد عمر موسى بمتليلي، زاوية سيدي الحاج يحي بالمنيعة، زاوية الصادق بن رمضان ببسكرة⁴، أما الجنوب الغربي فمن أهم زواياه، زاوية سيدي أحمد بن

1- عبد العزيز شهيبي، المرجع السابق، ص20.

2- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 529.

3- عبد العزيز شهيبي، المرجع السابق، ص 21.

4- عباس كحول، زوايا الزيبان العزوزية، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، بسكرة، 2003، ص20.

الفصل الرابع = مواجأة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

موسى بكرزاز، زاوية الشيخ محمد بلكبير بأدرار¹، زاوية سيدي عبد الله بن طمطم بأوقروت في أدرار².

أنواع الزوايا:

1-زوايا علمية:

وهي الزوايا التي تقوم بعملية التعليم، وقد استطاعت تحقيق هدفها بسبب نظام التدريس المتبع فيها، حيث كانت تفتح أبوابها للمتعلمين يومياً من صلاة الصبح إلى الزوال، ومن بعد صلاة الظهر إلى ما بعد صلاة العصر، ومن بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء مع تخصيص وقت الاستراحة بين الفترة والأخرى، ويستمر هذا النظام يومياً عدا الخميس والجمعة³.

فالفترة الصباحية مخصصة لكتابة ألواح الطلبة وتصحيحها من قبل المعلم، ثم تمرين الطلبة على قراءة اللوح من خلال ترتيل ما هو مكتوب فيها أكثر من مرة، في حين خُصت الفترة المسائية لحفظ اللوح على المعلم، أما الفترة الليلية فاقتصر على قراءة حزين من القرآن الكريم وشيئاً من متون العقيدة⁴.

وقد ساعد هذا النظام على تخرج العديد من الطلبة ممن حفظوا القرآن الكريم، كما ساهم في تعليم الأميين وحفظهم للقرآن الكريم من خلال المواظبة على قراءة الحزب اليومي، أما باقي العلوم الأخرى من فقه ونحو وصرف، فقد كان الطالب يدرسها بعد استكمالها لحفظ القرآن في المرحلة الأولى، وبعد ذلك ينتقل الطالب لدراسة علم الحديث والتفسير ثم يتخرج من الزاوية بعد أن يستوفي علوم الشريعة والعلوم اللسانية⁵.

1- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص21.

2- أوقروت أو أوكرت، نحو 14 قصر معظمها على الضفة اليسرى لوادي مقيدن، أنظر: مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص70.

3- عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الطباعة العصرية، 2010، ص 48.

4- سرير ميلود وآخرون، المرجع السابق، ص34.

5- عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 49.

2- زوايا الإطعام:

هي زوايا خيرية في الأصل تختص بتقديم الطعام للضيوف والفقراء والمساكين وعابري السبيل، كما تهتم باليتامى وتقدم المساعدات لهم وللفقراء، واعتبرت مكان للإيواء والإصلاح بين المتنازعين، وفي كثير من الأحيان نجد الزوايا العلمية تهتم بالإطعام، فتؤدي دورين الإطعام والتعليم في نفس الوقت¹.

3- الزوايا الصوفية:

ظهرت الزوايا الصوفية منذ القرن 15م، أهمها الزاوية القادرية، الزاوية الكرزانية (الموساوية)².

موارد الزوايا:

اختلفت موارد الزوايا من منطقة لأخرى حسب أهميتها ودورها في الصحراء الجزائرية، ففي منطقة توات مثلا كان الطلبة الذين يأتون من هنا وهناك لتلقي العلم يحضرون معهم مؤونتهم من القمح والشعير والتمر ما يكفيهم لبعض الوقت إلى أن يأتيه بعد ذلك مدد آخر من المؤونة من أسرته، وهكذا معيشة الطالب حتى نهاية المرحلة الدراسية، وفي نفس الوقت كان على ولي أمر كل طالب أن يدفع مصاريف تعليم ابنه لفقير الزاوية، أما بالنسبة للطلبة الفقراء فكانت تعطى لهم منح دراسية من عائدات الأملاك الموقوفة، أما في المناطق الشمالية من الجزائر فكانت الزاوية تعتمد في تمويلها على التبرعات التي تتلقاها من السكان، وعلى الزكاة والأوقاف التي يوقفها أهل البر والإحسان، والتي تزود الزوايا بالمواد والأموال اللازمة لاحتياجاتها المختلفة، كالتغذية والإنارة والتأثيث والإنفاق على الطلبة هذا بالإضافة إلى عائدات الزيارات

¹- سرير ميلود وآخرون، المرجع السابق، ص 35.

²- نفسه.

الفصل الرابع = مواجعة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

والوعود والهدايا التي يقدمها الأتباع والمريدون على شكل نقود وبضائع ومواد غذائية وألبسة¹.

نظام تسيير الزوايا:

تُشرف على تسيير الزاوية أطراف عديدة نذكر منها:

-**الشيخ:** وهو المكلف بالتدريس والإمامة، فضلاً عن تسيير أمور الزاوية ومراقبتها، وهو المسؤول المباشر عليها وصاحب الحل والعقد فيها².

-**هيئة التدريس:** وهم المهتمين بمساعدة الشيخ في عملية التدريس، يختارهم شيخ الزاوية من أهل التقى والصلاح ومشهود لهم بالأخلاق الفاضلة، حافظاً للقرآن الكريم، معروفاً بأداء الصلوات في أوقاتها.

-**هيئة المتعلمين:** ويقصد بهم الطلبة الذين يدرسون في الزوايا زيادة على القادمين للزاوية بهدف الاستماع للدروس، يتخرج الطالب من الزاوية بعد ختمه للقرآن وتعلمه القراءة والكتابة وقواعد الدين وأوليات الحساب، كما يربى الطالب على التقاني في طلب العلم والزهد في العيش وحب النظام والتزام الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن³.

-**هيئة الخدمات:** وهي الهيئة المشكلة من العاملين في الزاوية المختصين بخدمتها.

-**لجنة المسجد:** وهي اللجنة المهمة بتأثير المسجد وجمع التبرعات⁴.

1- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص52.

2- نفسه، ص 58.

3- نفسه، ص ص 59، 60.

4- سريير ميلود وآخرون، المرجع السابق، ص33.

نظام التعليم بالزوايا:

كانت الزوايا مفتوحة لكل الطلاب الراغبين في العلم، سواء كان الطالب فقيراً أو غنياً، ومن عادة الطلبة أنهم يقصدون الزوايا البعيدة التي اشتهرت وذاع صيتها ليتفرغ لطلب العلم، وعندما يلتحق الطالب بمكان الدرس للمرة الأولى يجد الشيوخ المدرسين وحولهم الطلاب في حلقات تامة أو نصف دائرية، وكل مدرس يهتم بحلقة معينة ويتناول مسألة أو كتاباً معيناً يدرس فيه، وبالتدرج ترتبط علاقة وطيدة بين الطالب والشيخ المدرس الذي ينصح طلبته دائماً بكيفية القراءة والكتب التي يتوجب عليهم دراستها، فضلاً عن طريقة تحضير الدرس والتمتون التي عليه حفظها وكل ما له علاقة ببرنامج التدريس، وأقصى ما كان يطمح إليه الطالب المجتهد والطموح هو حصوله على إجازة مكتوبة أو شفوية من شيخه، والتي تعني تسريح الطالب ورضى شيخه عنه بأن يتولى تدريس علمه لمن يشاء وأنه مؤهل لحمل هذه الأمانة العلمية من بعده أو نيابة عنه وتكفي شهادة الشيخ في المجالس بنجابه طالب معين حتى يصبح عالماً في تلك الناحية¹.

وتجدر الإشارة إلى أن التعليم في بعض الزوايا كان متدرجاً على ثلاث مراحل هي:

* مرحلة المبتدئين، التي يدرس فيها الطلبة القواعد النحوية وكتب الأجرومية وملحقة الإعراب، وفي مادة الفقه الإسلامي يدرسون كتب ابن عاشر ورسالة ابن أبي زيد القيرواني إضافة إلى بعض الكتب في التوحيد والبلاغة والأدب.

* مرحلة المتوسطين، وفيها كان الطلبة يدرسون القواعد وكتاب الشيخ خليل في الفقه المالكي، وهذا بعد حفظ القرآن كله حفظاً جيداً.

¹ - عبد العزيز شهبوي، المرجع السابق، ص ص 64-69.

الفصل الرابع = مواجعة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

* مرحلة المنتهين، وفيها يدرس الطلبة تفسير القرآن والحديث والفقہ والقواعد، إضافة إلى دراسة التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، والمنطق والحساب وحتى علم الفلك¹.

والواقع أن معظم الزوايا العلمية لم يكن لها نظام تعليمي موحد سواء من حيث المناهج والكتب التعليمية والمواد الدراسية وحتى سنوات الدراسة ومراحلها أو من حيث أعمار الطلاب ومستواهم العلمي، كان الطلبة يتابعون الدراسة لعدد من السنين قد تقصر وقد تطول، يدرسون خلالها مواد مختلفة تتمثل في العلوم الدينية كتفسير القرآن الكريم والقراءات والحديث الشريف فضلا عن أصول الفقه والتوحيد، والعلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والأدب والخط، هذا إلى جانب علوم أخرى كعلم الفلك والحساب².

دور الزوايا في محاربة التنصير بالصحراء:

كان للزوايا أدوار كبيرة في محاربة التنصير نذكر منها:

1- التركيز على نشر الثقافة العربية والإسلامية والحفاظ عليها، إلى جانب تعليم العلوم الشرعية والعلوم الأخرى كالنحو وطقه اللغة، وبهذا تصدت للاستعمار وقاومت الحملات التنصيرية عن طريق فتح أبوابها لتعليم الصغار والكبار وكل الفئات الاجتماعية، حيث كانت الزوايا مدارس للتربية والتعليم وتهيئة النشأ للمعاهد الإسلامية العليا حيث يتخرج منها علماء وأئمة ينتشرون في مختلف المدن والقرى والأرياف معلمين وهداة ومرشدين دينيين، إذ كان التحاق الطلبة بالمعاهد العليا لدراسة العلوم الدينية أيام الاحتلال لا يتم إلا بعد الدراسة في الزاوية التي تؤهلهم لذلك، فيتخرجون أعلام فكر ودعاة إصلاح وعلماء بلاغة وبيان لأجل خدمة أمتهم وإعلاء شأنها بين الأمم³، فالزوايا كانت مدرسة ابتدائية

1- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 69.

2- نفسه، ص 70.

3- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 326.

الفصل الرابع = مواجعة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

وثانوية ومعاهد علمية في آن واحد، وفي هذا يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله عن الزاوية الناصرية بخنفة سيدي ناجي أنها: " أشعت على الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين أو يزيد وكانت مؤئل علماء الزاب والصحراء والأوراس وقسنطينة وزواوة، بل حتى تونس وطرابلس أيضا"¹.

2-المساهمة الفعالة في مساعدة الفقراء والمعوزين والأيتام وأبناء السبيل، إضافة إلى تقديم المساعدة في الأعراس وتنظيمها، وفي كثير من الأحيان عملت الزوايا على تقوية العلاقة بين أفراد المجتمع من خلال إصلاح ذات البين، فضلاً عن تعبئة أفراد المجتمع للجهد والمقاومة ضد الاستعمار والمنصرين²، مثل الزاوية الزيانية بالقنادسة وزاوية سيدي أحمد بن موسى بكرزاز وزاوية سيدي عمر بن محمد صالح الأنصاري نواحي الأغواط وغيرها³.

3- كانت الزوايا حصناً من حصون الثقافة الإسلامية ومنهلاً للغة العربية ومدرسة للتربية الدينية والوطنية ومعقلاً للمجاهدين والأحرار الذين رفضوا وجود الاحتلال، وما حمل معه من فساد وتدمير للوطن وللشخصية العربية الإسلامية، كانت هذه الزوايا عبارة عن روافد تمد المدارس وتزود الجامعات والمعاهد الإسلامية في المغرب والمشرق بطلبتها النجباء كالجامع الأخضر بقسنطينة وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب الأقصى والجامع الأزهر بمصر، إذ أن أغلب هؤلاء الطلبة الذين كانت تحتضنهم هذه المعاهد والجامعات الإسلامية هم في الأصل أبناء الزوايا والكتاتيب القرآنية التي بعثت فيهم الروح العلمية الإسلامية والغيرة الوطنية، وفي زوايا العلم والقرآن والكتاتيب نشأ وترعرع المصلحون والمجاهدون الأولون أمثال الأمير عبد القادر والشيخ الحداد والشيخ بوعمامة والشيخ عبد الحميد ابن باديس والشيخ البشير

¹ عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 48.

² عباس كحول، المرجع السابق، ص 20.

³ صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 530.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

الإبراهيمي، الشيخ العربي التبسي، امبارك المليي، الفضيل الورتلاني، وغيرهم كثير¹.

فالزوايا لها دور كبير في حماية العقيدة الإسلامية من الحملات التنصيرية، وفي الحفاظ على القرآن الكريم وبقاء قيمه ومفاهيمه نظيفة خالصة رغم الثقافة الاستعمارية التي سادت مختلف مناطق البلاد، وحاولت إثارة الشبهات حول الدين الإسلامي للقضاء عليه أو زعزعته، لهذا فإن مؤسسوا الزوايا ومعلميها أصحاب رسالة ولهم وزن عند الناس لأنهم صانعو أجيال، احتفظ التاريخ في صفحاته المشرقة بأسماء كثير منهم، والكثير منهم لم يقتصر عمله في التعليم والدراسة فقط، إنما هاجروا حلقات الدرس إلى جبهات القتال دفاعاً عن الإسلام والمسلمين².

ففي منطقة الهقار وتيديكت انتشرت الزوايا انتشاراً كبيراً، قامت بدور عظيم في الحفاظ على شخصية هذا الشعب وحماية انتمائه الإسلامي، ووقفت سداً منيعاً في وجه الحملات التنصيرية التي عرفتها المنطقة مستغلة فقر سكانها لإغرائهم بثتى الوسائل، لكنهم بفضل هذه الزوايا ظلوا متمسكين بعقيدتهم الإسلامية ومتشبثين بها³.

2- الطرق الصوفية:

التصوف لغة:

جاء في المعجم الوسيط⁴: من الناس من يتبع طريقة التصوف والعارف به سمي كذلك نسبة للباس الصوف تقشفاً، وفي قاموس الوافي⁵: تشتق كلمة

1- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص8.

2- عباس كحول، المرجع السابق، ص 18.

3- صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 530.

4- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ط2، د.دن، 1972، ص554.

5- شهاب الدين أبو عمرو، القاموس الوافي، مر: يوسف البقاعي، ط1، دار الفكر، بيروت، 2003، ص708.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

"تصوف" من فعل "صوف" جعله صوفياً، وتصوف صار صوفياً، أي تخلّق بأخلاق الصوفية، والصوفية فئة من المتعبدين وأحدهم الصوفي، ومصطلح صوفي يشير إلى مجموعة من النساك والروحانيين الذين اشتغلوا بالتصوف.

التصوف اصطلاحاً:

يقصد به التقرب إلى الله بعبادته والابتعاد عن ملذات الدنيا، وهو الانتهاء بالنفس والأخلاق الإنسانية إلى درجة الفناء في الحضور الإلهي¹.

وحسب ابن خلدون²: "التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة.....".

ويربط الجنيد التصوف بصفاء القلب والانسلاخ من الصفات البشرية والوفاء لله في الحقيقة وإتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الشريعة³.

ويرى الإمام جلال الدين السيوطي أن التصوف هو ملازمة الطاعات وترك النواهي والمخالفات، وعدم التطلع إلى الملذات والشهوات والشبهات، والاعتماد على الله في كل الحالات⁴.

ومهما يكن فإن التصوف هو منهج سلوكي يقوم على أساس قواعد روحية نفسية تجعل القلب صافياً جلياً، والطريقة هي الإطار الذي يضم التصوف كظاهرة اجتماعية، وبتعبير آخر هي الأسلوب الخاص الذي يعيش الصوفي بمقتضاه ضمن جماعات الصوفية تحت إشراف أحد كبار المشايخ تتشكل من

1- عزيز بطران، "الشيخ المختار الكنتي ودوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب إفريقيا"، مجلة البحوث التاريخية، ع/2، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ص323.

2- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط2، دار صادر، بيروت، 2005، ص 357.

3- محمد بن الكبير حسوني، اللبانة الرمزية لمريد المناقب المعزية، مطبعة الريان، الجزائر، 2007، ص101.

4- Kalabadh, Traité de soufisme, Editions Sindbad, Paris, 1981, p29.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

الشيخ العالم المرابي وبيعة إلى جانب المرید¹ الذي يعتبر تلميذا سالكا في طريقة التصوف بإشراف شيخه.

على هذا الأساس ظهرت طرق صوفية عديدة منذ القرن 6هـ - 12م، وأخذت في الانتشار مع مرور الوقت حتى أصبح لكل طريقة أتباع ومريدون في مختلف أنحاء العالم²، أما في الجزائر قد انتشرت فيها الطرق الصوفية على نطاق واسع منذ نهاية القرن 18م، ومن الطرق الصوفية التي عرفتها الجزائر نذكر:

الطريقة القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (471هـ - 561هـ)، الشاذلية التي أسسها أبو الحسن الشاذلي، إضافة إلى الرحمانية التي تنسب للشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري الزواوي الجرجري (ت 208هـ - 1793م)، وطرق أخرى كالسنوسية والتيجانية، وغيرها من الطرق وفروعها المنتشرة في مختلف مناطق الجزائر شرقا وغربا، شمالا و جنوبا.

ومنذ دخول الطرق الصوفية للصحراء الجزائرية أصبحت الحياة الروحية فيها تقوم على نشاط هذه الطرق التي قادها مشايخ أجلاء حملوا على عاتقهم مهمة نشر الإسلام وتعاليمه الصحيحة، ومنها:

* **الطريقة القادرية:** نسبة إلى الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني المولود سنة 471هـ - 1077م، انتشرت بمناطق عديدة من الصحراء الجزائرية³، تعتمد على الأخلاق والصبر والإتقان والصدق ونكر الله والخوف منه والابتعاد عن شؤون الدنيا، تعتبر بمثابة القاعدة لمختلف الطرق التي جاءت بعدها، ويعتبر شعيب بن حسين الأندلسي، المعروف بأبي مدين شعيب (ت 594هـ - 1197م) هو الذي نشر الطريقة القادرية بالمغرب والأندلس، وفي القرن 19م

1- المرید هو كل من ينظم إلى الطريقة الصوفية.

2- عباس كحول، المرجع السابق، ص 38.

3- عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 229.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

كانت الطريقة القادرية في الجزائر سباقة في محاربة الاحتلال الفرنسي بزعامة الحاج محي الدين والد الأمير عبد القادر¹، ومن الزوايا القادرية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر نذكر: زاوية بوتليليس بوهران، زاوية سي الأحول عبد القادر بوادي الخير بين مستغانم وغيليزان، زاوية الهاشمي بن ابراهيم بواد سوف، زاوية الحسين بن ابراهيم بقمار، زاوية محمد الطيب بن ابراهيم بالرويسات نواحي ورقلة التي أصبحت مركزا للقادرية لاحقا².

* **الطريقة الشاذلية:** نسبة إلى أبو الحسن الشاذلي (593هـ-1196م)، ولد بالمغرب، وتلمذ على الشيخ عبد السلام بن مشيش، أقام بقرية شاذلة بتونس ونشر تعاليمه قبل انتقاله للمشرق، كانت له طريقة خاصة في التصوف عن طريق ممارسة الأخلاق والفضيلة والتوحيد، تقوم الشاذلية على الرحلة الفكرية والتأمل المستمر في وحدانية الله، وعلى الهيمنة في أرض الله بحثا عن التطهر والتسامي وإهمال الذات وقمعها في سبيل الله وعلى القيام بالصلوات والواجبات الشرعية في كل وقت وفي كل مكان، وفي كل الظروف لكي يعيش المرید في وحدة دائمة مع الله، تفرعت الشاذلية إلى فروع عديدة منها: الموساوية (الكرزانية)، الشيخية، الطيبية، الزيانية، الصادقية، الزروقية، العيساوية، العليوية، وغيرها³.

* **الطريقة التيجانية:** نسبة إلى الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المولود سنة 1150هـ - 1737م بعين ماضي قرب مدينة الأغواط، بعدما تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه انتقل إلى فاس، فأخذ ورد الطريقة والناصرية والطيبية وبعد عودته إلى الجزائر استقر بالأبيض ثم تلمسان، ثم انتقل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فأخذ في طريقه الطريقة الرحمانية عن

1- عبد العزيز شهبوي، المرجع السابق، ص 102.

2- عباس كحول، المرجع السابق، ص 49.

3- عبد العزيز شهبوي، المرجع السابق، ص 107.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

عبد الرحمان الجرجري الأزهري، وأخذ في مصر الطريقة الخلوتية وفي المدينة المنورة الطريقة الشاذلية ثم توقف في تونس ليعود إلى تلمسان وينعزل في بوسمغون ومنها أخذ في نشر طريقته، ثم انتقل إلى فاس سنة 1795م أين توفي سنة 1814م، فأخذت طريقته في الانتشار بإقامة الزوايا وتعيين المقدمين، وهي منتشرة بالصحراء الشرقية خاصة ورقلة، الأغواط وعين صالح¹، تميزت بتعاليمها البسيطة ومذهبها الواضح الذي كان قريب من التفكير العامي السائد آنذاك، كان لها أهمية اجتماعية وسياسية خاصة في عهد الاستعمار، انتشرت عن طريق القوافل التجارية التي كانت تنتقل بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب².

* **الطريقة السنوسية:** نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي المولود سنة 1208هـ - 1787م، بمنطقة قرب مستغانم، درس علوم التصوف والفقهاء والحديث والأنساب والتراجم والفلك والمناظرة، تنقل بين بلدان المغرب، وتلمذ على المشايخ القرويين، توجه سنة 1829م إلى الحج، استقر بليبيا سنة 1843م، وأسس عدة زوايا منها الزاوية البيضاء بالجبل الأخضر، زاوية برقة وزاوية بنغازي، كما أسس زوايا أخرى بتونس والجزائر، والصحراء عموما، انتشرت بالصحراء الجزائرية الشرقية والوسطى³، خاصة بلاد الطوارق، ورقلة، واد ميزاب، الأغواط، الزيبان، وكذلك بتوات⁴، توفي عام 1276هـ - 1859م بليبيا.

1- عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيات جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص203.

2- عبد العزيز شهبوي، المرجع السابق، ص137..

3- صالح بن القبي، الديبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم، ANEP، الجزائر، ص121.

4- عبد العزيز شهبوي، المرجع السابق، ص133.

دور الطرق الصوفية في مواجهة التنصير:

استطاعت الطرق الصوفية التي انتشرت بالصحراء الجزائرية أن تنشر الإسلام الصحيح بالمنطقة خاصة بعد ما عقلت به الشوائب وكثرت البدع والانحرافات في الفترة الاستعمارية، وذلك من خلال حلقات الذكر وتأسيس الزوايا التي أصبحت مراكز دينية لنشر الإسلام مثل زاوية الشيخ محمد بلكبير في أدرار، وقد تخرج من هذه الزوايا الصوفية طلبة كثيرون واصلوا هم أيضاً مهمتهم السامية في نشر الإسلام الصحيح ومحاربة الأمية¹.

ساهمت الطرق الصوفية بشكل فعال في تربية الأطفال تربية دينية سليمة تحميهم من الانحرافات والمزالق، وساهمت في نشر الأخلاق الحميدة المستمدة من مناهج الإسلام وتعاليمه السمحة، كما كانت لها أهداف نبيلة أكسبتها بعداً اجتماعياً وإنسانياً، فقد جمعت فئات المجتمع المختلفة ووحدت بينها وبثت فيها قيم التضامن والتسامح وحب الخير ويتجلى ذلك في اهتمامها باليتامى ورعاية شؤونهم ومساعدة الفقراء والمحتاجين في الأعراس ومتطلبات الحياة اليومية، كما أشرفت في كثير من الأحيان على القيام بالختان الجماعي للأطفال المحتاجين².

تمكنت الطرق الصوفية من خلال زواياها من الحفاظ على التراث الإسلامي وحمائته، كما أكدت حضورها القوي في مواجهة الاستعمار وحركات التنصير، إذ نجد معظم المقاومات التي كانت ضد الاحتلال، تنتمي إلى الطرق الصوفية التي كانت تدعو للجهاد، وفي هذا يقول أحد الباحثين الفرنسيين: "إن كل سكان الجزائر كانوا ينتمون إلى الطرق الصوفية وهم بذلك يشكلون جيشاً صلباً متدرباً بمهارة، مستعداً دائماً للدفاع عن البلاد ضد الأوربيين"³.

1- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص110.

2- عبد العزيز شهبى، المرجع السابق، ص100.

3- عباس كحول، المرجع السابق، ص55

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

فكثيرا ما كانت الطرق الصوفية تخيف جيش الاحتلال مثل ما كان عليه الحال بالنسبة للطريقة التيجانية وهجومها على مدينة معسكر وتمردها في عين ماضي، والطريقة القادرية ممثلة في الحاج محي الدين وابنه الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، وفي الجنوب الغربي نجد الطريقة الشيخية التي لعبت دوراً هاماً في مقاومة الاحتلال والتنصير ممثلة في مقاومة الشيخ بوعمامة التي وصلت إلى غاية منطقة قورارة بتيميمون¹.

وفي الصحراء الشرقية فإن الطريقة السنوسية كانت بالمرصاد لنشاط لافيغري، وشارل دوفوكو في تمنراست، ذلك أن أكثر المنتصرين نبذوا دينهم والتحقوا بزوايا السنوسية حيث كانت تشتري العبيد وتوزعهم على الزوايا، وبعد تفقيهم تشترط عليهم الرجوع إلى بلادهم لنشر الدعوة الإسلامية والذين لم يبلغوا هذا المستوى تشترط عليهم إحياء الأرض بزرعها وغرسها بالنخيل، فالطريقة السنوسية كان لها دورا رياديا في حماية الإسلام بالصحراء ومقاومة الغزو الروحي الديني الذي تزعمه لافيغري وشارل دوفوكو بالمنطقة، وذلك راجع لكون الطريقة السنوسية خالية من الغموض والأسرار والتعاليم المعقدة التي يصعب على المفكر الوصول إلى حقيقتها، فهي تقوم على حكمة علمية أساسها الأخوة والتعاون العملي، والسنوسيين في جميع أطوار تاريخهم كانوا حريصين على القيام بالصالح للعالم الإسلامي خصوصا في مجاهل الصحراء، حيث كانت الزوايا التابعة للطريقة السنوسية تدرّب الأتباع على الفروسية والأعمال الحربية كالرماية واستخدام الأسلحة، كما تعلمهم بعض الحرف كالزراعة وبعض الصناعات، فكانت في آن واحد مراكز ثقافية وثكنات حربية².

1- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 110.

2- أنور الجندي، الاستعمار والإسلام، دار الأنصار، ص 261.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

وفي هذا الإطار يقول شكيب أرسلان في قصيدة له عن الطريقة السنوسية:

لا يُرَى العِلْمُ في سِوَى العَمَلِ الصَّالِحِ فَالعَالِمُ آلةٌ وَوَعَاءُ

فَلِهَذَا نَرَى الطَّرِيقَ السَّنُوسِيَّ عَلَى الفِعْلِ قَامَ مِنْهُ البِنَاءُ

بَاتَ فِعْلاً هَدْيٌ مُرِيدَ السَّنُوسِيَّ وَأَنْ لَيْسَ بِالكَلَامِ اِكْتِفَاءُ

عَالِمٌ لِذَلِكَ فِيهِمْ تَتَبَّارَى العُقُولُ وَالْأَعْضَاءُ

تَوَلَّى بِالكَفِّ سَكَّةَ حَرْثٍ حَبَرَ عِلْمٍ حَظَّتْ بِهِ الفُقَرَاءُ

زَوَايَا فِي كُلِّ غُورٍ وَنَجْدٍ لَيْسَ يَسْتَطِيعُ حَضْرَهَا الإِحْصَاءُ¹

والطريقة السنوسية قامت على أساس فكرة جوهرية² وهي تحرير العالم الإسلامي من الحكم الاستعماري، وهذا التحرير يتطلب إعداداً روحياً وأخلاقياً، وتطبيق التقاليد الإسلامية الصحيحة على أساس من القرآن والسنة، وقد أدى هذا ثمرته في محاربة التنصير³، فمصير شارل دوفوكو كان على يد أتباع الطريقة السنوسية بتمنراست.

أما لافيغري فكان موقفه من هذه الطريقة في ما كتبه للبابا ليون العاشر قائلاً: "إن المسلمين بأوروبا وآسيا لازالوا في سباتهم العميق، أما في قارتنا الإفريقية فإنهم استيقظوا وأن الطبقة الصاعدة التي فيها الطبقات المتكونة في المدارس المهدوية والسنوسية هي أقوى نشاط وحرارة من الطبقات السابقة، وأن ممالك أوروبا لا تفهم ولا تعرف من هم العرب..... وإنني أرى من واجبي أن ألفت نظركم إلى هذا الخطر الذي غفلت عنه أوروبا، فثقوا بخبرة ربان حنكته التجارب وله دراية بصخور وزوابع البربرية"⁴.

1- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص405.

2- أنور الجندي، الاستعمار والإسلام، ص13

3- نفسه، ص262.

4- يسلي مفران، المرجع السابق، ص 153.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

وفي الكثير من الأحيان كان أتباع الطرق الصوفية يساندون المقاومات الشعبية ضد الاحتلال وحملات التنصير، فقد وقف أتباع الطريقة الشيخية بأدرار إلى جانب الأمير عبد القادر وأبي شوشة والسي قدور بوعمامة، كما ساند أتباع الطريقة الطيبية مقاومة الشريف بومعزة 1848م¹، هذا ما جعل السكان يتشبثون بالطرق الصوفية ويتعلقون بها ويتبعون تعاليمها ومطالبها، إذ كانت تعلن باسم الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين والوطن، وكان أغلب قادة المقاومات الشعبية من المقدمين في الطرق الصوفية، فالأمير عبد القادر كان مبايعا على الطريقة القادرية، ثورة القبائل بقيادة الشريف بوبغلة ولالا فاطمة نسومر كانا مبايعان كذلك على طريقة صوفية، ثورة المقراني والشيخ الحداد 1871م على الطريقة الرحمانية²، وغيرها، وما انتشر أضرحة الأولياء والتظاهرات التي تقام لهم من حين لآخر إلا دليل على مدى تعلق سكان الصحراء الجزائرية بشيوخ الطرق الصوفية وتأثير التصوف في عادات وتقاليد سكان المنطقة.

إضافة إلى ذلك ساهمت الطرق الصوفية في الرد على التنصير والمنصرين بتوعية أفراد المجتمع، وذلك بنقل أخبار التنصير وما ترمي إليه نواياهم وأهدافهم الخفية حيث يقول أحد الكتاب: "لسنا ندفع الباطل بالباطل ولا نرد السيئة بمثلها ولكن نقذف بحقنا على باطلكم فيدمغه، فإذا هو زاهق...."، كما حذرت الأمة من خطر التفرقة بين أبناء الوطن الواحد، خاصة وأن المنصرين يستغلون الفرص لينقضوا على الإسلام، من ذلك ما حدث بين جمعية العلماء المسلمين والطريقة العلوية من أخذ ورد واتهام لبعضهم البعض³.

¹- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص110.

²- عبد الرؤوف قرنا، جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف الدكتور: محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر1، السنة الجامعية، 2014-2015، ص132.

³- نفسه، ص123.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

كما دعوا إلى عدم قطع أخبار المنصرين ولا بد أن تروى لكل فئات المجتمع حتى يكونوا على حذر من الإرساليات التنصيرية، زيادة على ذلك ضرورة حث المسلمين على النهوض وفض الغبار عن أنفسهم وينظروا بعين فاحصة لما يقوم به المنصرون من اجتهاد ومثابرة لنشر رسالتهم، وأكدوا على تنبيه الأولياء والأسر بضرورة تعليم أبنائهم الدين خاصة الذين يبعثون أبناءهم للمدارس الفرنسية، حيث يقول أحد الكتاب: " كثير من المسلمين لا يستحضرون في ذهنهم الأخطار التي تنشأ عن وضع أبنائهم في مدارس المنصرين....."¹.

عموما كانوا يذكرون الناس بمحاسن الإسلام وينبهونهم بكل ما يترتب به، وفي نفس الوقت يحذرونهم من خطر الانحلال خاصة مع ظهور قضية الإدماج والتجنيس وغيرها من المزلقات، فضلا عن تذكيرهم بالنجاحات التي حققتها الإسلام في البلدان الأوروبية، ونقل قصص في هذا الإطار منها مثلا قصة ذلك الشيخ الكبير من أرض مصر والذي بقي ما يزيد على سبعين سنة في النصرانية ثم دخل الإسلام عن قناعة، وأخذ يجلس في دروس العلماء حتى يأخذ عنهم الدين القويم، وكانوا يفرحون بتعليمه آيات من القرآن².

وفي المقابل كان شيوخ الطرق الصوفية يطلعون على تحريفات الكتاب المقدس، ويحاولون نشرها بين الناس حتى يفروا منها، من ذلك قصص الأنبياء الذين وصفهم الكتاب المقدس بأبشع الأوصاف عكس الإسلام الذي حفظ كرامة الأنبياء، وذلك ليدرك الناس أن الإسلام دين حق وأن المعاهد التنصيرية خطر على أبناء المسلمين³.

¹ - عبد الرؤوف قرناوب، المرجع السابق، ص127.

² - نفسه، ص131.

³ - نفسه، ص134.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

مما سبق يتضح أن الزوايا والطرق الصوفية فعلاً تركت بصماتها في صحراء الجزائر ولازالت، حيث استطاعت أن تؤثر كثيراً في المجتمع الصحراوي، وقضت على الكثير من العادات السيئة التي حاول المنصرون غرسها، لكن بفضل جهود العلماء وشيوخ الطرق الصوفية استطاعوا استئصالها بالتدرج، فدورها لم يقتصر على الجانب الديني فقط، إنما تعداه ليشمل مجالات الحياة المختلفة، وفي هذا الصدد يقول توفيق المدني: "لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا الجزائر مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام لهذه البلاد، وعمل رجالها على إرجاع الضالين إلى سواء السبيل وتعليم الناشئين وبث العلم في صدور الرجال ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها والتي نقف أمامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثراً للغة ولا لعلوم الدين"¹.

دور المساجد والكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب أول مكان يلتحق به الأطفال للتعلم وحفظ القرآن الكريم، انتشرت في الحواضر والقرى والقصور بصورة مكثفة، إذ لا يكاد يخلو مكان من وجود للكتاتيب التي تتولى تحفيظ القرآن الكريم وترتيبه²، إضافة إلى دراسة قواعد التلاوة والتجويد وبعض متون العلوم الفقهية والشرعية واللغوية مثل: ابن عاشر وألفية بن مالك³، حيث جرت العادة أن يتعلم الأطفال باللوح فيبدأ كتابة لوح الطفل بداية بالحروف الأبجدية كي يتمكن من معرفتها أولاً، ويحصلها ضبطاً وإثباتاً، وبعد تمكنه من الحروف يتدرج به المدرس في حفظ القرآن الكريم حتى يتمه، فإذا أتمه انتقل به إلى تعلم شيء من المعارف الفقهية

¹- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العمرية، ص375.

²- Eugène Daumas, Grand Désert, Propriétaire- Editeurs, Paris, 1848, p63.

³- Karl Suter, Etude sur la population et l'habitat d'une région du sahara algérien : le touat, p466.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

واللغوية، وعندما يحصل هذه الأمور ينتقل إلى المسجد أو الزاوية ليتوسع أكثر في مجال العلوم الدينية و اللغوية¹، ويتلقى الطلبة كافة علومهم في صحن المسجد، حيث يجلسون في شكل دائرة يتوسطها شيخهم، وكل منهم يحمل لوحته وكتابه، تبدأ الحلقة من صباح كل يوم حتى منتصف النهار، لتستمر الحلقة بعد صلاة العصر إلى حين صلاة المغرب، وهكذا كل أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة والأعياد الدينية².

وقد كان سكان الصحراء ولا زالوا حريصين على إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب وتحفيظهم القرآن الكريم لأنه بالنسبة لهم يمثل الرمز والعنوان لإسلام الجميع والكل يحرصون على أن يظهروا مسلمين³، وأغلب الكتاتيب القرآنية كانت بسيطة المظهر والمبني قليلة الإمكانيات المادية وأصحابها من الطبقة الفقيرة يتعلمون القرآن في هذه الكتاتيب للحصول على لقمة العيش، ورغم مظهرها المزري وفقر أصحابها والوسائل البسيطة التي اعتمدت عليها آنذاك فإن دورها كان هاماً جداً في المحافظة على القرآن الكريم والطابع الإسلامي للجزائر شكلاً ومضموناً، وخاصة محاولاتها لإجهاض سياسية التنصير وحماية الشخصية الإسلامية للجزائر ومقاومة سياسية التجهيل التي كانت تتبعها إدارة الاحتلال في الجزائر⁴.

1- عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 48.

2- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 98.

3- نفسه، ص 102.

4- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 392.

المبحث الثاني: موقف سكان الصحراء الجزائرية من التنصير

إن تمسك سكان الصحراء بالقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، والتفاهم حول الزوايا والطرق الصوفية، جعل المنصرين يفشلون في تحقيق أهدافهم، وكما رأينا فقد اعترف رجال الكنسية أنفسهم بفشلهم، ونجاح المقاومة المعنوية والحصانة الدينية التي كان يتمتع بها سكان الصحراء الجزائرية.

وفي هذا الإطار نورد قصة عن شاهد عيان، تدل على تمسك الجزائريين بدينهم مفادها أن أحد الآباء البيض كان يجوب شوارع إحدى القرى الجزائرية بحثاً عن ضحية ضالة يدخلها إلى الدين فصادف عجوز تبكي، سألها عما بها فأخبرته أنها حائرة على ابنها الذي لم تصلها منه الحوالة المعتاد إرسالها كل شهر لتنفق على أبنائها الصغار، فتظاهر بالحزن والشفقة اتجاهها، فطلب منها أن تذهب معه ليقدم لها بعض المساعدات لأبنائها، ففعلت العجوز تحت وطأة الحاجة، غير أن الأب طلب منها أن تأتي كل يوم أحد لتحضر الصلاة مقابل الحصول على المواد الغذائية لأبنائها، فاضطرت العجوز أن تفعل ذلك لبعض الأسابيع، ثم انقطعت فجأة وبعد أيام قابلها الأب في الشارع فسألها عن انقطاعها، فأجابته صراحة: "لقد بعث لي ابني الحوالة والحمد لله"، فثارت طائفة الأب وقال لها: "إذا لم تستمري في الحضور إلى الصلاة فسوف أجبرك على إرجاع كل ما أخذته من مساعدات حتى الآن...."

فقالت العجوز: "أنا أخذت المساعدة مقابل حضوري صلاتكم، فتعال أنت إلى مسجدنا يوم الجمعة لأرجع لك ما أخذته"، فلم يجد الأب ما يقوله أمامها غير التملل والإحساس بخيبة الأمل¹.

1- بن نعمان أحمد، " الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية"، الأصاله، ع/85-86، السنة التاسعة، شوال، ذو القعدة 1400هـ- سبتمبر، أكتوبر 1980، ص 81.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

فرفض عموم الجزائريين لإقامة المنصرين بينهم ليس لأن ذلك مس بعقيدتهم، فقط إنما لكون الأمر مس بمشاعرهم الوطنية والعرقية، لذلك كثيراً ما كان يتعرض المنصرون للإهانة من طرف الجزائريين واللامبالاة والحذر منهم وحتى معاداتهم، فالمقاومة لم تكن من أجل الخبز إنما هي تعبير عن الرفض التام لتواجد المنصرين، وقد مثلت الصحراء الجزائرية عبر التاريخ الخط الخلفي للدفاع عن الإسلام والقيم الدينية ضد طلائع المنصرين، وذلك لأن الجهود التي بذلها كل من الآباء البيض وشارل دوفوكو بعيداً عن قوات الاحتلال كلها باءت بالفشل الذريع، ولقي عدد من المنصرين حتفهم عندما تجرؤوا وخرجوا من المراكز المحصنة التي تحميها القوات الفرنسية، فليس من عادة سكان الجنوب استهداف المسافرين أو النزلاء عندهم مهما كانت معتقداتهم ولكنهم تخوفوا من عمل هؤلاء المنصرين لأنهم يدعون لغير دين الله¹.

فكثيراً ما كان الجزائريون يقدمون شكاوى لسلطات الاحتلال ضد منصري جمعيات اليسوعيين والآباء البيض، حيث يعترف المنصرون أنفسهم أن إقبال الجزائريين على إرسال أبنائهم للمدارس التنصيرية كان ضعيفاً، حتى أن الأولياء في الكثير من الأحيان كانوا يستأوون من أحاديث المنصرين للتلاميذ عندما تتنافى مع تعاليم العقيدة الإسلامية، وهنا نورد قصة لأخت من أخوات البيض التي عينت لتدريس في إحدى القرى الجزائرية وكان درسها حول الصليب والمسيحية، فأخذت تردد عبارات الأب، الابن وروح القدس.....فلاحظت أنها كلما ذكرت كلمة اسم الله ينفجر الصبيان بالضحك، فاستغربت، وسألت عما يضحك الجميع، فأجابتها تلميذة: قلت يا سيدتي الله وابن الله، فهل يعقل أن

1- جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص143.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

يكون لله أبناء؟، الأمر الذي جعل المدرسة تدرك أنه من المستحيل أن يُغير أبناء هذا الشعب عن دينهم الذي ورثوه بالفطرة¹.

والديانة المسيحية كلها تناقض في تناقض، فالمُنصرون كانوا يدعون أن عيسى المسيح إله ثم يقولون أن هذا الإله ألقى عليه القبض وصلب، فهل يعقل أن إله يلقى عليه القبض ويصلب، ثم قالوا أن: الأب، الابن، روح القدس إله واحد فكيف يمكن حدوث ذلك؟، لهذا لا يمكن لعقل الإنسان أن يتقبل هذه التناقضات، وهو ما التمسّه الجزائريون من المنصرين وجعلهم لا يتقبلون تناقضاتهم وما يدعون إليه².

وعلى العموم فإن المنصرين وجدوا أمامهم عقبة داخل أغلب المجتمع الجزائري لا يمكنهم تخطيها، وهي ذلك التضامن القوي والترابط الذي يصل أفراد العائلة بعضهم ببعض، فأى فرد من العائلة يختار التنصير عليه أن يغادر العائلة أو يطرد بالقوة، واختياره للدين المسيحي، سيجعله يخسر الكثير من هويته ومن تآلفه مع عشيرته ومحيطه³.

ففي منطقة واد ميزاب بغرداية مثلاً يوجد نظام اجتماعي يصعب على المبشرين اختراقه، هو نظام العزّابة، تقوم بكل ما له علاقة بحياة الأمة الدينية والوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع العصاة والمتمردين على الشريعة السمحاء، ومقاومة البدع والخرافات، فضلاً عن تعليم العامة أمر دينهم، فلو اقترف شخصاً جريمة أو تمرد عن العشيرة أو طعن في دين الإسلام، أو ارتكب فاحشة أو شرب خمرًا أو دخاناً أو تعدى على حق غيره أو نحو ذلك، فإنه يعلن به أمام جميع الناس عند صلاة الجماعة بالجامع بأن فلاناً

1- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 416.

2- أبي عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري، في مواجهة التنصير، ط1، مكتبة الإمام مالك، الجزائر، 1429هـ- 2008م، ص51.

3- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص420.

الفصل الرابع = مواجئة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

ابن فلان الفلاني قد ارتكب جريمة كذا وكذا، فهو في براءة المسلمين إلى أن يتوب، فإن تاب فذلك وإن لم يتب تقاطعه المدينة كلها ولا تكلمه ولا تتعامل معه ولا تزوجه وإذا كان تاجرا لا تشتري منه وإذا كان أجيرا لا تستخدمه ولا يدعونه إلى مجالسهم، وإذا دعاهم لا يجيبون ولا يسلمون عليه ولا يردون على سلامه ولا يعينونه إذا حلت به كارثة ولا يقبلون صدقته ولا يغسله العزابة إذا مات ولا يمشي الناس في جنازته، فكيف به إذا ارتد عن دينه وأدخل إلى المسيحية من قبل المشركين؟¹.

والعزابة مشتقة من العزوب، عزب الشيء عنه، بعد وغاب وخفي، والمقصود به هنا العزلة والتصوف والانقطاع إلى العبادة وخدمة المصلحة العامة، وهي هيئة محدودة العدد تمثل خيرة أهل البلد علما وصالحا، تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، تعتبر الهيئة العليا في البلاد على الإطلاق، والهيئة الشرعية الحاكمة القائمة مقام الإمامة العظمى والسلطة المطلقة في كل ما يتعلق بالدين والسياسة من دون أن تستمد ذلك النفوذ من قوة مادية، تصدر أوامرها حسب كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوال المجتهدين في مذهب عبد الله بن إباب².

ومجلس العزابة يتكون غالبا من اثني عشر عضوا، يختار من كل عشيرة في المدينة قدر ما ينوبها من الرجال، ويتحرى في اختيارهم أعلم وأورع وأصلح من في العشيرة، ويختار من بين أعضاء المجلس، شيخ البلد مرجع الفتوى والإمام والمؤذن وناظر الأوقاف ومؤدب الصبيان وغسلة الأموات، كل حسب مؤهلاته وكفاءاته العلمية وقدرته البدنية، ولكل مدينة من المدن السبع بوادي

1- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 111-112.

2- حمو محمد عيسى النوري، ج1، المرجع السابق، ص 155

الفصل الرابع = مواجعة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

ميزاب مجلس للعبابة، ومن المجالس السبع ينتخب المجلس التشريعي الذي يتميز أعضاؤه بالنزاهة والكفاءة العلمية وقوة الشخصية، يحتسبون أعمالهم خالصة لوجه الله الكريم في تقان وأمانة وإخلاص لا يتقاضون أجرا على صلاة أو آذان أو فتوى أو وعظ أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر، ولا يلتمسون إعانة مادية من الشعب ولا يرجون محمدة أو ثناء من أحد¹.

فالعبابة تمثل سلطة الإمام الحاكم وتقوم مقامه في مهامه وواجباته، وتعتبر المهمة الأساسية لجمعية العبابة هي الوظيفة الدينية في المسجد مثل المفتي والإمام والمؤذن وناظر الأوقاف ومؤدب الصبيان وغسلة الأموات، ويعتقد العبابة أنهم كلهم مسؤولون عن هداية العامة وإرشادها ونصحها وتعليمها أمور دينها وتنقيف عقولها، وهم محل احترام أهل المدينة وإجلالهم وإكبارهم، لدينهم وعلمهم وخدمتهم للمدينة وقيامهم بالدين، يختلطون بالعامّة في كل أحوالها ويجتمعون بها دائما في المسجد بعد الصلوات الخمس وفي دروس المسجد، وفي أفراحها وأحزانها، أو أي مناسبات ونشاطات أخرى².

والعبابة هي العمود الفقري لجميع التظاهرات الاجتماعية، يشاركون فيها بحضورهم اليومي ويشرفون عليها، ولا يقتصر دورهم على المشاركة الظاهرية في المناسبات، بل يؤدون دورا أساسيا في وضع نظامها المحكم حتى لا ينحرف المجتمع وراء مظاهر الإسراف والانحلال، ولا ينساق تحت تأثير الغلو وحتى لا يفقد المجتمع أهم مقوم له وهو التوازن بين أفراده والتماسك والتضامن بين جماعته تحت تأثير التصرفات الفردية وطغيان الأنانية، لذا تحرص العبابة على متابعة ومراقبة ما يجري في المناسبات الاجتماعية، فيحددون المهر أو الصداق ونفقات الزفاف والولائم وكيفيات الحفلات حتى لا تظهر المادية

1- حمو محمد عيسى النوري، ج1، ص 155.

2- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 175.

الفصل الرابع = مواجعة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

والمنافسة المظهرية بين العائلات بطريقة تؤثر على المستوى المادي للفقير الذي لا يستطيع مسايرة الأغنياء والأثرياء، كما تقوم العزابة بتنظيم ورعاية جميع الأفراح كالعقيقة وختان الصبيان والأعياد وغيرها، وهذه الحفلات لا تقتصر على الوليمة وتنظيماتها فقط بل تتوج بدرس مفيد للناس يليه أحد العزابة أو أحد العلماء الذين هم عون للعزابة¹.

ومن أعمال العزابة كذلك تجهيز الموتى بتشيع جنازتهم ومواساة ذويهم وتنفيذ وصاياهم وتقسيم تركتهم بين مستحقيها، فضلا عن رعاية شؤون الأيتام والأرامل وضمان كفالتهم، والعزابة هي من تجمع الزكاة من الأغنياء وتوزعها على مستحقيها بطريقة تكفل لهم الحياة الاجتماعية المتوازنة؛ كما تتدخل جماعة العزابة في مراقبة البيع والشراء بالأسواق ومحاربة الانحراف في التعامل التجاري كالغش والتطفيف والاستغلال والاحتكار وكل المظاهر التي نهت الشريعة الإسلامية عنها².

ومن أعمالها أيضا تربية النشء وتعليمهم، حيث يلتحق التلاميذ بالكتاتيب التي يتعلمون فيها القراءة والكتابة وحفظ القرآن وشيء من السيرة النبوية وما تيسر من الأحاديث، زيادة على ذلك التربية الخلقية وكل ما يتعلق بفقهاء الصلاة، وإذا حفظ التلميذ القرآن و استظهره ينتقل إلى دار التلاميذ، وهي تابعة للمسجد وتشرف عليها العزابة كذلك، يدرس فيها التلاميذ العلوم الشرعية من فقه وأصول والتوحيد والتفسير والحديث والميراث وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض وبعض العلوم العقلية كالمنطق والحساب، يقوم بهذه الدروس مدرسون متطوعون دون أجر، ويشترط في تلاميذ الدار حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا وإلا طرد التلميذ من الدار، يقول أحد الكتاب: "كانت هذه المدارس

¹- عبد العزيز شهبى، المرجع السابق، ص180.

²- نفسه، ص ص 182، 183.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

الخيرية الحرة الميزابية في عهد الاستعمار تعوض للتلاميذ طرفي النهار ما لا يجدونه في المدارس الاستعمارية من العربية والدين وحفظ القرآن، تأخذ ساعتين في الصباح وساعتين في المساء، أي قبل دخول التلاميذ لمدارس الاحتلال وبعد خروجهم.¹

ويضيف أيضا: " لقد أجهد الاستعمار نفسه قرنا كاملا من الزمان ليجرد ميزاب من دينه وعروبه ويقضي على نظمه وتقاليده الإسلامية، فما استطاع، وخاض معه ميزاب معارك سياسية واجتماعية طاحنة، فكان النصر لميزاب الذي حمى دينه ونظمه الدينية وزال الاستعمار وبقي دين الله."²

فهيئة العزابة من أهم الأمور التي ساعدت على فشل التنصير بالمنطقة، إذ يمكن القول أن الحرب على المنصرين قد أتت أكلها في مجتمع محافظ متشدد أيقظه الإصلاح وعرف له خطر المنصرين، ويكفي أن ندرك ذلك من لجوء أطفال الميزابيين إلى غسل أيديهم بعد تدرسهم في مدارس المنصرين قبل مصافحة أهلهم، اعتقادا منهم أن مجالسة ومصافحة الكفار نجاسة يتوجب إزالتها بغسل اليدين.³

فالمنصرون وجدوا صعوبة في الوصول إلى المنطقة الإباضية حيث يقول أحد الباحثين: "...اعتبر المنصرون المنطقة الإباضية مكان مقدس يتعذر دخوله، حيث واجهوا عدة صعوبات في الحصول على بعض المعلومات حول لغتهم، اعتقادهم وعبادتهم،... كما لم يتمكنوا من تعلم اللغة المزابية رغم الجهود المبذولة."، كل هذا بفضل هيئة العزابة التي استعملت هيبتها وسلطتها الروحية في الرد على التنصير بعدة طرق منها إصدار فتاوى تحرم التعامل مع الأجنبي كما فعلت في قضية التعليم حيث اعتبروا مدارس الآباء البيض محرمة وكل من

1- عبد العزيز شهبوي، المرجع السابق، ص ص184- 186.

2- نفسه، ص192.

3- عبد الرؤوف قرناوب، المرجع السابق، ص141

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

يتصل بها يعتبر من المنبوذين، وأحياناً إعلان البراءة من كل مزابي يتصل بالفرنسيين، ذلك أنهم وقفوا موقف المحارب من كل ما يمس عقيدتهم ومجتمعهم واعتبروا كل ما هو فرنسي مصدر كفر وسموم¹، يقول الشيخ اطفيش: " تجب براءة من رجع منا إلى مذهب المخالفين...ويقتل إن طعن في مذهبنا..."، وقد عملت العزابة على تطهير المجتمع المزابي من مظاهر الفساد والانحراف، حيث يعلن شيخ المسجد براءة الشخص بعد الصلاة الجامعة فيقاطعه جميع أفراد المجتمع فلا يتعامل معه أحد ولا يكلمه حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، فيندم على مخالفته، ويسارع إلى الإقرار بتوبته لدى العزابة، فتعلن خروجه من براءة المسلمين، يقول الشيخ اطفيش: " تستحب استنابة غير المتولي من الذنب لأن ذلك من جملة الدعاء إلى الله وإحياء الدين وإظهار شعاره."² كما كان للهيئة الدينية النسوية " تمسيردين " دور كبير في مقاطعة كل مظاهر الحضارة الفرنسية³.

وبهدف الوصول إلى المرأة المزابية أقام المنصرون في مدينة غرداية مركزاً للأخوات البيض كن يقدمن فيه تكويناً حرفياً للبنات وهي طريقة استعملنها من أجل الوصول للمرأة المزابية والتركيز عليها في عملية التنصير، خاصة وأنهم أدركوا أن المجتمع المزابي كان منغلقاً على نفسه، لم يكن يرتاد العيادات ولم يقبل في بادئ الأمر بدخول الأخوات في وسطه، حيث وصفته أحد المنصرات " بالمنغلق بشدة.....حيث المسكن مغلق....والمرأة متخفية ولا يمكن للأخوات اختراقه"، ولكن الأخوات استطعن فيما بعد دخول هذا المجتمع المنغلق عن طريق المساعدات الطبية ورعاية شؤون النساء الطبية⁴، يقول أحد الباحثين:

1- عبد الرؤوف قرناوب، المرجع السابق، ص142.

2- نفسه، ص 152.

3- نفسه، ص142.

4- نفسه، ص138.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

استطاع معمل غرداية للحرف أن يستقطب أكثر من خمسين فتاة ميزابية، يتعلمن الخياطة والطرز وبلغ الاحتكاك أن أصبحت الأخوات البيض يزرن الفتيات في بيوتهن، وفي سنة 1924م أنشأ قسم أهلي بمعمل غرداية خاص بالمرأة بهدف نشر حضارتنا في الأوساط المغلقة بميزاب¹.

ونفس الشيء بالنسبة للآباء البيض الذين أنشأوا مركزا لدراسة الوسط والمجتمع أطلق عليه اسم: "مركز الوثائق الصحراوية، تأسس سنة 1945م من طرف الأب جون لوتير الذي قام بجمع الكتابات التي تركها الآباء البيض السابقين، اهتم بدراسة العادات والتقاليد، يقول أحد الباحثين عن سبب تأسيس هذا المركز وأهميته: " لقد تم تأسيس هذا المركز ليكون همزة وصل للآباء والأخوات في التقارير والآثار التي يتركونها والتي دونت أثناء ملاحظاتهم وأسفارهم وأثناء ربطهم لعلاقات مع الأهالي...."، كل هذا بهدف إنجاز المخطط التنصيري².

ورغم هذا فإن المجتمع المزابي لم يستسلم لهذه الحملات والمراوغات، فقد قاومها مقاومة مستميتة، بظهور دعاة أمثال: الشيخ أطفيش القطب (1820م- 1914)³، والشيخ بيوض (1899م- 1981م)⁴، والشيخ أبي اليقظان (1888م- 1973م)⁵، الذين ساهموا في إصلاح المجتمع وتحريره من تلك الأفكار التنصيرية الهدامة، إضافة إلى وجود هيئة العزابة- كما ذكرنا سابقا- التي

1- عبد الرؤوف قرناوب، المرجع السابق، ص138.

2- نفسه.

3- عالم إباضي من كبار العاملين في سبيل وحدة المسلمين، ولد في قرية بني يزقن بواد ميزاب، يعتبر من رجال النهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر. أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الجاهلي، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1400هـ-1980م، ص20.

4- من علماء الإصلاح الديني في ميزاب عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أنظر: حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ج2، ص68.

5- ولد بمدينة القرارة جنوب الجزائر، كاتب وشاعر من رجال الإصلاح والتجديد، أنظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص356.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

استعملت هيبتها وسلطتها الروحية على المجتمع في الرد على التنصير، كما أكدوا على مكانة المرأة في المجتمع ودورها في بنائه، وذكروها أن أهم مكان لها هو بيتها وأن سلطتها تكون قوية عليه وليس لأحد أن يقود بيتها غيرها، ولا يمكن لأي شخص أن ينوب عنها في تسييره، ووضحوا لها أنها إذا خرجت من بيتها فهي معرضة للفساد، فالمرأة بالنسبة لهم هي خلية أساسية في تكوين الأسرة، إما صلاحاً أو فساداً، إضافة إلى ذلك اهتم علماء ميزاب بالرد على المنصرين عن طريق الكتابات والمقالات¹، ومن أهم ما كتب في هذا المجال: كتاب للشيخ أطفيش القطب سماه: "رد الشرور إلى الحوض المورود"، تناول فيه عقيدة النصارى وما لحقها من انحراف مستدلاً بالكتاب المقدس، كما كتب رسالة في الرد على أحد الانجليز الذي كان يطعن في الدين الإسلامي ويشكك المسلمين في دينهم سماها: "قذى العين على أهل القين"².

فعلماء واد ميزاب في مواجهتهم للتنصير ركزوا على المجتمع خاصة المرأة كما ذكرنا سابقاً، إضافة إلى الأطفال الصغار الذين كانوا يتوجهون إلى المدارس الفرنسية خاصة، فكثيراً ما كانوا يسألونهم عن نوع الدروس التي يتلقونها وعن كيفية التدريس ومن يدرسونهم³، ومن هؤلاء العلماء نذكر أيضاً: أبو إسحاق أطفيش الذي لم يكن يتوانى في تنبيه المجتمع من مخاطر التنصير، فكلما سمع نشاط تنصيري بالمنطقة إلا و أطلع بني قومه على خطره فهو يُقرن التنصير بالاستعمار ويقول أنهما أخوين رضعا من ثدي واحدة، فالتنصير حسبه يقتل النفوس المؤمنة والاستعمار يقتل البلاد والأشخاص، فهو إذاً يهدف إلى استنهاض النفوس والأجسام لأجل خدمة الدين والوطن، وإذا خدم

1- عبد الرؤوف قرناوب، المرجع السابق، ص139.

2- فتحي دادي بابا، منهج الشيخ أطفيش في التعامل مع السنة النبوية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، إشراف: خير الدين سيب، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ص29.

3- عبد العزيز شهبى، المرجع السابق، ص107.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

الدين والوطن فإن التنصير والاستعمار يموتان، فالحق إذا جاء فإن الباطل لن يجد له مكاناً بين النفوس المؤمنة، وقد ركز أبو إسحاق على محاربة التنصير خاصة لأنه يمس الطبقات الدنيا من المجتمع المغلوبة على أمرها فكان ينشر مقالات في الصحف يستنكر فيها ما يقوم به هؤلاء المنصرون والسلطة الاستعمارية معاً، وبهذا تمكن من أن يجمع شمل المجتمع الإباضي ويحارب التنصير في نفس الوقت¹.

ومن الأساليب التي واجه بها الميزابيون حملات التنصير إنشاء المعاهد والمدارس العلمية أهمها المعهد الذي أسسه الشيخ بيوض في القرارة، حيث يقول أحد الباحثين عن سبب تأسيس هذا المعهد: "وتأسيس الشيخ بيوض لمعهد في فترة الاستعمار البغيض حصناً للعقيدة ورباطاً لمواجهة الزحف الصليبي، فهذا في نظره هو الحل الوحيد والسليم لمواجهة ومهاجمة الثقافة الفرنسية الهادفة إلى تحريف وتعقيم أصالتنا وديننا الإسلامي".

فالشيخ بيوض هدف من وراء تأسيسه لهذا المعهد لإعداد الشباب المسلم الذين يحملون على عاتقهم مسؤولية حماية المجتمع من الأخطار الخارجية وتحصينه من الداخل، الذين وصفهم الشيخ بيوض بأنهم عدة الأمة هم لكتاب الله حملة ولسنة نبيه رواة، وللعلم الصحيح حملة، وللدين الصحيح الخالي من الخرافات الباطلة دعاة².

وقد اعتمد الميزابيون كذلك على دروس الوعظ والإرشاد التي كانت تقدم في المساجد، اعتماداً كبير في الرد على حملات التنصير خاصة في فترة أواخر العشرينات، وبداية أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، وهي الفترة التي عرفت نشاطاً كبيراً في هذا المجال، حيث اكتظت المساجد وكثرت رحلات

1- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص ص140-146.

2- نفسه، ص 149.

الفصل الرابع = مواجأة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

الدعاة في ميزاب وخارجها، وظل المسجد أهم مركز للوعظ والإرشاد، إذ كان له تأثير كبير على المجتمع المزابي وحمايته من حملات التنصير، واهتمت هذه الدروس بدراسة القرآن الكريم وتفسيره، إضافة إلى دروس الحديث النبوي الشريف¹.

كان الوعظ في شكل خطب أو دروس بالعربية والعامية وحتى باللهجة المزابية، تتم هذه الدروس بعد صلاة الفجر في فصلي الخريف والشتاء، وبين الظهر والعصر في فصلي الربيع والصيف، وظل الشيخ بيوض متربعا على الوعظ ولم ينقطع عنه بين سنتي 1923م و1938م، إلا في حالات نادرة، فقد أولى اهتماما كبيرا لدراسة القرآن الكريم وتفسيره لكونه صمام الأمان بالنسبة للمسلمين، وهو الذي يحمي المجتمع من كل تفسخ إذا تمسك به وعمل بتعاليمه، يقول أحد الباحثين: " كان الشيخ بيوض يهدف من تفسير القرآن الكريم، إصلاح المجتمع وتربيته مركزا على تصحيح العقيدة وتحريك الغيمان وإعداد الجيل الذي يتحرك بالقرآن"²، ويقول الشيخ بيوض نفسه: " إن مقصدي من هذه الدروس وغيرها هو مقصد الشيخ محمد عبده، أن أخلف عقولا تتذوق بلاغة القرآن ونفوسا فيها طهر القرآن وتلامذة مصلحين يكونون جند القرآن."، اهتم الشيخ بيوض كذلك بدروس الحديث النبوي الشريف على طريقة الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث يقول أحد الباحثين: " أولى الشيخ بيوض عناية خاصة بالسنة النبوية إلى جانب درس التفسير الذي وهب له جل حياته، وكان لدرس الحديث أثر إيجابي في الوسط الاجتماعي."³.

ويضيف قائلاً: "...تطورت دروس المسجد في بعض البلدان الميزابية كالقرارة وبريان والعطف في عهد النهضة الحديثة، فصارت نارا على الفساد والإلحاد

¹ - عبد العزيز شهبي، ص150.

² - عبد الرؤوف قرناب، المرجع السابق، ص150.

³ - نفسه، ص 151.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

الذي يبثه الاستعمار وأذنا به في المجتمع الجزائري والميزابي، وترى المسجد غاصا في وقت الدروس، والناس يسارعون من أماكن بعيدة لحضورها سيما دروس العلامة الشيخ بيوض في مسجد القرارة، فإن الناس يسافرون في المواسم والأعياد من بلدانهم ليحضرُوا درس الشيخ الممتاز في الموسم، إنه يتناول الأمراض الاجتماعية، ويعرض المجتمع على الكتاب والسنة، فيبين خلله وأسباب الضعف التي ابتلي بها المسلمون¹.

لقد كان السكان حريصين كل الحرص على طرد كل من يسمح لأبنائه بالتوجه إلى مدراس المنتصرين من مجلس القرية، وحرمانه من كل الحقوق التي يتمتع بها، وأبرز مثال على ذلك معاملة سكان قرية إيغيل لفاطمة آيت منصور عمروش التي كانت أنظار القرية لا ترحمها لكونها تخلت عن عقيدتها، فكانت تضطر للخروج هي وزوجها فجراً وتعود حتى لا يراها أحد عند الرومي، وخوفاً من نظرات السكان إليها².

أما المنتصرين من الجزائريين فقد وجدوا صعوبة كبيرة في حياتهم اليومية من جراء تنصرهم، فقد اعتبروا فئة مُجلبة للعار، ومدنسة لشرف القبيلة، بل أصبحوا غير مقبولين في عائلاتهم، حتى أن أحد المنتصرين رباه المنصرون حتى أوصلوه للأهلية، جاءه تهديد بالقتل من أبيه وإخوته، مما يؤكد العداء الذي كان ينصبه الجزائريين لمن يبتغي غير الإسلام ديناً³.

هذا التعامل للجزائريين مع المنتصرين من ذويهم له دلالات كثيرة، منها:

1- عبد العزيز شهبوي، المرجع السابق، ص 87.

2- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 419.

3- نفسه، ص 419.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

1/ يعتبر إنذار لكل من تسول له نفسه الدخول في النصرانية ونبذ دين أجداده الإسلام.

2/ كبح لجماح المنصرين حتى يراجعوا مخططاتهم ويتأكدوا أنهم مهما حققوا من نجاح فالفشل سيلاحقهم لا محالة.

3/ تبقى مقاومة الشعب الجزائري للتنصير والمنصرين قوية مادام متمسكاً بدينه

4/ التأكيد على أن التعامل مع الفرنسيين المنصرين له حدود يجب ألا تتعدى الدين والعادات والتقاليد المتوارثة عن الأجداد.

وحتى إذا تاب هؤلاء المُنتصرون وعادوا إلى رشدهم كان عليهم أن يختاروا بين أمرين: إما أن يكفّروا عن ماضيهم أو يغادروا القرية تماماً، فقد حال المنصرون بينهم وبين ذويهم ففسروا الجهتين، إذ لم يندمجوا حقيقة في المجتمع الفرنسي ولم يستطيعوا الرجوع إلى أهليهم وذويهم كما من قبل، كانوا يحملون أسماء غريبة أمثال: جوزيف عبد الله، فرانسوا عيسى، روبر عبد القادر، وحتى جوزيف أم الخير، قاطعهم السكان وسموهم بالمطورنين أي المستبدلين لدينهم، فعاشوا مذبذبين بين ذلك لا إلي هؤلاء ولا إلى هؤلاء¹.

و المؤكد هو أن أغلب من تنصروا من الجزائريين، هم من فئة الضعفاء والفقراء والأيتام، وموقف عامة الشعب في جميع مناطق الجزائر كان الرفض لهذه المخططات، فرغم كل المساعدات والإعانات والتعليم الواسع الذي وفره المنصرون لم يؤثر في الجزائريين، ولم يجعلهم يتراجعون عن ديانة أجدادهم، وهذا ما حز في نفس المنصرين ودفعهم إلى اتهام الجزائريين بأنهم شعب يعيش على هامش التاريخ والحضارة، والواقع أن هذا الحكم هو إقرار صريح بفسلهم

¹- سعدي مزيان، المرجع السابق، ص ص421-422.

الفصل الرابع = مواجهة سكان الصحراء للنشاط التنصيري

وفشل خططهم، لأن الجزائريين دون استثناء دخلوا التاريخ من بابه الواسع مع الفتح الإسلامي وانصهروا في حضارته وساهموا في عطاءه¹.

يقول ابن خلدون: " أما إقامة البربر لمراسيم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله، فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم والاستفتاء في القروض أعيانهم، وابتغاء الأئمة للصلوات في بواديهم وتدارس القرآن بين أجبائهم وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم وصاغتهم إلى أهل الخير والدين من أهل عصرهم التماس للبركة في آثارهم وسؤالا للدعاء من صالحهم....وبيعهم النفوس من الله في سبيله وجهاده...ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم ومتمين ديانتهم التي كانت ملاكا لعزهم ومفادا إلى سلطانهم ملكهم."²

والحقيقة التي لا جدال فيها أن الاستعمار وتحت المنصرون ما تزال مصالحهم قائمة في البلدان الإسلامية والعربية، لذلك يريدون بقاءها عن طريق محو الشخصية العربية الإسلامية والقضاء على مقوماتها، مقابل نشر الفكر المسيحي والثقافة المسيحية الفرنسية حتى لا يستطيع المسلمون مقاومته أو معارضته³.

1- سعيد مزيان، المرجع السابق، ص 425.

2- نفسه، ص 425.

3- أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973، ص 427.



الخاتمة

في ختام هذه الدراسة المتواضعة، والتي شملت السياسة الفرنسية التنصيرية في الصحراء الجزائرية بين سنتي 1845م و1954م يُمكن استخلاص النتائج الآتية:

1- إن تاريخ التنصير في الصحراء الجزائرية ارتبط بالاحتلال الفرنسي لهذه المنطقة، فالمُنصرون رأوا أن احتلال المنطقة كان فاتحة خير لهم، والاحتلال رأى في التنصير أهم الوسائل التي تمكنه من المنطقة وتساعده على السيطرة عليها، لذلك استعانت إدارة الاحتلال بهؤلاء المُنصيرين، الكاردينال لافيغري

وشارل دوفوكو في مجالات عديدة كالتعليم والصحة والرعاية الاجتماعية

2- ركز المُنصرون في عملية التنصير على الصحراء الشرقية أكثر من الصحراء الغربية لعدة اعتبارات منها انتشار العنصر الأمازيغي بهذه المناطق، وبالتالي يسهل عليهم عملية التنصير -حسب اعتقادهم-

3- استخدم المُنصرون وسائل عديدة لنشر معتقداتهم في المنطقة منها: التعليم، التطبيب، الخياطة والطرز، وهي من العوامل التي ساعدتهم على نشاطهم التنصيري، كما كان لأوضاع الفقر والجوع وتدهور الحالة الاقتصادية دور كبير في التأثير السلبي على السكان.

4- كان المُنصرون دائماً يستغلون الفرص للقيام بنشاطهم التنصيري خاصة فيما يتعلق بالضعف والانقسام والظروف والأوضاع السيئة التي قد يتعرض لها السكان.

5- إن التنصير الذي جاء به لافيغري وشارل دوفوكو لا يقوم على المسيحية الصحيحة التي أنزلها الله تعالى على عيسى عليه السلام، إنما هو التنصير الذي تعرض للتحريف، تميز بالتناقض والتضارب، الأمر الذي لم يستطع السكان استيعابه.

6- اتبع الاحتلال الفرنسي للمنطقة، سياسة تهدف إلى عرقلة انتشار الإسلام واللغة العربية والتخطيط مع المنصرين لقلع جذورهما وإحلال اللغة الفرنسية والمسيحية مكانهما في المنطقة.

7- أعطى الفاتيكان بُعد أوسع للتصير في المنطقة بنقله إلى إفريقيا عن طريق الصحراء الجزائرية، وذلك بتعيين الكاردينال لافيغري وتشجيعه مادياً ومعنوياً.

8- رأى المنصرون وخاصة لافيغري أن كل الوسائل مباحة في التصير بالمنطقة حتى ولو اقتضى الأمر استخدام السلاح، كما هو الحال بالنسبة لفرقة إخوان الصحراء المسلحين.

9- يُعتبر لافيغري شخصية تاريخية في تاريخ التصير بالمنطقة وإفريقيا، فقد لقي الدعم الكامل من الفاتيكان وسلطات الاحتلال الفرنسي، حتى تمكن من تأسيس أول جمعية تنصيرية مسيحية بالجزائر وهي جمعية الآباء البيض وجمعية الأخوات البيض، وفرعها العسكري فرقة إخوان الصحراء المسلحين، كما عمل على تكريس الهياكل المسيحية ببناء الكنائس والكاتدرائيات وأبرزها كاتدرائية السيدة الإفريقية بالجزائر، وتتويجاً لنشاطه الباهر عين أول كاردينال إفريقي مما يؤكد فعلياً مساندة الكنيسة له.

10- يعتبر شارل دوفوكو أكبر منصر ومستكشف فرنسي للصحراء، قام بدور كبير في خدمة الاحتلال الفرنسي بالصحراء الجزائرية حتى اعتبر من الطلائع التي مهدت لاحتلال الصحراء الجزائرية ونشر المسيحية في إفريقيا.

11- كان لشارل دوفوكو علاقة جيدة مع الضباط الفرنسيين خاصة الجنرال لابربن والماريشال ليوتي حاكم مدينة وهران سابقاً.

12- كان عمل شارل دوفوكو يبداً إنسانياً في الظاهر لكن في الواقع كان أكبر جاسوس في المنطقة، لم يكتفي فقط بجمع المعلومات التي يمكن أن يقوم بها أي جاسوس بل تعداه لمعرفة ثقافة السكان، تفكيرهم، وانتماءاتهم الدينية والقبلية

والثقافية للتغلغل في أفكارهم، ومحاولة زعزعة الوحدة الوطنية التي تجمع بين سكان الشمال وبربر الطوارق.

13- جمع شارل دوفوكو في عمله التنصيري بين ثلاثة أمور: طباع الجندي، سلوك الراهب، وتصميم الإيديولوجي، ولنجاح مشروعه تسلح بالصبر والمواظبة.

14- تميز المنصرون بتحمل المشاق والصعاب وقوة الصبر والتحمل والاستماتة.

15- لم يتوانى سكان الصحراء ولو للحظة في مواجهة المنصرين ورفض خزعلاتهم، حيث واجهوهم فرادى وجماعات وكانوا حجرة عثرة أمام المد التنصيري من خلال الزوايا والطرق الصوفية التي انتشرت على نطاق واسع بالمنطقة، وساهمت في تحصين المجتمع وحمايته من الانزلاق الذي قد يتعرض له، وما تمسك سكان غرداية والطوارق على وجه الخصوص بدينهم الإسلامي إلا دليل على فشل كل المحاولات التنصيرية التي جاء بها المنصرون في المنطقة.

16- تحول الصراع في العصر الحديث بين المسلمين والأوروبيين من صراع استيطاني عسكري إلى صراع فكري ثقافي بين المسيحية والإسلام.

وفي الأخير نُشير إلى أنه لا يمكن التفاهم بين الحضارات المختلفة إلا إذا تحرر الناس وتوفرت السيادة للدولة وإلا تحول الحوار إلى " أبوة "، أي علاقة السيد بعبده، ونفس الشيء يشترط في الحوار بين الأديان، فالكنيسة كانت تعتبر نفسها مكلفة بالتنصير، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالوضع الاستعماري الذي لم تكن فيه العلاقات الإنسانية والسياسية طبيعية، إلا أن تطور الأحداث وحروب التحرير الوطنية غيرت بالتدرج نظرة المسيحيين نحو المسلمين، فتكيفت الكنيسة في الجزائر بسبب هذه الظروف، وهو ما لم يستطع المنصرون تصوره في إطار الوضع الاستعماري الذي عاشوا فيه.

الملاحق

ملحق رقم 1:

النقاط الأساسية لقانون فرقة إخوان الصحراء المسلحين:

لا يمكن أن أعطي في هذا المقام، نظراً لطوله، النص الكامل لقانون تسيير فرقة إخوان الصحراء المسلحين، حيث أعمل على تعريفه بتفاصيله ببسكرة، اليوم أريد أن أعطيهم البيانات الأساسية لاستجلاء هذا التحول الذي سيطرأ على حياتهم ولا أكشفهم، تبعاً لما يقتضيه الأمر، إلا على النقاط الأساسية للحياة التي يريدون تقمصها.

نشاطات أساسية:

1- الطهارة الروحية:

إن حياة إخوان الصحراء لها كل شيء نفس الغاية النهائية الأساسية التي تستوجبها كل الجمعيات الدينية: الحياة على الطريقة المسيحية وحتى ببطولة والانسحاق بواسطة الإمكانيات الشخصية لكل واحد نحو تطوير الأخلاق في هذا العالم لتوفي الجزاء الأبدي في العالم الآخر.

إن إخوان الصحراء ليسوا موجهين لحياة استثنائية قائمة على التبشير والصلاة فحسب، فليس هناك شيء أجل من ذلك، كونها حياة طاهرة نظيفة، تقرب الأنفس من طاعة الله ولكن حياة الإخوان خاصة في هذه الظروف التي تعرف تحركات مريبة يشوهها الاضطراب والصراع الدائم، إلا حياة استثنائية تتناسب معها.

لقطف هذه الثمار، لابد أن نؤكد على حياة الوحدة والخلوة، وهذا ما اتصفت به حياة مشاهير الآباء القدامى بالصحراء الذين انعزلوا عن العالم، فالعيش المستمر في كنف الإخوان لا يكفي في وقتنا الراهن فنتيجة جدبتهم في العيادة انعزلوا في صحاري وقفار صعبة وعاشوا لوحدهم في ورع التأمل والعبادة التي تنتقطع لسويغات من النوم، ولكن إذا كان هناك زمان فيه هذه الميول تتواجد بكثرة، ففي زماننا هذا، بالنسبة لنا، وللمجتمعات الحديثة المتهاوية نلاحظ أن ذلك قد ولى.

إن السكون والتأمل في العبادة ليسا محتملين من قبل المجتمع، فنحن نعرف دينية مولعة بالتأمل كانت تضم في صفوفها مئة عضو، لم يبق في أحضانها سوى خمسة لعدم تحملهم هذا الاختبار لكن الملاحظة أن الإنسان في قرارة نفسه يمكنه أن يتطهر بالحركة والعمل مثلما يمكنه ذلك بالتأمل والصلاة خاصة إذا كانت هذه الحركية نشيطة، تكتنفها فضائل مثل الإحسان، الرغبة في التكفير عن الذنب، التورع عن مفاتن الدنيا، حب المجتمع المسيحي، حب العمل، نشوة الحصول على مرضاة الله والعباد.

إن كل هذا يشكل هدف إخوان الصحراء المسلحين. يفهم من هذا تلقائياً من قبل كل مسيحي، يعرف تماماً مثلما علمته ذلك التعاليم المسيحية التي يتلقاها في صغره، فالإنسان المسيحي خلق وأودع هذا الوجود لمعرفة الله، طاعته والإذعان لأوامره، وتجنب نواهيته أملاً في الحصول على الحياة الأبدية في العالم الآخر.

2-المساهمة في إلغاء الرق:

من الواجب على إخوان الصحراء أن يعتبروا هذا الهدف بمثابة واجبهم الرئيسي والطابع الذي يميز سيرتهم فهم ليسوا مدعويين لتسيير الحملات العسكرية التي تقوم بذلك وفق قرارات الميثاق العام لمؤتمر بروكسل، الفيالق النظامية التابعة للقوى العظمى، إنها مهمة هذه الفيالق في البلدان التي تطارد الإنسان و تعارض عملية مرور قوافل تجار العبيد.

إن إخوان الصحراء المسلحين ليست لديهم مهمة رسمية في أوساطهم للوصول إلى إلغاء الرق كونها منوطة بالسلطات الفرنسية وعلى وجه الخصوص السلطات العسكرية، ولكنه انطلاقاً من حركة أولية منبثقة من العمل الإحساني بإمكانهم القيام بتحقيق نتيجة كهذه، إنها أعمال مسيحية جليلة.

إن الوسيلة الأولى التي بإمكانهم استعمالها هو إخلاصهم في خدمة ضحايا الرق والذين سيكونون لأمد طويل كثيرون حولهم، حيث أنه سيصبح من الضروري القيام بخدمتهم على أحسن وجه وتعلم لغتهم.

إن هذا الإخلاص يجب أن يظهر بجلاء لا تشوبه شائبة ريب، بصفة تدريجية حتى يبلغ امتداد الصحراء التي يقطنها ويعيش فيها العبيد.

إننا نعلم ونكرر في نفس الوقت أن إخوان الصحراء المسلحين هم الحماية والأصدقاء وبهذه الكيفية تبدأ تطبيقاتهم العملية.

إننا نؤكد أنه عند إخوان الصحراء المسلحين سيجد العبيد الفارين من الملجأ الرعاية والغذاء حتى آخر يوم من حياتهم. إن كسب ثقة العبيد لنا في يوم واحد ولكنها ستشكل بالتدريج. إن ما ينهى هذه العملية (الرق) هو إقامة مركز

لهؤلاء وتوفير عمل يضمن قوت يومهم في المركز الذي نجتمعهم فيه ويعيد لهم الحرية والحياة الكريمة. أما العمل الإجمالي فيتولاه إخوان الصحراء، فليس لهم إلا أن يتركوا الرأي العام يناصرهم عملهم ويتابع عملهم النبيل، شيئاً فشيئاً سيضعف الخير ويعم في كل مركز من المراكز التي سيمكن للإخوان الاستقرار بها والتي ستكون بمثابة قطرة زيت تتمدد عبر الصحاري.

3- معالجة المرضى:

إن العلاج المقدم للعبيد الفارين أو المحررين إن كانوا مرضى، يعتبر وسيلة ناجعة لربح قلوبهم هناك دائماً في كل مركز قاعة خاصة بالتمريض مزودة بالأدوية الأساسية التي يستوجبها معالجة الأمراض الصحراوية يسيرها واحد أو إثنان من الإخوان ومعهم على الأقل طبيب، ويتكفل المركز بتكاليف العلاج إن اضطر الأمر ذلك.

إن مسألة التمريض والإسعاف تقع على عاتق كل الإخوان بالمركز دون استثناء، فمن الواجب أن يكونوا فرحين بإرجاع الحياة المفعمة بالأخلاق المسيحية لهذه المخلوقات التعيسة التي ستتعلم بالأمن والحرية.

إن إخوان الصحراء المسلحين يوقنون باستمرار أنه بواسطة الإحسان للمرضى والتواضع للصغار قصد معالجة أسقامهم وجروحهم، فالله تعالى يعالج ويداوي جراح عباده بالمعجزات، فالإخوان ليس بإمكانهم إنجاز معجزات خارقة ولكنه بإمكانهم فعل معجزات الرحمة والحب وهذا يكفي.

بإمكاننا أن أضيف في هذا المجال أنه من الواجب على الإخوان القاطنين بهذه المراكز القيام بمهمة تعليم أطفال الصحراء لكنني لن أتعرض لهذه الوظيفة لكونها

منوطة بالآباء المبشرين والذي سيحضى باهتمام بليغ كونهم على دراية بالأمر أكثر من إخوان الصحراء نظراً لدراستهم المسبقة في هذا الميدان.

4- العمل اليدوي وبخاصة الزراعي منه والأعمال الأساسية الأخرى لإقامة مراكز بالصحراء:

من خلال المعالم الأساسية المسداة في المقالين السابقين، نقول أن أهداف نشاط فرقة إخوان الصحراء المسلحين هو قبل كل شيء بعث الحياة المادية في الصحراء ولتحقيق ذلك سيكون من الواجب على وجه التقريب طلب كل شي من الأرض نفسها، إن أعمال فرقة إخوان الصحراء يجب أن يكون لها هدف إيجاد ملجأ لجمعيتهن ولمن سيقيمون معهم، وسائل العيش في بلد ينقض كل شيء بغض النظر عما يمكن جلبه من السودان والجزائر.

نبدأ إذن بإقامة كل مركز جديد بالسكن تحت الخيام ومن الواجب أن نبني مساكن تتلاءم مع مناخ الصحراء، مساكن ضيقة ومتواضعة من الطين المجفف المختلط تماماً بالقش تماماً مثل البيوت التي جاء ذكرها في الإنجيل والتي استعملها يوسف وسكان مصر، يضاف إليها مخبأً مخصص يلجأ إليه أعضاء الفرقة في حالة إنذار أو هجوم.

يجب أن يكون عدد من الإخوان مكوناً أثناء فترة تعلم التبشير الابتدائي على الأعمال الضرورية للبناء، التجارة، النجارة وغيرها، في الوقت الذي تقوم فيه مجموعة الحرفيين بعملها تقوم مجموعة المزارعين بتهيئة التربة أين تتواجد الماء في أعماق قريبة من السطح، يعقب ذلك حفر الآبار، الغرس والبذر وبعدئذ نزرع

أو نحصد فكل ما زرع أثبتت التجربة نجاحه في مجموع الواحات المتواجدة بالصحراء.

إنه من الواجب إيجاد وخلق كل ما من شأنه لتحقيق الرفاهية الصاعدة: إننا نريد الحديث عن إنشاء واحات النخيل كما أنشأ ذلك سلفاً بالخصوص في وادي (ريغ) مما يسمح بزيادة عدد النخيل التي تسقى بماء منهمر.

إن مسألة التغذية الصحراوية لن تحل بواسطة العمل الزراعي فقط، فاللحم ضروري تحت سماء موهنة للعزيمة خاصة بالنسبة لرجال يعملون ويكدون، فسكان الواحات يحصلون عليه بواسطة تربية الحيوانات المتشكلة من قطيع الجمال، الأغنام والماعز ولكنهم لا يمدون أيديهم إليها إلا في حالات الضرورة.

أما الوقت المتبقي فيخصص للصيد الذي يضمن لهم اللحم الضروري. إن الصيد مفيد وسهل في الصحراء فالأرانب البرية تتواجد بكثرة، إضافة إلى الغزلان التي تتواجد جماعات جماعات واليمام التي تتواجد في فصل معين. إلى جانب جماعة المزارعين والحرفيين على الإخوان أن تكون لهم فرقة مكونة من رجال أولي تجربة تضاف إليها نهم الصيد إنها فرقة الصيادين.

ينتج من مجموع ما قيل تعداد أقسام الإخوان الذين يشكلون الفرقة المركزية التي عليها واجب تأسيس مركز رئيسي خاص بها، إن عددهم حدد بخمسين أخ ويكون جمعهم 4 أو 5 فرق متباينة العدد فيها ينصب كبار الآباء والإخوان حسب أهليتهم منهم فرقة:

- الإسعاف تتولى شؤون المرضى وكل ما يتعلق بالنظافة، الوقاية، صيانة الملابس، حسب قوانين الرعاية والحذر.

- فرقة الحرفيين المكلفة بكل ما يتعلق بالبناء وصيانة البيانات والمخبأ المشترك.
 - فرقة المزارعين مهمتها رعاية الأرض، المياه، ضمان التغذية اليومية، فمنهم الخباز، الطباخ وغيرهم.
 - فرقة الصيادين مكلفين بتوفير الصيد في الصحراء مما يعتبر دعماً أساسياً لقطيع الماشية الذي يوضع تحت رعاية الأهالي المتواجدين بالمنطقة.
- إن العمل مقسم إذن بينهم، مثلما رأينا حسب المتطلبات الأساسية لجمعية صحراوية وحسب طاقات وأدوات كل واحد منهم . يمكن إظهار الميولات والرغبات الخاصة عن طريق الكتابة لطلب الانضمام للجمعية ونطلب أن تكون من الأفضل في الفرقة المعينة تبعاً لميولات ومعارف خاصة.

5- استعمال الأسلحة:

إنه من الواجب التذكير أنه مهما انتمينا إلى فرقة ما هناك واجب يعرض على الجميع يكمن في ضمان الأمن للفرقة والضالين الذين جمعتهم ضد الهجمات الممكنة لعصابات الصحراء.

إنه يجب القول في هذا المجال كلمة حول المهام العسكرية المنوطة بالإخوة إنه من الواجب عليهم حمل ومعرفة استعمال الأسلحة، البعض منهم يكون قد تكون سلفاً إن كانوا يحبذ في كثير من الأحيان جنوداً قدامى في جيش إفريقيا، تأقلموا مع مناخ الصحراء وطريقة العيش في الجنوب الجزائري فهم بذلك سيقدمون خدمات أكبر في صفوف فرقة إخوان الصحراء المسلحين. فلا ننضم إليها إلا ليعيش حياة شاقة ومسيحية فلا يمكننا ولا نستطيع بطبيعة الحال أن نحافظ أو نتسامح مع عادة تكون مضادة للتعاليم المسيحية.

إذا كان بعض الإخوان يجهلون استعمال الأسلحة، سنتولى تعليمهم مبدئياً وسنخصص لذلك الأمر ساعتين كل يوم أحد وكذا في الأيام الحارة من فصل الصيف طوال مدة التكوين الابتدائي بمركز الفرقة الرئيسي بهذه المهمة ستوكل إلى نائب القائد العسكري الذي سيأتي الحديث عنه مستقبلاً.

6- الحياة المادية أثناء النشاط:

(أ)- التغذية:

ستكون التغذية مكونة أساساً من العناصر الغذائية التي يمكن جلبها من الصحراء والتي بعد زمن نعين من التجربة، سيفصل فيها كبار الآباء لجعلها مستقاة من عمل الإخوان أنفسهم بهذه الكيفية فكل ما يتعلق بالتغذية النباتية ستعمل على توفيره البساتين المزروعة من قبل الإخوان أو من الأتباع الذين آووهم، فلن يكون لدينا الخبز إلا إذا أنتجنا القمح الذي يوفر لنا القمح اللين (الفرينة)، في حالة العكس تستعمل التمور الجافة تماماً مثلما يعمل الصحراويون. أما اللحم فسيوفر كما أسلفنا، عن طريق قطيع الجمال، الأغنام والماعز وإما عن طريق الصيد الذي سيتولى أمره فرقة من الفرق المكونة. المتواجدة في كل مركز بفضل ممرن خاص.

(ب)- اللباس:

إن اللباس المشترك بين أعضاء الفرقة سيكون مطابقاً لمتطلبات الصحراء فالجمعية هي التي توفره مجاناً شهراً بعد الدخول إلى المراكز لدراسة الرهينة حسب النموذج المتبع.

ج)-المسكن:

يجب أن تتوفر في المساكن التهوية الكافية حتى لا يكون عامل نقص الهواء وضيق المكان سبباً في ظهور أمراض تنصيب الإنسان خاصة في البلدان الحارة والآهله بالسكان.

لن يكون هناك أثاث غير أسرة المعسكرة ولذوي الحاجة، معها خزانه ملابس مشتركة، أما الإخوان الآخرين فسينامون بلبسهم على حصائر تغطي مصطبات من الاسمنت المسلح، الوجبات الغذائية تتناول على الحصائر المفروشة وسط القاعات التي يجلس عليها الإخوان تماشياً مثلما يفعل الأهالي.

أما عن عمال النظافة فستتبع بدقة إن وجدت أحواض تتجمع فيها مياه الآبار الموجهة للري بإمكان الإخوان الاستحمام بها ولكن وفق شروط لا تخل أبدا بالأدب.

7-طابع الجمعية والالتزامات تجاهها:

إن جمعية إخوان الصحراء جمعية دون أمانى ولكن لها أعضاء جندوا أنفسهم للإذعان للقواعد المشتركة فمن واجب عليهم القيام بمايلي:

(1)-دراسة الرهينة لمدة ثلاثة أشهر، يتمكن خلالها هؤلاء من الانسجام بحرية أو القبول النهائي بنفس الطريقة من قبل كبار الآباء إن كانت المهمة لا تناسبهم أو إن كانوا لا يناسبون المهمة.

(2)-دخول مدرسة التصير للمبتدئين لمدة سنة عند نهايتها سيستدعي الإخوان إن كان محلا لذلك الالتزام وتعهد لمدة 5 سنوات يزكيه المجلس الرئيسي للإخوان بعد التصويت بالأغلبية والاقترح العام من قبل كامل أعضاء الجمعية.

(3)-التزام وتعهد ثاني مؤقت لمدة 5 سنوات وفق نفس الشروط.

(4)-التزام وتعهد آخرين متتابعين لنفس المدة الزمنية .

بعد إتمام هذه الالتزامات على الإخوان الذين لا يمكنهم الاستمرار في عملهم حرية البقاء في النشاط المجاني حتى الممات ولكن إذا انسحبوا من تلقاء أنفسهم أو من جراء قرار من قادتهم نظراً لأخطاء فادحة أو لعدم إلتزام صريح، فإنه ليس لديهم الحق بأي حال من الأحوال، في هذا الوقت أو في غيره لأي شفاة سوى رجوعهم إلى بلدانهم الأصلية.

8- نظام تسيير الجمعية:

إن إخوان الصحراء المسلحين موضوعة تحت القيادة الروحية للأباء المبشرين بالجزائر تحت السلطة القانونية لرئيس البعثات التبشيرية بالصحراء طالما أن تشكيلاتها لم تعتمد رسمياً من قبل الكرسي البابوي بروما مع استثناء السلطة المعهودة ستكون كل المراكز الصحراوية، والتي سنتحدث عنها لاحقاً، تحت سلطة قائد خاص يعمل رتبة رائد ويساعده في القيام بمهامه ملازمان اثنان يكلف أحدهما بالجانب المادي والفلاحي لنشاط الفرقة والآخر يكلف بالجانب العسكري.

استقلالاً عن هذه الإدارة الرئيسية يكلف ممرنين بإدارة كل فرقة فرعية مشكلة مثلما أوضحنا سلفاً، حسب طبيعة مهام كل واحدة منها.

يختار رئيس كل مركز ونائبيه بصفة مباشرة من قبل رئيس البعثات التبشيرية بالصحراء، حسب رأي الإخوان الحاضرين الذين يتشاورون في الأمر.

9-نظام الأيام:

لإتمام هذه المعلومات المعطاة حتى في وقت أدق تفاصيلها فإن فكرة الواجبات التي تخنق الإخوان ستبين لنا في النهاية النظام العام للأيام سواء بالنسبة للأيام أو أيام الأحد.

فالاستيقاظ دوماً باكراً خاصة في الصيف، أين يستحيل في الصحراء العمل خارجاً تحت لفح الشمس باستثناء الساعات الأولى من صباح اليوم.

-بعد الطهارة تقام الصلاة الصباحية مصحوبة بدرس الوعظ والقداس.

-تلجأ كل فرقة من جمعيات الإخوان إلى عملها في ساعات مضبوطة والتي يجب أن تدوم 8 ساعات يومياً إلا في حالات الضرورة القصوى.

-وجبة الغذاء تؤخذ في منتصف النهار ووجبة العشاء على الثامنة مساءً تتكون أساساً من حساء، طبق من لحم وطبق خضر منتجة بالصحراء.

-تصحب عملية الحضور لدرس الوعظ والقداس أعمال التقوى التي تتوجب القيام بامتحان الضمير قبل الحساء. النوم محدد على الثامنة مساءً في فصل الشتاء والتاسعة ليلاً في فصل الصيف.

أما النظام اليومي لأيام الأحد والأعياد المفروضة هي على نفس الوتيرة باستثناء الأعمال اليدوية التي تعوض بدراسة اللغة العربية والقيام بالتدريبات العسكرية تضاف إليها شعائر دينية عادية ونشيد القداس الأكبر والصلوات.

كل هذا مفصل ومؤكد في القواعد.

الخاتمة:

هذا ما يظهر لي ضرورياً لإعلام كل من لديه رغبة في الانضمام إلى الملسيا الموجهة لخدمة الله، الإنسانية وفرنسا.

من الواجب عليهم قبل أن يأخذوا قراراً حاسماً قراءة وتفحص كل ما يبسط إليهم من معلومات، فليقوموا بكل ما يستوجبه الإنجيل المقدس فليجلسوا، أي فليأخذوا الوقت اللازم للتفكير والصلاة وليدركوا أن لهم كل ما يجب من أجل بناء صرح طهارتهم بوسائل علمية تستوجبها قاعدة تسيير فرقة الإخوان.

وإذا كان بوسعهم الاستجابة لهذه المتطلبات والالتزامات لدخول معترك حياة لهذه فليبلغوا طلباتهم بكل ثقة مرفقة بمعلومات تعرف بهم.

إن طلب الانضمام يجب أن يوجه إلى بسكرة قبل تاريخ 8 فيفري المقبل سواء إلى شخصي أو الأب رئيس جمعية الإرساليات التبشيرية بالصحراء، كما أنه يستوجب إرفاق طلبات الانضمام بوثائق وشهادات تعرف بالسن (لأنه لا يقبل من تعدى سن الخامسة والثلاثين) تعرف بسيرتهم استعداداتهم، محاسنهم وما يكرهون وما يتقنون وينتظروا بعدئذ بسلام الإجابة التي تصلهم مباشرة بعد قرار كبار الآباء المبشرين.

في حالة ما إذا كانت تعثرهم بعض الضنون والشكوك فعليهم أن لا يتوانوا في الإعلان عن ذلك، فليدرسوا بإمعان استعداداتهم، فليدركوا قواهم وضعفهم في اتخاذ قرار حاسم بالدخول في وسط لا يناسبونه أو لا يناسبهم أصلاً.

إنه تفكير وروح جمعية إخوان الصحراء مثل نظيره عند جمعية المبشرين بالجزائر فلا نحتفظ بالدين ليست لديهم رغبة أكيدة أو يكونوا مرتفعاً للاحتجاج عليهم. كل

خطأ جسيم يخص العقيدة، العادات، الروح المسيحية يكفي للمطالبة-دون تأجيل المتهم بالانسحاب.

فيما يخص الذين يستكينون للإحباط والفشل، لهم أن يأخذوا نفس القرار. إنه حب المبدأ بطبيعة الحال في جميع الجمعيات وبالخصوص التي تعرض صعوبات من النوع الخاص.

فالباب يجب أن تكون ضيقة للدخول وعريضة مفتوحة عن مصرعيها للخروج. لكن إذا كان صوت الإله يظل يسمع في قلوبهم فلا يترددوا، فبإمكاني أن أعدهم أنه وسط هذا الأعباء والكواهل الشداد التي تنتظرهم فإن أنفسهم ستتهم بالبهجة وتحس بالحيوية بفضل روح تسمو عن الأرض والتي سيكتسبونها لا محالة إضافة إلى حقوق أخرى مؤكدة لا توجد في أمكنة أخرى للفوز الأبدي.

تقبلوا سادتي، وإن كان يرضى الله تعالى والمساندين المستقبلين مشاعرنا المخلصة النبيلة تجاه الإله العظيم.

شارل كاردينال لافيغري

أسقف قرطاج والجزائر

مقدم أساقفة إفريقيا

بسكرة في 1 جانفي 1891م.

سعيد مزيان، المرجع السابق، ص ص 440-451.

ملحق رقم 2:

التنصير بين الأهالي في القوانين الأسقفية

المادة الأولى: يجب أن يكون التنصير بين الأهالي نصب أعين القساوسة، وأن لا يتوانوا أبدا في التعجيل بتنصيرهم وهي اللحظة المأمول فيها بشدة، (يجب أن يعطوا الأهمية لكل الوسائل المسخرة لهذا الهدف، الصلوات التضحيات، الأعمال الخيرية، طرق أخرى، أمثلة من الفضيلة، يجب أن يستغل كل شئ لتحقيق هذا الغرض، يا لها من فضيحة لا يمكن تصحيحها أبدا، إذا كان الطابع الديني الذي يمجدونه فينا يؤول إلى الزوال، بواسطة الفهم الخاطئ للشرف الذي نعمل على التحلي به ؟ لن نكف عن الظهور بينهم باستمرار، ورعين، نقاة....لن نتوان عن الإحسان إليهم ونشهد لهم بأننا آسفون لعدم قدرتنا على القيام بأكثر من ذلك إزاءهم.

المادة الثانية: سيسجل الأهالي الفقراء في قوائم المحتاجين، والتي هي صلب العمل التنصيري الذي بواسطته تعرف يد الإحسان كيف تكتب فيه كل مآسي العقل والقلب قصد الوصول إلى مواساتها كلها.

المادة الثالثة: وبغرض التحضير الأكثر استعجالا، يجب على قساوستنا أن يهتموا بدراسة اللغة العربية، والقرآن، ومستخدمات وعادات الأهالي، وذلك ليستطيعوا التغلغل بسهولة في أذهانهم والوصول، عندما تحين الفرصة إلى أن يكشف لهم عن الجانب الأخلاقي لمعتقداتهم.

المادة الرابعة: (إذا حانت الفرصة من تلقاء نفسها) أو إذا أمكن خلق هذه الفرص بحذر للتحدث معهم عن الدين، ينبغي العمل بحذر شديد، على عدم مس أفكارهم المسبقة، وعدم إرهابهم بالأسئلة، والإجابة بعجل على التي يلقونها علينا والإصغاء إليهم بلطافة، وأخذ نقطة الانطلاق معهم، المعتقدات المشتركة كالخلق والوحي القانون الموسوي وبشكل مختصر وبرهبة، إعطاء اسم الاستعارة وإيجاد مغزى روحي للقصص الغريبة والملفقة للقرآن والخرافات المحلية...

المادة الخامسة: إن الأطفال، الأمل المرتقب لمهمتنا عند الكفار ليحظون أكثر بالعناية الأبوية، وسنعمل على جذب الأولاد، بواسطة وسائل بسيطة، إلى المدارس أولاً، ثم إلى الكنائس سنبين لهم وبتحفظ كبير، بأننا نحبههم، أما البنات الصغيرات فستتولى رعايتهن الخاصة، المبشرات أو معلمات المدارس.

على القساوسة والأخوات أن يجمعوا كل من يصادفون من اليتامى أو من الذين تولى عنهم أولياء أمورهم وأن يرسلوهم، على حسابنا، إلى الجزائر حيث نودعهم في المؤسسات الخيرية.

يطلب من كل القساوسة أن ينخرطوا في جمعية الدعوة إلى النصرانية، بين كفار الجزائر وإدخال المؤمنين إلى خورنياتهم.

ملاحظة: العبارات الموجودة بين قوسين أضيفت من طرف الكاردينال لافيغري إلى القوانين الأسقفية سنة 1871.

محمد الطاهر وعلي ، المرجع السابق، ص248.

ملحق رقم 3:

مراسلة الماريشال ماكماهون الحاكم العام للجزائر إلى المطران لافيغري

كومبيين في 17 نوفمبر 1866

مونسيور (مولاي)

وصلني اللحظة نبأ وفاة المنسيور بافي، مطران الجزائر لقد فكرت، في هذا الظرف المؤلم عن سيكون خليفته في حالة ما استشارني فخامتة (الإمبراطور نابليون الثالث) حول خليفة له، وبعد تفكير عميق توصلت إلى أنني لا أستطيع أن أقترح عليه مترشحا تتوفر فيه أحسن الشروط، وذلك لنيل منصب مطران الجزائر، سوى المطران الحالي لنانسي (المطران لافيغري) إنه قراري الخاص، ولكن لا يمكنني أن أخبره بذلك (نابليون الثالث)، إلا عندما أقف على نواياكم في الأمر، أتقدم إليكم إذا، حتى تفوضوني في حالة ما إذا كنتم ستقبلون هذا المنصب، وهو حسب رأيي من أهم المناصب التي يمكن أن تسند لرجال الدين الفرنسيين، إنه في الواقع يتضمن صعوبات كبيرة، ولكنني أعرف اهتمامكم بالدين، وهو ما يؤكد لي بأن الصعوبات لا يمكن أن تكبح رجلا في مثل طينتكم.

رجائي أن تجيبوني في أقرب وقت ممكن

الإمضاء المارشال ماكماهون

محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 251.

ملحق رقم 4:

مراسلة المطران لافييجري إلى الماريشال ماكماهون

نانسي في 19 نوفمبر 1866

سيدي الماريشال

بعد أن فكرت مليا، وطلبت من الله أن ينير بصيرتي حول ما أستطيع أن أجيب به معاليكم، بشأن موضوع الطلب، غير المنتظر، الموجه إلي، بتاريخ أول أمس، سأعطيكم وجهة نظري بكل صراحة.

لا يمكن أن أفكر وحدي أبدا في مغادرتي الأسقفية التي أكن لها حبا عميقا، حيث بدأت فيها خدمات عديدة، ولو أن معاليكم اقترح علي منصبا أكثر أهمية من الذي أنا فيه في نانسي، سيكون جوابي بالسلب حتما، ولكنني لم أقبل الأسقفية إلا كعمل فيه التفاني والتضحية، إنكم تقترحون علي مهمة شاقة ومجهددة، أي مقرا أسقفيا أقل أهمية، في جميع الجوانب، عن مقري الحالي حيث يستلزم مني النفي، والتخلي عن كل ما هو غال علي، إنكم تعتقدون بأنني أستطيع أن أفيد هناك أكثر من أي شخص آخر، إن المطران الكاثوليكي، سيدي المارشال، لا يعطي إلا جوابا واحدا لمثل هذا الاقتراح: أقبل التضحية الموجعة التي أهدت إلي، وإذا أحتاج الإمبراطور إلى إخلاصي، فإنني لن أتردد، مهما كلفني ذلك.

أسمع لمعاليكم أن تعلموا فخامته جوابي هذا

الإمضاء: شارل، مطران نانسي

محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 252.

ملحق رقم 5:

رسالة من البابا بيوس التاسع إلى المطران لافيغري

من البابا بيوس التاسع، إلى أخي، المجل شارل، مطران الجزائر، أخونا المجل، تحية وبركة رسولية عليكم.

إذا تألمنا بشدة نتيجة للكوارث المتعددة التي أصابت أسقفيتكم، وإذا تحصرنا مما آل إليه شعبكم، ومن العناء والمتاعب التي تتحملونها، فإننا نحس من جهة أخرى بمساواة حقيقية، عندما نرى وسط هذا العدد الكبير من العراقيين والبلايا، لمعان نور وفضيلة الإحسان المسيحي، ونقف على الأعمال الخيرية المعتبرة النابعة عن الدين والمجتمع، بواسطة تفانيكم الرسولي، وكرمكم وشجاعتكم.

إنه بدون شك، حسب الحكم الإلهي المطلق، يجب أن يلحق الإنجيل لشعبكم، مثل جميع الشعوب، ولكن تبقى عاداته وديانته وثورته ضد أمتكم عقبة ضد التنصير، لا يمكن تجاوزها.

ولإزالة هذه العقبة، فإن إله الرحمان، أراد أن ينجد العرب الذين أُلتم بهم المآسي، بواسطة الأعمال الخيرية المسيحية للفرنسيين، مما كشف لهم فضائل ديانة إلهية، جعلتهم يحبونها قبل أن يعرفوها.

لا تستطيعون أن تستجيبوا بشكل جيد وبفعالية أكثر للمقصد الصادر عن العناية الإلهية، إلا بأن تكونوا في كل مكان، وباستمرار حيث تتادىكم المجاعة والموت، بحضور مساعدكم، من أجل العمل على فتح ملاجئ للعجزة المعوقين وللأرامل والأطفال المهملين.

لا يمكن إذا، أن نستمر في السكوت، وعلينا أن نقدم لكم، من أجل هذه الخدمات الجليّة، التشكرات التي أنتم وقساوسة ومبشرو وأخوات أسقفيتكم، أهلا لها، هؤلاء الذين يشاطرونكم تفانيكم، لم يدخروا أي جهد من أجل راحة الفقراء وشهداء الإحسان ولم يترددوا في التضحية بأنفسهم من أجل أن ينقذوا إخوانهم. يستحيل على هذا الشعب الذي برهنتم له على قانون الخير الذي سلمه لنا المسيح، أن لا يفهم بأنكم حقا خادموه، وبأنكم مجدتم أباكم الذي هو في السماء، عندما علمتم إنجيله لهذه الأمة الكافرة بواسطة الفصاحة المؤكدة، وبقوة أكثر مما يمكن أن تقوموا به بواسطة الكلام.

أما بالنسبة للأطفال الذين انتزعتهم من مخالبا الموت والذين تطعمونهم وتكسونهم، وتعلمونهم العادات الصالحة و العدالة والعمل في الحقول، فكيف لا يحبون الأمة والديانة اللتين هم مدينون لها في كل شيء حتى في وجودهم نفسه ؟ كيف وهم الذين أصبحوا بواسطة العمل يتكفلون بعائلاتهم، لا يستطيعون أن يقربوا بحضورهم وخدماتهم وأحاديثهم ذهنيات أهاليهم من الديانة والشعب اللذين قدما لهم هذا العدد الكبير من الفضائل.

لا يتعلق الأمر إذا بالديانة فقط، ولكن بفرنسا التي تخدمونها أنتم وأتباعكم، بواسطة خدمات الإحسان المسيحي المؤثرة، قمتم بلا شك، بجذب النفوس إليها، الأمر الذي لا يمكن القيام به بواسطة وديان من الدماء، وبمصاريق باهظة وبجهد سنين عديدة من العمل.

واصلوا بثقة مهامكم، ولتكن العراقيل حافزا يزيد من شجاعتكم، لأنه وسط العراقيل، تستمر خدمات الله في المسير واكتساب القوة، بمساعدة الله سوف لن

ينقصكم وأتباعكم العفو والقوة والوسائل المادية لبلوغ أهدافكم، نتمنى لكم كل هذه الأشياء من صميم القلب، وبنعمة الله وعطفنا الخاص، نقدم لكم البركة الرسولية، أيها الأخ الموقر، ولجميع من يساند خدماتكم الجليلة، ولكل اسققيتكم.

التوقيع: البابا بيوس التاسع

محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص254.

ملحق رقم 6:

بسكرة في 14 جانفي 1891

أسقفية الجزائر

سيادة رئيس المجلس

يشرفني أن أطلب من معاليكم أن تعتمدوا نموذجا من الرسالة التي أوجهها إلى متطوعي جمعية الدفاع ضد تجارة الرقيق.

رسالة من فخامته الكاردينال لافيغري إلى جميع المتطوعين للانخراط في جمعية الدفاع ضد تجارة الرقيق الفرنسية المسماة جمعية إخوان الصحراء المسلحين. تعتبر هذه الرسالة بمثابة اعتراف بالجميل نحو الرجل اللامع الذي كان أول من ألفت انتباه الرأي العام في العالم وفي فرنسا، منذ اثنتي عشر سنة، إلى الحل العملي لمشكل الصحراء، وهو عمل يرمي كذلك إلى لفت انتباه السيد رئيس مجلس الوزراء، الوزير الحالي للحربية، ولا حاطته علما بالمسألة التي أثارها المؤسسة التي أنا بصدد إعدادها.

إن هذه المؤسسة سيادة الوزير ترمي إلى خدمة جمعية مكافحة بيع الرقيق التي يشرفني أن أكون رئيسها، والتي تحصلت على الاعتراف بها من طرف جميع القوى الأوروبية المجتمعة في مؤتمر بروكسل، وكذا من طرف الأب المقدس البابا ليون الثالث عشر، والذي وضعها تحت سلطته المباشرة، وقد قام منذ مدة قريبة بتوجيه نداء إلى المسيحيين في العالم أجمع، لتوفير الوسائل الضرورية للإرساليات التبشيرية الإفريقية حتى تطور الخدمات الموجهة ضد بيع الرقيق.

إن الحكم العام الصادر عن مؤتمر بروكسيل والمصادق عليه نهائيا اليوم من طرف جميع الأمم المتحضرة، والذي هو جزء من المؤتمر نفسه، يتضمن في مادته الأولى:

-تعلم القوى (الأوروبية) أن الوسائل الفعالة لمكافحة تجارة الرقيق داخل إفريقيا هي التالية:

1-التنظيم التدريجي للمصالح الإدارية والقضائية والدينية والعسكرية في المناطق الإفريقية الخاضعة لهيمنة أو حماية الأمم المتحضرة.

2- التأسيس التدريجي في الداخل، من طرف القوى التي تخضع لها هذه المناطق لمراكز قوية، حتى يستطيع نشاطها الرامي إلى الحماية أو القمع أن يؤثر في المناطق التي ينتشر فيها صيد الإنسان.

3- فتح الطرق ولا سيما السكك الحديدية، لتربط المراكز الأمامية بالسواحل، وتسمح بالوصول بسهولة، إلى المياه الداخلية، وإلى المنابع العليا للأنهار والوديان التي تقطعها الشلالات، وذلك قصد الاستعاضة عن الوسائل الاقتصادية، والتعجيل في عملية النقل التي تتم حاليا بواسطة الحمالين.

4-.....

5-.....

6- تنظيم رحلات استكشافية، إرسال القوافل المتنقلة والتي تداوم على الاتصال مابين المراكز ومع السواحل، وتدعم العمل الردعي، وتضمن الأمن عبر الطرق.

المادة الثانية: إن المراكز والرحلات الداخلية التي تنظمها كل قوة (أوروبية) في مياها والمراكز التي تكون بمثابة محطات إمداد لها، وبعيدا عن مهمتها الرئيسية، التي هي منع إلقاء القبض على العبيد، وقطع الطريق على التجارة بهم ستكون مهمتها الإضافية.

1- أن تمثل نقطة إسناد وعند الحاجة ملجأ للسكان الأهالي الذين يوضعون تحت سلطة أو حماية الدولة التي ينبع لها، وللناس الأحرار، بشكل مؤقت ولغيرهم إذا داهمهم خطرهما، وكذلك الوصول بالسكان الأهالي إلى القدرة على الدفاع عن أنفسهم، والتخفيف من الحروب التي تنشب بين القبائل وذلك بالحكم بينها، وإلى تعويدهم على الأعمال الزراعية، والفنون المهنية، وهذا كله قصد الرفع من مستوى معيشتهم وتمدينهم وضمان زوال عاداتهم الوحشية مثل أكل لحم البشر والتضحية بالإنسان.

2- تقديم المساعدة والحماية للمؤسسات التجارية ومراقبة شرعيتها وعقودها وتأسيس أخرى، وإنشاء المراكز الثقافية.

3- حماية الإرساليات (التنصيرية) الموجودة أو التي ستأتي دون تمييز ما بين مذاهبها.

4- تجهيز المصالح الصحية، واستضافة ومساعدة المكتشفين، وكل من يعمل في إفريقيا من أجل منع تجارة الرقيق.

المادة الرابعة: إن القوى التي تبسط سلطاتها أو حمايتها في إفريقيا، يمكن أن تتوب عنها الشركات التي تملك مواثيق كل عقودها أو بعضها والتي تقوم بها طبقا

للمادة الثانية، ولكنها ستكون مسؤولة بشكل مباشر عن العقود التي توقعها وتتعهد بتطبيقها.

تتعهد القوى (الأوروبية) بأن تستقبل وتحمي الجمعيات الوطنية والمبادرين الفرادى الذين يرغبون في التعاون على قمع تجارة الرقيق، مع التحفظ إزاء استظهار رخصهم إذا اقتضى الأمر وحول مديرها مع استبعاد كل نشاط ذي صبغة سلطوية.

أرجو منكم، سيادة الوزير أن تعطوا لي وجهة نظركم حول محتوى هذه الرسالة التي يشرفني أن أبلغكم نموذجاً منها، إن جمعية إخوان الصحراء المسلحين، أسست لتستجيب للطلبات التي عبرت عنها القوى (الأوروبية)، ولخدمة المبشرين في المناطق الإفريقية المختلفة، وتتوجه خدماتها، بطبيعة الحال، إلى المناطق الخاضعة لنفوذ فرنسا، وبالأخص الصحراء والسودان التي اعترف بأنها تحت نفوذكم، وذلك حسب معاهدة سابقة أبرمت مع انجلترا.

سنفتح سيادة الوزير في 15 فيفري أول مؤسسة لنا بالصحراء، وبما أنها ستكون داخل حدودنا، ولكي نضمن الراحة اللازمة للذين سيأتون ليكونوا فيها للأعمال التي تنتظرهم، فإنه من واجبي ليس فقط إبلاغكم رسمياً قبل فتح هذه المؤسسة، وإنما هو أمر إجباري تلتزم به كل الجمعيات التي تقوم بمكافحة بيع الرقيق، وهذا حسب المعاهدة المصادق عليها في بروكسل، والتي تبنتها فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية ولكي لا نظهر غير معنيين بالقوانين الفرنسية والتنظيمات العسكرية أعلن لكم عن ما يلي:

1- في بسكرة وفي كامل أرجاء القطر الجزائري لا يمكن أن تستخدم الأسلحة خارج أسوار هذه المؤسسة التي هي مدرسة للمبتدئين (إلا في حالات الصيد التي سيقوم بها الإخوان (المنصرون) مع باقي الصيادين.

2- خارج الأراضي الجزائرية فإن إخوان الصحراء سيخضعون للتنظيمات التي يراها سيادة الوزير معقولة كأن يلحقهم بشكل ضروري بالقيادة العسكرية، سواء في ما يتعلق بالاستكشافات أو العمليات العسكرية، كما هو مطبق مع الموظفين العسكريين في فرنسا أثناء الحرب.

3- تتحمل جمعية إخوان الصحراء المسلحين كل مصاريف تكاليفها بنفسها لبلوغ أهدافها.

إن أهمية مثل هذه الجمعية التي ستجلب لكل مناطق افريقيا وخاصة الصحراء والسودان، رجالا يتمتعون بالشجاعة وبالتفاني في العمل وبأخلاق سامية، سوف تسمح لكم بأن تتبنوها.

يشرفني سيادة الوزير أن أطلب منكم أن تخبروني في ما إذا كانت حكومة الجمهورية (الفرنسية) ستعارض في حدود الشروط سالفة الذكر، هذه التجربة التي ترمي إلى خدمة مصالح فرنسا والإنسانية.

يشرفني سيادة الوزير أن أكون خادمكم المطيع.

التوقيع: شارل الكاردينال لافيغري المندوب الرسولي للصحراء والسودان أسقف الجزائر وقرطاج.

ملاحظة: في حالة ما إذا كان فخامتكم يرى اقتراح شروط إضافية لتسيير جمعية إخوان الصحراء المسلحين أرجو منكم تبليغها إلي وساكون مسرورا بتقبلها بصدر رحب.

محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص273.

Georges Goyau, op. cit, p16.



الكاردينال لافيغري

ملحق رقم: 8

سعيد مزيان، المرجع السابق، ص 490.



ملحق رقم: 09

سعيدى مزيان، المرجع السابق، ص 477.

Oeuvres des peres blancs au Sahara

postes	Fondation	Peres	Orpheline	Ecoles	Ateliers	CHretinens	Catechmenes
Laghouat	1920	3	-	-	-	-	-
Ouargla							
Ghardaia	1875	4	12	90	362	11	3
El Golea							
Gery	1884	3	-	85	-	8	16
Ville							
Djelfa	1892	4	81	38	15	31	36
Ain-							
Sefra	1920	3	-	-	14	-	-
	1920	3	-	-	35	-	-
	1920	7	12	120	-	-	-

Postes abandonnes: Biskra.....fond en 1873, Abandonné en 1892.

Metlili.....1878, Abondonnée en 1879 quitté repris en 1883, en 1884

R'dames.....1879, Abondonnée en1882

Tripoli.....1879, Abondonnée en1882

Elbiod.....1899, Abondonnée en1902

Remé Bazin, op.cit., p1



شارل دوفوكو

ملحق رقم: 11

أنطوان شاتلار، المرجع السابق، ص 22.



قائمة

المصادر

والمراجع

1-المصادر:

أ-باللغة العربية:

- الكتاب المقدس.

- دوفوكو شارل، التعرف على المغرب 1883 - 1884، تر: المختار بلعربي، ج1، ج2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1999.

- دو فوكو شارل، كتابات روحية، ج3، تر: الأب جرجس موراني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

ب-بالأجنبية:

- Ait Mansour Amrouch Fadhma, histoire de ma vie, edition la découverte, Paris, 1965.

- Baunard (M.G.R), le cardinal Lavigerie, tome 2, librairie ch. poussielle, Paris, 1896.

- Bargés M. L'able, Sahara et Soudan, Just Rouvier, libraire- éditeur, Paris, 1853.

- Bazin René, Charles de Foucauld, libraire Plon, Paris, 1921.

- Daumas, le Sahara Algérien, Langlois et Leclercq, Paris, 1845.

- Daumas Eugène, Grand Désert, propriétaire- editeurs, Paris, 1848.

- Dominique Casajus, Henri Duveyrier un saint-simonien au désert, Ibis press, Hal archives-ouvertes, 2007.

- Klein L'Able Félix, Le cardinal Lavigerie et ses œuvres d'Afrique, Alfred mam et fils éditeurs, 1896.

-Lavigerie le cardinal, Document sur la fondation del'œuvre Anti-exlavageiste, saint Cloud, 1889.

- Lavigerie Charles Martial, Cardinal Archevêque d'Alger et de Carthage, primat d'Afrique, Alger, 1892.

2-المراجع:

أ- بالعربية:

- أبو زهرة محمد، محاضرات في النصرانية، ط4، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة، الرياض، 1404 هـ.

- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م.

- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مصر، 1958.

- الإدريسي أبي عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

- الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار النهضة، الجزائر، 2007.

- أيارو عبد الرزاق عبد المجيد، التنصير في إفريقيا، الإدارة العامة للثقافة والنشر، المدينة المنورة، 2008م.

- بابكور عمر سالم، الإسلام والتحدي التنصيري في شرق إفريقيا 1261هـ-1396هـ / 1844م-1950م، فهرسة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، 1418هـ.

- بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

- بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- البكري أبي عبيد، المسالك والممالك (المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب)، مكتبة المثنى، بغداد.
- بكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، 2010.
- بن القبي صالح، الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم، ANEP، الجزائر.
- البساطي أحمد سعد الدين، التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، دار أبو المجد للطباعة، الهرم، 1409 هـ-1989م.
- بعلي حفناوي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وظلال اللوحات، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2018م.
- بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب، 2007.
- جاكو فيلكس، حملة الجنرال كافيناك في الصحراء الجزائرية، أبريل-ماي 1847، تر: حليلة بابوش، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2013.
- الجزائري أبي عبد الله محمد حاج عيسى، في مواجهة التنصير، ط1، مكتبة الإمام مالك، الجزائر، 1429 هـ - 2008م.
- الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
- الجندي أنور، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973.

- الجندي أنور، الاستعمار و الإسلام، دار الأنصار.
- الدالي الهادي، هلال عمار، دراسة في حركات التبشير والتنصير بمنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002.
- الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- وعلي محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904، منشورات دحلب، 2009.
- زيادية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- زوزو عبد الحميد، ثورة بوعمامة 1881 - 1908، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830 - 1900، موفم للنشر.
- الحاج ساسي سالم، نقد الخطاب الإستشراقي الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج1، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
- حبنكة الميداني عبد الرحمان حسن، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ط8، دار القلم، دمشق، 1420 هـ - 2000م.
- ابن حوقل أبي القاسم، المسالك والممالك، مطبعة بريل، لندن.

- الحناشي بلقاسم، الحركات التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات.
- حسوني محمد بن الكبير، اللبانة الرمزية لمريد المناقب المعزية، مطبعة الريان، الجزائر، 2007.
- يسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920 - 1945، ط2، دار الأمل، تيزي وزو الجزائر.
- اليعقوبي أحمد، كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1601-1663، تح: سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، ط1، مج1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006.
- كحول عباس، زوايا الزيبان العزوزية، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، بسكرة، 2003.
- الكحلوت عبد العزيز، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، ط2، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1992.
- كساب أكرم، التنصير مفهومه، جذوره، أهدافه، أنواعه، وسائله، صولاته، مركز التنوير الإسلامي.
- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العمرية.
- مونيها م ستانيلي، التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري المنعقد بولاية كولورادو الأمريكية سنة 1978، دار Marc للنشر.

- مزيان سعدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر 1867-1892، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.
- مياسي إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1851 - 1912، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م.
- ممدوح حسين، مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، ط1، دار عمار، الأردن، 1416هـ-1995م.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الجاهلي، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1400هـ - 1980م.
- النوري حمو محمد عيسى، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، ج2.
- النملة علي بن إبراهيم الحمد، التنصير مفهومه أهدافه ووسائله وسبل مواجهته، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.
- النملة علي بن إبراهيم الحمد، التنصير في المراجع العربية، ط2، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1424هـ، 2003م.
- نقولا زيادة، إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1991.
- سلامة سلمان عبد المالك، أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة، مصر 1415هـ- 1994م.
- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830 - 1954، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- سرير ميلود وآخرون، دور الزوايا الثقافية والعلمي في منطقة توات، ج1.
- سر كيس أبو زيد، تهجير الموارد إلى الجزائر، ط1، دار أبعاد للطباعة والنشر، بيروت، 1994.
- عبد الوهاب أحمد، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1981.
- عبد العزيز زينب، تنصير العالم، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، 1415 هـ - 1995 م.
- عكاشة إبراهيم، التبشير النصراني في جنوب السودان ووادي النيل، دار العلوم، الرياض.
- عمارة محمد، إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي (دراسة في أعمال مؤتمر كولورادولتنصير المسلمين)، ج3، سلسلة بحوث الثقافة والحضارة.
- عمارة محمد، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ط2، نهضة مصر، مصر، 2004.
- عميرايوي أحميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، 1844 - 1916، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- عميرة عبد الرحمان، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال المستشرقين، ط1، دار الجيل، بيروت، 1999.

- العسكر عبد العزيز بن إبراهيم، التنصير في الخليج العربي، ط3، الدار العربية للموسوعات، الرياض، 1427هـ - 2007م.
- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج6.
- العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، بيروت، 2002.
- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- فيرون ريمون، الصحراء الكبرى، تر: جمال الدين الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963.
- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- صالح محمد عثمان، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، ط1، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، 1989م.
- قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
- رياض زاهر، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1956.
- ريف. عبد الجليل، الكاروزالتنصير في بلاد المسلمين، جامعة إفريقيا العلمية مركز البحوث والدراسات الإفريقية.
- شاتوليبه أ. ل، الغارة على الإسلام، تر: محب الدين الخطيب ومساعدالباني، دار المدني.

- شاتلار أنطوان، دي فوكو شارل الطريق إلى تمناست، تر: الأب ألبير أبونا، دار نجم الشرق، بغداد، 2005.
- شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.
- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تج: كسرى صالح العلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1.
- شلبي عبد الجليل، الإرساليات التبشيرية، منشأة المعارف، الإسكندرية. شرف عماد، حقائق عن التبشير، ط1، المختار الإسلامي، القاهرة، 1975م.
- الشثري محمد بن ناصر، الهجمة التنصيرية على البلاد الإسلامية، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1424 هـ - 2003.
- تواتي دحمان وآخرون، الثورة التحريرية في أقاليم توات 1956 - 1962، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية.
- خالد مصطفى وفروخ عمر، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، بيروت، 1986.
- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط2، دار صادر، بيروت، 2005.
- غوتيه أ.ف، ماضي شمال إفريقيا، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاولت الثقافية، 2010.

– غزال مصطفى فوزي، الحيل والأساليب في الدعوة إلى التبشير، univ. .Of Aris onalibrary

– غراب عبد الفتاح اسماعيل، العمل التنصيري في العالم العربي، مكتبة البدر.

ب-بالأجنبية:

–Annie of Jesus, Charles de Foucauld, preface by Ian Lathan, original French edition, 2001

– Ellsberg Robert, Charles de Foucauld, Orbis Books, Mary Knoll, 1998.

–Goyau Georges, un Grand Missionnaire le cardinal Lavigerie, Librairie Plon, Paris, 1925.

– Jacques Jean Antiar, Charles de Foucauld, Librairie Académique, Perrin, 1997.

–Kalabadh, traité de soufisme, edition Sindbad, Paris, 1981.

– Martin(A.G.P), les oasis sahariennes Gourara – Touat Tidikelt), Edition de l'imprimerie Algérienne, Alger.104/Mission dans le sud Algérien, Question Sahariennes (Touat – Chaamba – Touarg), 1890.

–Raunard, le cardinal Lavigerie, J. de Giord Ed, Paris, 1922.

- Rolland.G, Hydrographie et orographie du Sahara Algérien, société de Géographie, Paris, 1886.
- Sari Djilali, le désastre démographique, send, Alger, 1982.
- Suter Karl, étude sue la Population et l habitat d'un Région du Sahara Algérien le Touat.
- Thurston Bonnie, Hidden in god discovering the Desert vision of Charles de foucauld, paperback, 2016.
- Tornier. J, le cardinal Lavigerie et son Action Politique 1863-1892, libraires Académique, Paris, 1913.
- Vuillot.P, l'exploration du Sahara, Augustine challamel Editeur, Paris, 1895.

3-المقالات:

- البوعبدلي المهدي، " لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية والحضارية والسياسية "، الأصالة، ع/72، رمضان 1399هـ، أوت 1979م.
- بوعزيز يحي، " نماذج من مقاومة سكان الواحات "، الأصالة، ع/41، محرم 1397هـ، جانفي 1977م.
- بوعزيز يحي، " اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه "، الأصالة، ع/72، رمضان 1399هـ، أوت 1979م.

- بوعزيز يحيى، "حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع/5، سنة 1408هـ، 1988م.
- بطران عزيز، "الشيخ المختار الكنتي ودوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب إفريقيا"، مجلة البحوث التاريخية، ع/2، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1981.
- بن نعمان أحمد، "الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية"، الأصالة، ع/85-86، السنة التاسعة شوال، ذو القعدة، 1400هـ / سبتمبر، أكتوبر 1980م.
- الجيلالي عبد الرحمان، "هؤلاء التوارك الملتمين"، الأصالة، ع/72، رمضان 1399 هـ، أوت 1979م.
- الحبيب الجحاني، "حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي"، الأصالة، ع/16، السنة الثالثة شعبان، رمضان 1393هـ، سبتمبر، أكتوبر 1973م.
- ساقني محمد، "الفقارة تراث أثري مندثر بقصور عين صالح بالتديكات"، مجلة آفاق علمية، ع/2، مج9، 2017.
- قميحة جابر، "أثار التبشير والإستشراق على الشباب المسلم"، مجلة دعوة الحق، ع/116، 1412هـ، 1991م.
- الشيخ أبو عمران، "شارل دي فوكو في تمراست 1905-1916"، مجلة الثقافة، ع/16، يوليو، أغسطس 1981م.

- التميمي عبد الجليل، " دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830-1881"، الأصالة، ع/29-30، محرم- صفر 1396هـ، جانفي- فيفري 1976م.

- غربي الغالي، " ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"، الرؤية، ع/1، جانفي- فيفري 1996م.

4- الرسائل الجامعية:

-بابكر نور الدين عوض الكريم إبراهيم، "أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في إفريقيا وطرق مواجهتها، دراسة ميدانية على دولة كينيا من عام 1411 هـ / 1420 هـ"، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب، العام الجامعي 1422هـ - 1423 هـ.

- داداي بابا فتحي، " منهج الشيخ اطفيش في التعامل مع السنة النبوية"، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، إشراف خير الدين سيب، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.

- قرناب عبد الرؤوف، "جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف الدكتورة محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر 1، السنة الجامعية 2014 - 2015م.

5- المعاجم والقواميس:

-ابن منظور، لسان العرب، مج4، دار المعارف، القاهرة.

- أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، ط2، 1972 م.

- مجمع الكنائس الشرقية، قاموس الكتاب المقدس، ط6، مكتبة المشعل، بيروت، 1981.

- ملطي يعقوب، قاموس المصطلحات الكنيسة، مشروع الكنوز القبطية.132/الفيروز ابادي مجد الدين، القاموس المحيط، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م.

6- الموسوعات:

-الجهني مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان، ط1، الرياض، 1988م.

الفهارس

فهرس الأعلام:

- أ -

أبو هريرة: ص 10.

ابن بطوطة: ص 36 - 54.

ابن خلدون: ص 56 - 210.

إبراهيم: ص 11.

أدولف دوبوش: ص 65 - 92 - 93 - 141.

الإدريسي: ص 36 - 44 - 54.

أهنيبال محمد بسيكا: ص 67.

أودني: ص 58.

أوكسيم: ص 191.

أوغسطين هاكار: ص 169.

أحمد بن محمد التيجاني: ص 212.

أطفيش: ص 228 - 229.

إيميل جانتيل: ص 67.

ألفريد بولمي: ص 132.

الأمير عبد القادر: ص 217.

أمود: ص 79 - 80.

أنطوان أغسطين: ص 142.

أنوسنت الرابع: ص 26.

أثيناغورس: ص 16.

-ب-

بان: ص 77.

بافي: ص 94 - 149 - 135.

بوبلار: ص 134.

بوجولا: ص 57.

بول سولييه: ص 61.

بولس شأول: ص 16 - 22.

بومقارتن: ص 78.

بوعمامة: ص 47 - 68.

بوران: ص 61.

بوشان: ص 157.

بوجولا: ص 65.

بيجو: ص 65.

بيوس التاسع: ص 100 - 101 - 156.

بييه: ص 69.

بيوض: ص 231 - 232.

البكري: ص 54.

بلكين بن محمد: ص 42.

برانجه: ص 62.

بروسلار: ص 55.

برنار: ص 62.

-ج-

جان مسناج: ص 28.

جبريل طورديس: ص 182.

جوزيف دي لبارسيون: ص 79.

جوزيف دي مانس: ص 80.

جول فيري: ص 71.

- جونار : ص 69.
- جون دافيدسون: ص 58.
- جونستون: ص 83.
- جعفر ابن رمان: ص 42.
- جرهارد رولف: ص 61 - 72.

- د -

- داوود: ص 22.
- دوكولومب: ص 60
- دوما: ص 107.
- دومينيڪ: ص 25 - 26.
- دوفيرييه: ص 60.
- دي بورمون: ص 65.
- ديكسون دينهام: ص 58.
- ديلاتر: ص 137.
- دي سيبيل: ص 182
- ديقيدون: ص 70.

دليباك: ص 66.

- ه -

هورن مان: ص 51.

هوفلان: ص 176.

هييسبو: ص 123.

هيوتون: ص 57.

هيربيون: ص 74.

هنري بارث: ص 58.

هنري جب: ص 70.

هنري ديكاستري: ص 175.

- ز -

زويمر: ص 88.

- ك -

كابليو: ص 55.

كامبون: ص 170 - 172.

كامبيو دولس: ص 63.

كاربوسيا: ص 74.

كولونييو: ص 61.

كومب: ص 142.

كونسال: ص 82.

كلابرتون: ص 58.

-ل-

لابيرين ص 183 - 184 - 187.

لاكروا: ص 184..

لالافاطمة نسومر: ص 180.

لامي: ص 63.

لاندر: ص 58.

لافيجري: ص 63 - 70 - 71 - 95 - 98 - 100 - 101 - 102 - 104 -

106 - 107 - 109 - 110 - 111 - 113 - 119 - 123 - 124 - 125 -

128 - 129 - 134 - 137 - 142 - 143 - 144 - 145 - 146 - 147 -

148 - 149 - 150 - 151 - 152 - 153 - 154 - 155 - 156 - 157 -

158 - 159 - 161 - 162 - 163 - 164 - 165 - 166 - 167 - 168 -

169 - 170 - 171 - 172 - 173 - 197 - 216.

لويس التاسع: ص 25.

لويس الثاني: ص 28.

لويس فيليب: ص 141.

لوكاس: ص 57.

لورانس براون: ص 70.

لوشاتولييه: ص 62.

ليدبارد: ص 57.

ليوبولد الثاني: ص 162..

ليون الثالث عشر: ص 143.

ليوتي: ص 191.

ليفنستون: ص 131.

-م-

ماكماهون: ص 69 - 76.

ماري: ص 150.

مارثن لوثر: ص 17.

المهدي باجودا: ص 77.

مونغبوبارك: ص 57.

موسون: ص 55.

موسى آق امستان: ص 188

موسى بن نصير: ص 42.

مورا: ص 134.

موتيلنسكي: ص 187

محي الدين: ص 176 - 179.

محمد بن عبد الرحمان الأزهري: ص 176.

محمد بن علي السنوسي: ص 177.

مينسترال: ص 68.

المنصور: ص 25.

المسيح: ص 15 - 16 - 17 - 18 - 19 - 20 - 21 - 22 - 23 - 24 - 31 -

32.

المسعودي: ص 29.

المقراني والحداد: ص 180.

مريم: ص 17.

مرسال بالات: ص 56.

مرتان: ص 82.

-ن-

نابليون الثالث: ص 69..

-س-

سان جرمان: ص 74.

سولييه: ص 73

سيبور: ص 123.

سيمونز: ص 65.

سيروك: ص 74.

سعيد قدورة: ص 168.

سرفيار: ص 80.

-ع-

عبد السلام بن مشيش: ص 117.

عبد القادر الجيلالي: ص 211

عبد الرحمان الثعالبي: ص 168.

العياشي: ص 56.

عيسى: ص 111.

-ف-

فاليير: ص 149.

فانسان دي بول: ص 79.

فورو: ص 78.

فيكتور لوكرك: ص 123.

فليبير: ص 170.

فلامون: ص 63.

فلاترز: ص 62 - 63 - 78 - 159 .

فرانسوا بورغاد: ص 29.

فرانسييس: ص 25.

فرحات بن سعيد: ص 76.

فرناند نجران: ص 67.

-ق-

قوردن: ص 170.

قسطنطين: ص 15 - 16.

-ر-

رابودان: ص 55.

رونیه کاییه: ص 58.

روش: ص 156.

ریبولی: ص 171.

ریوتو: ص 82.

ریتشارد: ص 157 - 159 - 160.

-ش-

شارل دوفوکو: ص 50 - 142 - 174 - 175 - 176 - 177 - 178 - 181

182 - 183 - 184 - 185 - 186 - 187 - 188 - 189 - 190 - 191

192 - 193 - 194 - 195 - 197 - 215 - 222.

شارموتا: ص 156 - 157 - 163.

شانزی: ص 70 - 71.

الشيخ بوزيان: ص 74 - 75.

شكيب أرسلان: ص 179.

الشريف بومعزة: ص 180.

-ت-

تلوت: ص 160-162-168.

-ث-

ثيوفيلوس: ص 16.

ثرونتن: ص 88.

-غ-

غود فروى: ص 65.

غوردون لانغ: ص 52.

غيارد: ص 55.

غريغوار السادس: ص 141.

فهرس الأماكن والبلدان:

- أ -

الأبيار: ص 152.

ابن عكنون: ص 95 - 152.

أدرار: ص 50 - 80 - 181 - 184 - 202.

أولاد جلال: ص 202.

أولاد نايل: ص 74.

أولف: ص 78.

أوقروت: ص 202.

إيجلي: ص 61 - 78.

إيطاليا: ص 97.

ألمانيا: ص 147.

أمقيد: ص 59.

أقبو: ص 201.

أقبلي: ص 67.

الأربعاء: ص 201.

أرزيو: ص 59.

أغادير: ص 178.

الأغواط: ص 59 - 61 - 62 - 73 - 75 - 76 - 157 - 163 - 180 -
208 - 213.

-ب-

بايون: ص 143 - 144.

باريس: ص 144 - 145 - 146.

باتنة: ص 60 - 74.

بجاية: ص 201.

بوزريعة: ص 127 - 152.

بولوغين: ص 127 - 131 - 152 - 154.

بونة: ص 201.

بوسمغون: ص 177.

بوسعادة: ص 74 - 75.

بوغار: ص 59.

البيوض: ص 60.

بيروت: ص 124.

بيت لحم: ص 179

البيضا: ص 157.

بلجيكا: ص 96.

البلية: ص 59 - 94 - 154.

بنور: ص 43.

بنزرت: ص 201.

بني ونيف: ص 82.

بني عباس: ص 61 - 80 - 82 - 181 - 182 - 183 - 184 - 185.

بسكرة: ص 59 - 74 - 93 - 96 - 155 - 157 - 162 - 163 - 166 -

168 - 169 - 170 - 172 - 173 - 202.

بروكسل: ص 171 - 172.

بريطانيا: ص 58.

برلين: ص 65 - 87 - 90.

بشار: ص 66 - 82 - 181.

-ج-

جاننت: ص 179.

الجلفة: ص 66-160-161.

جنان بورزق: ص 66.

-ه-

الهقار: ص 54-56.

-و-

وادي سوف: ص 61-75.

وهران: ص 59-94-125-127-154-177-178-180.

وير: ص 143.

ورقلة: ص 50-52-54-59-61-62-63-66-73-75-76.

77-120-121-157-159-161-169-180-185-213.

-ح-

حاسي مسعود: ص 50.

حاسي الرمل: ص 50.

الحراش: ص 127.

-ط-

طنجة: ص 177.

طرابلس: ص 61 - 160 - 208.

-ك-

كارم: ص 145.

كرزاز: ص 202 - 208.

-ل-

لبنان: ص 146.

ليبيا: ص 213.

-م-

مالطا: ص 97.

مالي: ص 185.

موقادور: ص 178.

المحمدية: ص 66.

مليانة: ص 95.

المنيعة: ص 60 - 76 - 80 - 120 - 122 - 202.

مسألة: ص 162 - 166 - 169 - 170.

مسيلة: ص 74.

مستغانم: ص 95 - 212 - 213.

معسكر: ص 202 - 215.

مرسيليا: ص 147.

متليلي: ص 60 - 61.

-ن-

نانسي: ص 148 - 150 - 177.

-س-

الساورة: ص 59.

سان لويس: ص 143.

سان سير: ص 174.

سانت أوجين: ص 164.

الساقية الحمراء: ص 186

سجلماسة: ص 56.

سطيف: ص 177 - 180.

سيدي بلعباس: ص 94.

سكيكة: ص 93-94.

سندروس: ص 54.

سعيدة: ص 66

ستراسبورغ: ص 174-176.

-ع-

العبادلة: ص 82.

العطاف: ص 71-127.

العطف: ص 232.

عين ماضي: ص 202.

عين صالح: ص 50-59-61-63-75-76-77-170-171-

183-213.

عين الصفراء: ص 59-161.

عين غار: ص 66-67.

عناية: ص 74-92-93-94-180.

- ف -

فاس: ص 52 - 177 - 149.

فارس: ص 23.

فزان: ص 132.

فيقيق: ص 39 - 52 - 58 - 69.

فلسطين: ص 24 - 83 - 150.

فقارة الزوا: ص 66.

فرنسا: ص 25 - 28 - 35 - 53 - 57 - 59 - 61 - 62 - 63 - 64 - 76 -

81 - 84 - 119 - 124 - 127 - 128 - 147.

- ق -

قابس: ص 180.

القاهرة: ص 88.

القبية: ص 127 - 152 - 154.

القدس: ص 179.

قورارة: ص 60 - 73 - 76 - 80 - 169 - 170 - 215 -

القليعة: ص 160 - 170.

قمار: ص 54.

قسنطينة: ص 60 -74 -75 -93 -94 -98 -125 -127 -154
202 -208.

قرطاج: ص 127 -148 -154.

- ر -

رام الله: ص 179.

روما: ص 100.

- ش -

الشام: ص 146 -178.

شرشال: ص 201.

- ت -

تازة: ص 178.

تامسفين: ص 159.

تبلبالا: ص 82.

توات: ص 52 -57 -59 -60 -61 -66 -73

تونس: ص 97 -127 -148 -154 -156 -180 -208 -212
213.

تيبار: ص 107 -130.

تيديكالت: ص 52 -60 -61 -63 -77.

تيهت: ص 43.

تيط: ص 78.

تيماسين: ص 63 -75.

تيميمون: ص 80 -184.

تلمسان: ص 94 -212.

تمبكتو: ص 58 -59 -60.

تمنراست: ص 45 -67 -154 -155 -156 -157 -159 -160
162 -179 -180.

تنزروفت: ص 44.

تقنتورين: ص 50.

تقرت: ص 43 -44 -53 -58 -63 -64 -65 -151.

-خ-

خيثر: ص 59.

-غ-

غامبيا: ص 51.

غات: ص 160.

غدامس: ص 60 - 61 - 159 - 160.

غرب أوروبا: ص 27 - 82 - 85.

غرداية: ص 52 - 59 - 60 - 61 - 62 - 73 - 120 - 160 - 161 -

180 - 185 - 229.

فهرس الجمعيات والوظائف:

-أ-

الآباء البيض: ص 90 - 96 - 102 - 125 - 162 - 168 - 184.

آباء الكنيسة الإنجيلية: ص 90.

إرسالية الجامعات لوسط إفريقيا: ص 90.

إخوان المدارس المسيحية: ص 94.

إخوان العقيدة المسيحية: ص 67 - 94.

إخوان الصحراء المسلحين: ص 96-98 -102 -125 -161-162-
165 -166 -169 -170 -171.

إخوان القديس جوزيف دي مانس: ص 94.

الأخوات البيض: ص 96-135.

أخوات العقيدة المسيحية: ص 67-93.

أخوات القديس جوزيف دي لبارسيون: ص 92.

أخوات القديس فانسان دي بول (بنات الإحسان): ص 93.

-ج-

الجمعية الإفريقية: ص 57.

جمعية إتحاد الطلبة النصارى: ص 91.

جمعية بعثات التنصير الكنسية: ص 91.

جمعية برلين التنصيرية: ص 91.

جمعية الجزويت (الآباء اليسوعيون): ص 71-92 -118 -119.

جمعية طبع الإنجيل: ص 91.

جمعية الكنيسة التنصيرية: ص 91.

جمعية لندن التنصيرية: ص 91.

جمعية مبشري السيدة الإفريقية: ص 67 - 70 - 95 - 96 - 119 - 120 - 125 - 126.

جمعية سيدات القلب المقدس: ص 67.

الجمعية العالمية لاستكشاف إفريقيا: ص 163.

جمعية الراهبات الثالوثيات: ص 92.

جمعية الرومان الكاثوليك: ص 90.

جمعية الروح القدس: ص 91.

جمعية الشبان والنصارى: ص 90.

جمعية شهودة يهوه: ص 90.

جمعية التنصير العالمية: ص 91.

جمعية الترابست: ص 94.

-م-

منظمة بعثة الصداقة: ص 90.

منظمة المهام الشاقة: ص 90.

منظمة مركز الشبيبة النصراني: ص 90.

منظمة نداء الرجاء: ص 90.

منظمة رابطة الرهبان: ص 90.

منظمة التصوير العالمي الدولي: ص 90.

-ر-

راهبات الباستور الطيب: ص 93.

راهبات القلب المقدس: ص 93

الراهبات الثالوثيات: ص 92.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الفهرس
8-1	المقدمة
10	فصل تمهيدى: بين التنصير والتبشير
36	الفصل الأول: الأهمية التاريخية والجغرافية للصحراء الجزائرية
37	المبحث الأول: التعريف بالصحراء الجزائرية
65	المبحث الثاني: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية
85	الفصل الثاني: أساليب المنصرين في العمل التنصيري
86	المبحث الأول: الأساليب المباشرة
103	المبحث الثاني: الأساليب غير المباشرة
141	الفصل الثالث: نشاط المؤسسات الكنسية والمراكز الدينية بالصحراء الجزائرية
143	المبحث الأول: نشاط الكاردينال لافيغري في الصحراء الجزائرية
162	المبحث الثاني: نشاط فرقة إخوان الصحراء المسلحين في الصحراء الجزائرية
174	المبحث الثالث: نشاط الأب شارل دوفوكو في الصحراء الجزائرية
197	الفصل الرابع: مواجهة سكان الصحراء لنشاط التنصيري
198	المبحث الأول: دور المؤسسات الدينية في مواجهة العمل التنصيري
221	المبحث الثاني: موقف سكان الصحراء من النشاط التنصيري
237	الخاتمة
241	الملاحق
273	المصادر والمراجع
288	فهرس الأعلام
300	فهرس الأماكن والبلدان

310	فهرس الجمعيات والوظائف
314	فهرس الموضوعات
-	الملخص

المخلص:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بالسياسة الفرنسية التنصيرية في الصحراء الجزائرية، وذلك من خلال التعرف على نشاط كل من الكاردينال لافيغري والأب شارل دوفوكو اللذان حاولا تنصير سكان الصحراء الجزائرية بمختلف الوسائل، إلا أن نشاطهما هذا كان فاشلا منذ البداية، فسكان المنطقة بمختلف فئاتهم كانوا لهم بالمرصاد، وأكدوا تمسكهم بدينهم وحضارتهم الإسلامية من خلال دور الزوايا والطرق الصوفية والمساجد والكتاتيب .

الكلمات المفتاحية:

التنصير-التبشير - السياسة الفرنسية- لافيغري- شارل دوفوكو - الصحراء الجزائرية-الجنوب الجزائري.

Abstract:

The aim of this study is to define the Christianization movement in the Algerian Sahara, by talking about the activity of the two most notable missionaries in the region: Cardinal Lavigerie and Charles De Foucauld, who played a prominent role in trying to evangelize the people of the Algerian desert through various means. However, this activity was a failure since the beginning. The inhabitants of the region of all categories were on the lookout, and affirmed to them their adherence to their Islamic religion and civilization through the role of Zawiyas, Sufi methods, mosques and kuttabs, all of which had an important role in this field.

key words:

Christianization, evangelization, Lavigerie, Charles De Foucauld, The Algerian Desert , theAlgerian south.

Résumé:

Nous visons à travers cette étude à présenter la politique de christianisation au Sahara Algérienne et cela en identifiant les activités de chacun de Cardinal Lavigerie et le père Charl de foucauld qui ont tenté de évangéliser les habitants du Sahara Algérien par divers moyens mais c'était un échec des le début car les habitants de la région dans leur différents catégories les coinent et confirmé leur adhésion a leur religion et à la civilisation islamique à travers le rôle de zaouïa, les fraternités soufies, les mosquées.

Mots clés:

Christianisation, évangélisation, la politique française, Lavigerie, Charles de Foucauld, Sahara Algérien, sud Algérien.